نظرات في معاجم البلدان

تحقيق مواضع في نجد

على طريق الحج البصري

عبدالله بن محمد الشايع

الكتاب الثالث

نظرات في معاجم البلدان
تحقيق مواضع
في نجد
على طريق الحج البصري

الكتاب الثالث

عبد الله بن محمد الشايع

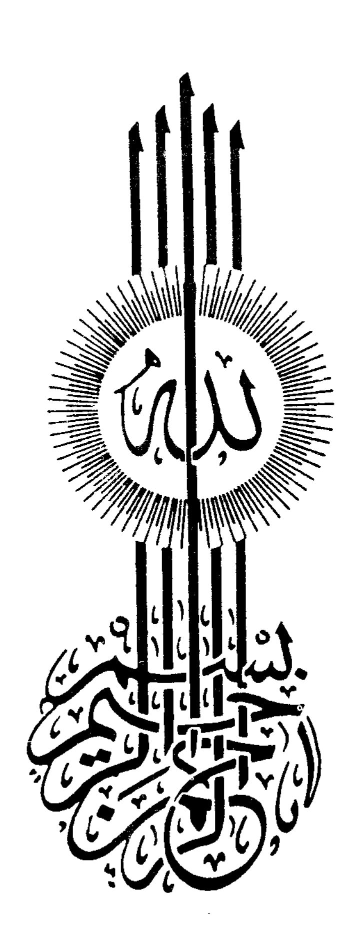
الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

رقـم إذن الطبـع: ١٠٩٠٨

تـاريخ: ٢٥/ ١٢/ ١٤١٤هـ

الخوارط داخل الكتـاب من إعـداد المؤلـف وتنفيـذ الأستـاذ سعـد الماضي


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

الشايع، عبد الله محمد

نظرات في معاجم البلدان: تحقيق مواضع في نجد على طريق الحج البصري.

... ص ؛ .. سم

ردمك ١- ٣٤٣ - ٢٧ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

x-٣٤٤-٢٧-٩٩٦٠ (ج٣)

١- نجد - وصف رحلات ٢- الجزيرة العربية - وصف رحلات ٣- الجزيرة العربية - تاريخ أ- العنوان

ديوي ٩١٥,٣١١ ١٤/٢٠٧٣

رقم الإيداع : ١٤/٢٠٧٣

ردمك ١-٣٤٣-٢٧-٩٩٦٠ (مجموعة)

x-٣٤٤-٢٧-٩٩٦٠ (ج٣)

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور

سعد بن عبد العزيز بن سعد الراشد

رئيس قسم الآثار والمتاحف

كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود

بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي القارىء: الكتاب الذي بين يديك ألَّفه الأستاذ الفاضل عبد الله بن محمد الشايع، أحد أبناء هذا الوطن الغالي، وهو كتاب تناول فيه المؤلف موضوعاً مهماً يتعلق بتحقيق عدد من المواضع والمعالم على طريق الحج البصري، الذي يمر بمنطقة نجد.

والمعلومات الواردة بين دفتي الكتاب تشكل مصدراً للدارسين في مجال التاريخ والحضارة والآثار.

والأستاذ الشايع أطلَّ علينا في بداية الأمر من خلال كتابه «الأول» نظرات في معاجم البلدان» «تحقيق مواضع هامة في نجد» المطبوع عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م تناول فيه مجموعة من المواضع والمعالم الجغرافية المتفرقة في نجد مثل: هضب القليب، أطلال خولة، قُطَيَّات، معدن الأحسن والكوكبة، متالع وإمَّرة. وعند قراءة كتابه الأول عرفت أن الأستاذ الشايع عبارة عن موسوعة متنقلة فوق قمم جبال نجد وهضابها وروابيها وسهولها وأوديتها، وأنه لم يسلك هذا الطريق الصعب إلاَّ بعد أن ألَمَّ بعلوم اللغة والأدب وكتابات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين الأوائل، بالإضافة إلى اطلاعه على كتابات من سبقوه من علماء بلادنا الذين سلكوا هذا الفن قبله. فمن قراءة كتابه (الأول) السابق الذكر اكتشفت أن الأستاذ الشايع يكتنز في ذاكرته منذ صباه ومن خلال قراءاته المتعمقة لكل ماكتب عن نجد جغرافياً وتاريخياً ولغوياً، معلومات جمَّة وثريَّة، ولذلك فإنه آلى على نفسه أن يعدَّ العدَّة، بقلمه وخبرته وما عنَّ له استخدامه وإنفاقه، في سبيل إبراز الكنوز المعرفيَّة التي جمعها قراءة ومشاهدة إلى بني جلدته ولكل من يهمه أن يعرف شيئاً عن نجد من خلال سلسلة من الإصدارات التي ستخرج الواحد تلو الآخر إن شاء الله.

والكتاب الذي نستعرضه اليوم هو (الكتاب الثالث) الذي تناول فيه المؤلف كما أسلفنا، تحقيق بعض المعالم والمواضع على طريق الحج البصري بدءاً من النباج (شمال شرق القصيم) وحتى ذات عرق بالقرب من مكة. وهذه منطقة جغرافية شاسعة

ليس من السهل الوقوف على معالمها الجغرافية والتاريخية والآثارية بدون معاناة وتحمل المصاعب في الوصول إليها. وهي منطقة أعرف مدى صعوبة اجتيازها لتقصي مواضع الآثار فيها ومنازل وموارد المياه الواقعة بالقرب وعلى امتداد الطريق، خاصة وأن الطريق لم يسبق لأحد أن تناوله بالدراسة من الناحية الجغرافية ولم يتم مسحه آثارياً اللهم إلاَّ معلومات أوليَّة متناثرة هنا وهناك.

وقد سبق لي أن وقفت على بعض معالم الطريق قبل أكثر من ربع قرن وتكررت زياراتي لعدد من معالمه الأثرية مثل:

منطقة النباج (في محافظة عين ابن فهيد) وبعض المواقع الأثرية في وادي الرمة (بالقرب من عنيزة) وعيون الجوى، وضرية وذات عرق ومعالم أخرى متفرقة في منطقة القصيم.

وكنت أمني نفسي أن أرى من يتصدى لدراسة هذا الموقع الجغرافي وحصر ماقيل فيه من شعر وأدب وتحديد مواضع معارك العرب القديمة (أيام العرب) ومناطق انتشار القبائل قبل الإسلام وبعده، ومراكز الاستيطان وأماكن الرعي والمناجم ومسالك الدروب وتحديد معالمها وغير ذلك من الأمور التي كانت سبباً في انتعاش المنطقة في العصر الإسلامي الزاهر. لأنه يصعب رصد هذه المعلومات التي ننشدها في أمهات الكتب ناهيك عن الوقوف على مواضعها الصحيحة.

وبالرغم من الجهود الموفقة التي نجدها في مؤلفات الرعيل الأول من علمائنا الأفاضل وأهمية ماكتبوه مثل : محمد بن بليهد،وحمد الجاسر، وعبد الله بن خميس، ومحمد بن ناصر العبودي وسعد بن جنيدل وعاتق البلادي. إلاَّ أن العمل الذي يقدمه اليوم الأستاذ عبد الله الشايع هو ما نتطلع إليه في سلسلة تحقيق المواضع. فهو وإن كان يتخذ نفس الطريقة والأسلوب الكلاسيكي لمن سبقه إلاَّ أنه يستخدم التقنية العصريَّة في استخدام الخارطة والبوصلة الحساسة المتقدمة التي يحدد بواسطتها

الاتجاه الدقيق وخطي الطول والعرض وتوثيق كل موضع ومعلم بالصور الفوتغرافية الواضحة.

يقع الكتاب في حوالي ٣٠٠ صفحة بالحجم المتوسط - عدا الفهارس -، تناول فيه ما يقارب ٢٧ موضعاً على سمت طريق الحج البصري بالإضافة إلى المعالم الجغرافية الأخرى القريبة منه.

وقد عزز المؤلف عمله هذا بمجموعة من الخرائط بلغ عددها سبع خرائط ثبت فيها بدقة المواضع والمعالم الجغرافية التي حققها وتناولها بالدراسة، ودعَّم المعلومات التي أوردها بصور فوتغرافية للمواقع الأثرية على امتداد الطريق من برك وآبار وأعلام ومعالم جغرافية تنشر لأول مرة، بلغ عدد الصور ٧٢ صورة التقطت بعناية. كما وضع المؤلف قائمة بالمصادر والمراجع وفهرساً بأسماء الأماكن التي وردت في الكتاب بلغت ما يقارب ٣٤١ موضعاً.

إننا ونحن نقرأ هذا الكتاب نجده كُتب بأسلوب لغوي جميل بعيد عن الإثارة، فالمؤلف يقارن بين روايات الجغرافيين المسلمين في تحديدهم للمواضع ومن ثم يحدد الموضع مثار الخلاف بعد زيارات واستطلاعات متعددة للموضع الواحد. ونجده يرشدنا إلى التصحيف الذي طرأ على بعض الأسماء مثل (الفريش عند الهجري) والذي اتضح أنه موضع (القريتين). ويقف المؤلف وقفات متأنية في تحليل النصوص. كما يوضح لنا اختفاء بعض محطات الطريق بسبب امتداد المسطحات الخضراء وتملُّك الناس للأراضي مثل موضع القريتين (الملقى في الوقت الحاضر)ومتعشى بطن عاقل.

ويستعين المؤلف في مناسبات كثيرة بالشعر العربي والدلائل الواردة فيها والتي تساعده في تحقيق المواضع.

فمن ذلك ماقاله جرير:

أخو اللؤم مادام الغضا حول عجلز ... ومادام يسقى في رمادان أحقف

وفي قول عبيد بن الأبرص:

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب
فراكسٌ فثعاليات فذات فرقين فالقليب
فعردة فقفا حبرٍّ ليس بها من أهلها عريب

ونجد المؤلف يقوم بحصر أقوال المؤرخين وعلماء البلدان واللغة والمصادر الشعرية حول المواضع، وما تشابه اسماً وتباعد مكاناً ثم يقوم بالتقريب بين الأسماء الحديثة والقديمة. كما أنه يتوقف أحياناً عن متابعة السير على طريق الحج ويعرج على بعض المعالم القريبة لتحقيق مواضعها بأسلوب أدبي وجغرافي رصين ويربط بين امتداد الطريق والمعالم الجغرافية ومناطق الاستيطان القديمة مما أعطى لهذه الدراسة بعداً علمياً أوسع.

ويجلب المؤلف أيضاً إنتباه الدارسين إلى واحد من المعالم التاريخية المهمة ويشكل رمزاً حيوياً بالنسبة لتاريخنا الحديث وهذا هو قصر المويه الشهير والذي كان يجلس فيه الملك عبد العزيز رحمه الله في أسفاره بين الرياض ومكة ويستقبل فيه الزوار والضيوف. ويقول عن هذا القصر:

«كان بودي أن هذا القصر رمم للاستفادة منه وليبقى صرحاً من صروحنا التاريخية التي شيدت في بلادنا مع مولد نهضتها الحديثة على يد مؤسسها رحمه الله تعالى».

ويستحث المؤلف همم الدارسين في ضرورة معرفة تحديد المواضع لأهميتها في تاريخنا فيقول:

«ومن يقرأ التاريخ لا يتصور بعض المواضع التي حدثت فيها أيام العرب وكأنها ليست في بلادنا وإزاء هذا أقول:

إن تحديد المواضع التاريخية في بلادنا مسئولية مدرسي مادتي التاريخ والجغرافيا في مدارسنا وجامعاتنا».

وإذا كان المؤلف قد رصد مراكز الاستيطان وآثار الطريق الباقية والمعالم الجغرافية القريبة منه فإنه لم يألُ جهداً في تحري مواضع النباتات البرية والأشجار والمراعي التي اشتهرت بها مناطق نجد وتغنى بها الشعراء. ولعلي أستذكر في ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

ألا ياحبذا جرعات قو ... وحيث يقابل الأثل الأراكا

فليتك قد قضيت بذات عرق ... ومن (نجد) وساكنه مناكا

وقول تلك الأعرابية التي حملت من عقيق المدينة إلى نجد:

يحدثني النسيم عن الخزامى ... ويقريني عن الشيح السلاما

تمر على الرياض رياض(نجد) ... فتنعطف الغصون لها احتشاما

وتقلقني حمام الأيك نوحاً ... تذكرني المنازل والخياما

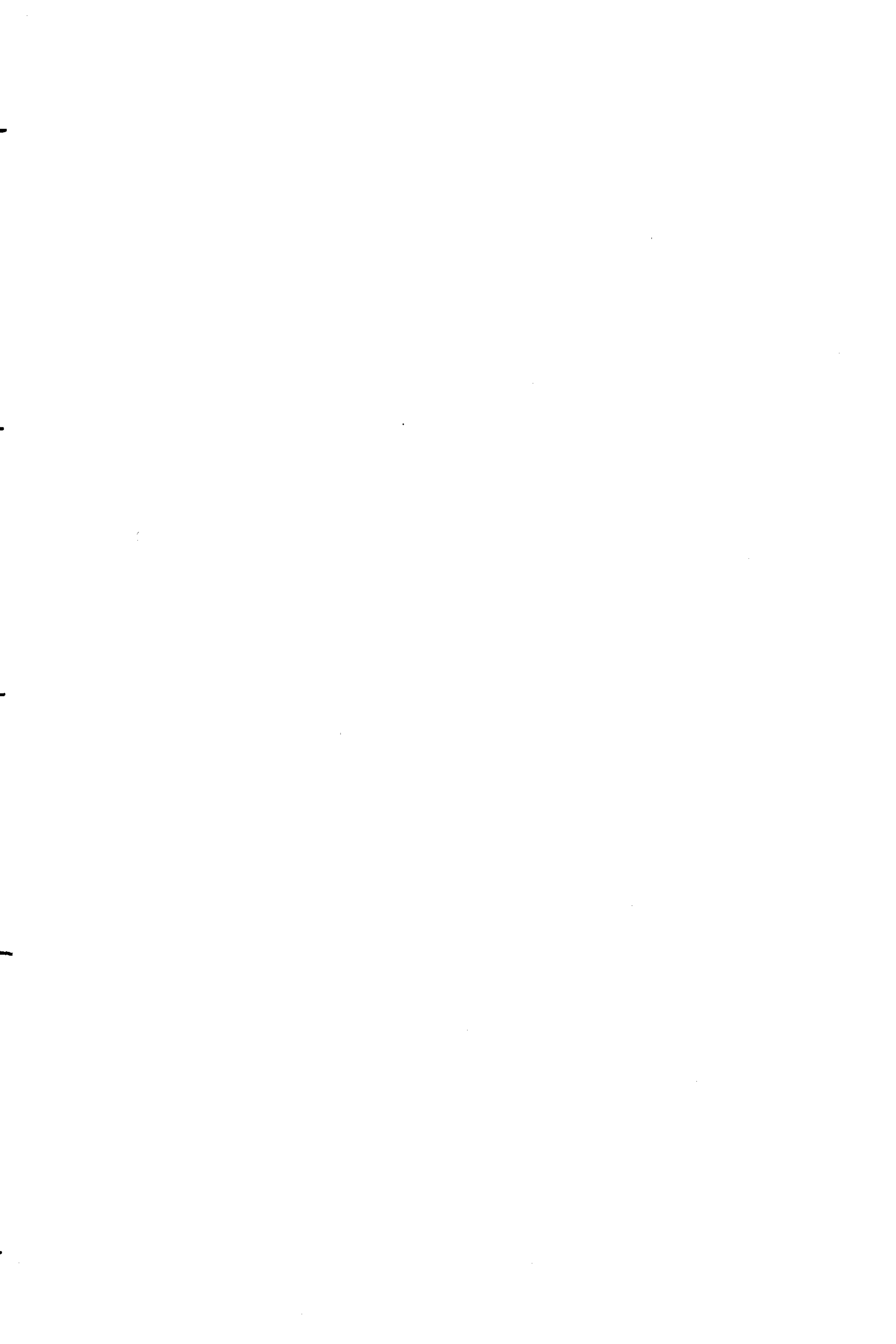
وإن الأستاذ عبد الله بن محمد الشايع بعمله هذا يقدم خدمة جليلة في جانب مهم من تراث أمتنا الحضاري حيث تبيَّن للدارسين وعلى وجه الخصوص في حقل الآثار الإسلاميَّة مواضع منازل طريق الحج البصري وامتدادات الطريق وعلاماته.

وبقي دور طلاَّب الآثار والباحثين لاستجلاء ما تحت الثرى من كنوز ومعلومات لخدمةتاريخنا الإسلامي وحضارته.

وأعتقد أنهم قادمون إن شاء الله.

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل،،

أ. د. سعد بن عبد العزيز بن سعد الراشد



(تمهيد)

الحمد الله القائل:

﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾ [1]

والقائل: **﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾**[2].

وأصلي وأسلم على من بعثه الله مرشداً إلى طريق الحق، وهادياً إلى محجة بيضاء ليلها كنهارها.

اللهم هيىء لنا من أمرنا رشداً إلى طريق الحق والصواب في القول والعمل. وبعد:

خَبرَ العرب جزيرتهم منذ القدم فعرفوا مسالكها ومساربها فحددوا الطرق التي تربط بين نواحيها المختلفة مراعين في ذلك عدة اعتبارات منها:

وفرة المياه، والمرور بالقرى العامرة، وتجنب العوائق الطبيعية الصعبة مثل الجبال والرمال ما أمكنهم إلى ذلك سبيلا.

فَسَيَّرُوا قوافلهم التجارية عبر هذه الطرق في رحلات منتظمة أشهرها رحلتا الشتاء والصيف اللتان نظمها أهل مكة لتجارتهم أخبرنا بذلك القرآن الكريم: **﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾**[3] .

ولما جاء الإسلام، وافتتحت الأمصار، ودخل الناس في دين الله أفواجاً سُهِّلت تلك الطرق ونظمت ليسلكها قاصدو بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج.

ولما كانت وسيلة السفر هي الإبل فإن المسافر يعد عدته من راحلة وزاد والبحث عن قافلة يرافقها؛ وكانت هذه عادة من يزمع السير مع هذه الطرق نظراً لطول الشقة وعدم أمن الطريق وقد اشتهر من هذه الطرق طريقان هما :

---

(١) سورة نوح.

(٢) سورة الحج.

(٣) سورة قريش

طـريق الحج الكوفي ــ درب زبيدة ــ ، وطـريق الحج البصري الـذي يمر بمنطقـة القصيم وعالية نجد.

وقـد أسهب المؤرخـون وعلمـاء البلـدان في الحديث عن هـذين الطـريقين حيث وصفوا منازلهمـا وصفاً دقيقاً موضحين المسـافة بين كل منزل وآخر؛ كمـا نظمت فيها الأشعار والأراجيز التي تغنى بها الركبان على مر الأزمان.

ومن يقف على منازل هذين الطـريقين تتملكه الدهشة أمام مـا عمله الأوائل من بناء القصور وحفـر البرك الـواسعة والآبار، ومـا شُيِّد على طـول الطريق من أعـلام وأميال يهتدي بها المسـافرون. كل هذا تم بتخطيط دقيق وتنفيذ متقن وهندسة بـارعة لا يدرك مدى دقتها إلا ذوو الاختصاص.

لن أتحـدث عن طريق الحج الكـوفي ـ درب زبيـدة ـ المتجـه من الكوفة إلـى مكة المكرمـة لكونه أخـذ بحظ وافر من البحث والتحقيق من قبل علماء الآثـار، والباحثين المتخصصين في وقتنا الحاضر.

وإنمـا سيكـون حـديثي عن طـريق الحج البصـري وخـاصـة من منـزل « النبـاج » -الأسيـاح حـاليـاً - إلى منـزل « ميقـات ذات عـرق » وهـو محـل الإحـرام لسـالكي الطريقين.

وكأني بالعنـوان الذي وضعته لما أكتبـه وهو: (نظرات في معاجم البلـدان ـ تحقيق مواضع في نجد ـ) ألزمني بأن يكون كـلامي مقتصراً على المواضع الواقعة في «نجد»، ولكن نجداً مترامية الأطراف وسنجد فيها (مُرَاغماً كثيراً وسَعَة).

وقد أجـد عذراً عندما أخـرج عن نطاق هذا الالتزام متى كـان ذلك متمماً لبحث أو كان فيه فائدة تذكر.

ويسرني أن أقدم بين يدي القارىء كتابي «الثالث» آملاً أن يجد فيه ما يفيد.

وقد تَـرَسَّمْتُ في تحقيقي لمنازل هذا الدرب؛ طـريق من سبقني من الباحثين حيث

تصدى لتحقيق بعض منازل طريق الحج البصري في وقتنا الحاضر علماء أفاضل فكان لهم بحق اليد الطولى في تسهيل ما توصلت إليه من تحديد دقيق لمنازل الطريق وآثاره، ومنهم:

١ـ الشيخ حمد الجاسر : في كتابه «معجم شمال المملكة» وفي تعليقات له مفيدة على بعض الكتب التي قام بتحقيقها مثل: كتاب «بلاد العرب» للأصفهاني، وكتاب «المناسك» للحربي، وكتاب «المغانم المطابة في معالم طابة» للفيروز آبادي، وكتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه» وغيرها.

٢ـ الأستاذ محمد بن ناصر العبودي: في كتابه « معجم بلاد القصيم » حيث تكلم عن منازل طريق الحج البصري الواقعة في منطقة القصيم.

٣ـ الأستاذ سعد بن عبد الله بن جنيدل : في كتابه « معجم عالية نجد » حيث تكلم عن منازل هذا الطريق الواقعة في عالية نجد.

٤ـ الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس: في كتابه «المجاز بين اليمامة والحجاز » وذلك عندما التقى بمنازل الطريق أثناء اجتيازه بين اليمامة والحجاز عند منزل «فلجة».

٥ـ الدكتورصالح بن سليمان الوشمي في رسالته لنيل درجة الماجستير وموضوعها «الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم».
ـ غير مطبوعة ـ

٦ـ الأستاذ عاتق بن غيث البلادي: في كتابه «معجم معالم الحجاز» ، ورحلته النجدية.

٧ـ الدكتور عبد الله يوسف الغانم:في كتابه «جزيرة العرب» من كتاب « الممالك والمسالك» لأبي عُبَيْد البكري.

وقد تبين لي أن بعض منازل طريق الحج البصري التبس أمرها على هؤلاء الباحثين حيث بدا الاختلاف بينهم في تحديدها واضحاً.

ومن قراءتي للنصوص القديمة في كتب التاريخ، ومعاجم البلدان وتحليلها والمقارنة بينها وتطبيقها على واقع الأرض اتضح لي أن بعض المنازل المختلف بشأنها لم تحدد أماكنها بدقة، وأن الصواب خفي على الناقد والمنقود على حد سواء.

وهذا ما حدا بي إلى إدلاء دلوي مع الدلاء في منهل تحقيق هذه المواضع.

وهذا الأمر بلاشك من الصعوبة بمكان، ولكن هذه الصعوبة سهلها علماء البلدان القدماء ومن جاء بعدهم من علمائنا الأفاضل حيث اجتهد كل واحد منهم في تحقيقه بما ظهر له أنه هو الصواب وفي نظري أنه حتى ولو لم يصل بعضهم إلى تحديد أي مكان بشكل دقيق فإنه أسهم في تمهيد الطريق أمام الباحثين من بعده، وهذا بحد ذاته عامل قوي في الوصول إلى الصواب.

فجزاهم الله خيراً على ما بذلوه من جهد، وما قدموه لنا من علم.

ولا إخال أياً منهم إلا سيسر إذا توصل من جاء بعده إلى تحقيق أي موضع بشكل واضح ودقيق لأنه هو الذي ذلل عقبات الطريق أمامه للوصول إلى ما توصل إليه.

ويبدو لي أن المهتمين بجغرافية الجزيرة العربية من أبنائها غير معذورين في وقتنا الحاضر إذا هم تقاعسوا عن تحقيق المواضع المختلف بشأنها تحقيقاً واضحاً، لاسيما بعد أن أصبحت الطرق معبدة، والسبل ميسرة، والمراجع متوفرة، ووسائل البحث متطورة.

ومن هذا المنطلق ألزمت نفسي ركوب هذا الطريق «طريق الحج البصري» الذي عَفَتْ معالمه وتهدمت أمياله، واندفنت بركه وآباره، وقوضت قصوره ومساكنه مع تعاقب السنين وسفي الرمال.

على أنني لن أطيل الكلام عن المنازل المعروفة، وإنما سيكون لي وقفات طويلة عند المنازل المختلف بشأنها، أو تلك التي لم يتطرق لها الباحثون، وسأعرج على بعض المواضع التاريخية أو تلك التي وردت في الشعر العربي وجاء لها ذكر في النصوص التي تتكلم عن منازل الطريق وذلك إتماماً للفائدة.

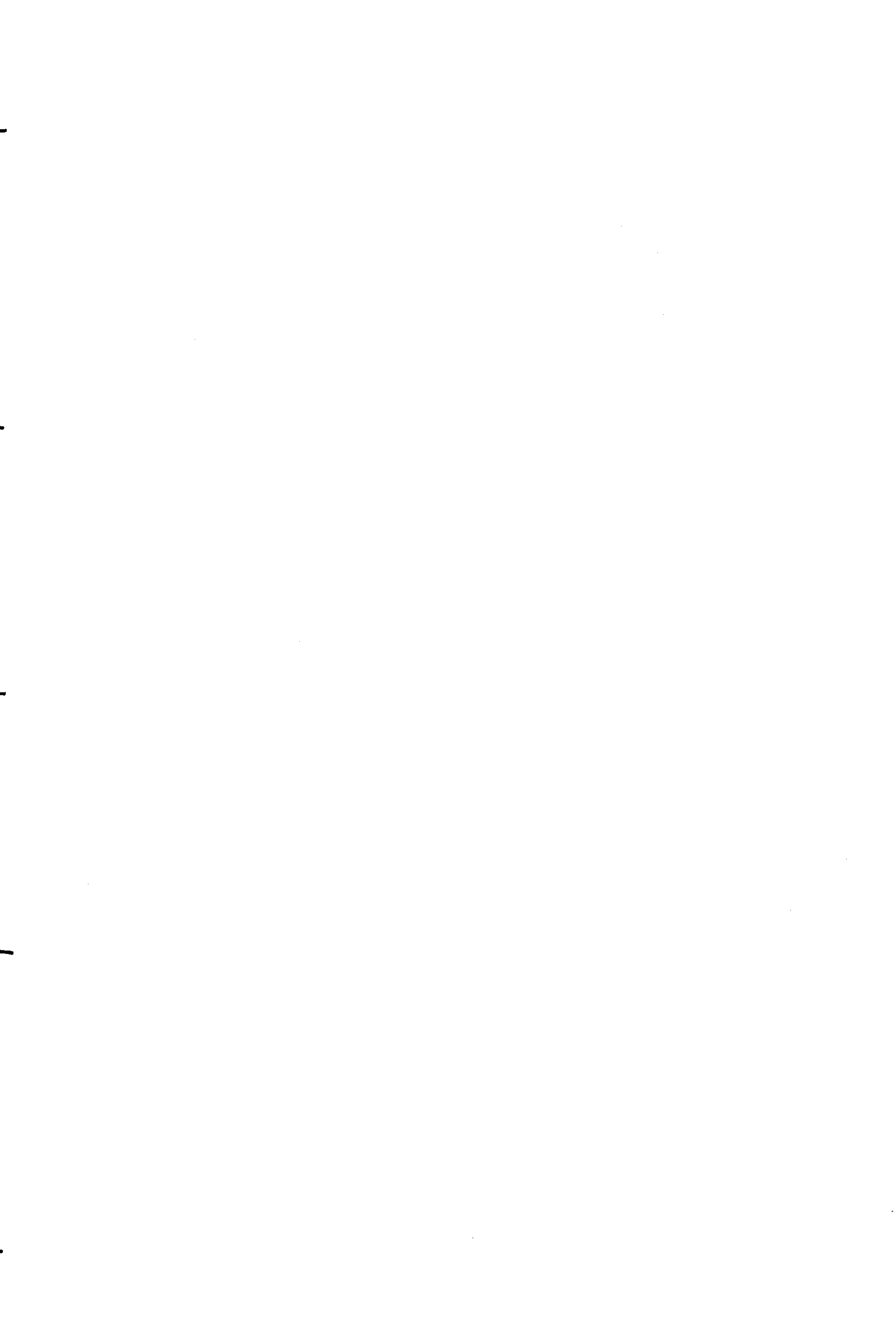
فأقول مبتدئاً سيري من منزل «النباج» حتى «ميقات ذات عرق» سائلاً من المولى الكريم العون والتسهيل، وطي السفر ونقل الخطر، ومنه الهداية والتوفيق.

الدوادمي

بتاريخ: ٢٠/ ١٢/ ١٤١٤هـ

عبد الله بن محمد الشايع

مَنْزِلُ « النّبَاج»
ومُتَعَشَّى «الصَّرِيف»



النبـــــــاج

النِّباج : هو المنزل العاشر من منازل طـريق الحج البصري بالنسبة للمصعد إلى مكة المكرمة، ويسمى في وقتنا الحاضر (الأَسْيَاحُ) تبعد عن مدينة «بريدة» خمسة وخمسين كيلاً إلى جهة الشمال الشرقي.

قال عنها صاحب كتاب «المناسك»:

(والنباج: إنمـا سميت لكثرة أهلها وكثرة الأصـوات، يقال: رجل نباج إذا كـان كثير الكلام.

ومن «السُّمينة» إلى النبـاج ثلاثة وعشرون ميـلاً، وبالنباج عين ونخل، وتجـار كثير، ومسجد، ومنبر[1]).

وقال في موضع آخر : (وبه منبر، وساكنه قريش،وبنو كريز، وألفاف من الناس[2]).

أما ياقوت الحموي فقال في رسم «النباج» عن أبي عبيد الله السكوني:

(....والنباج استنبط مـاءه عبد الله بن عامـر بن كُرَيْز، شقق فيـه عيوناً وغـرس نخلاً وولده به وساكنه رهطه بنو كريز ومن انضم اليهم من العرب[3]).

أقول: ابن عامر هذا هو: أبو عبد الـرحمن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة من بني عبد مناف بن قصي وأبوه عامر ابن عمة رسول الله ﷺ البيضاء بنت عبد المطلب.

أسلم عامـر يوم الفتح، ويكون عبـد الله بن عامـر ابن خال الخليفة عثمـان بن عفان رضي الله عنه ولي عبد الله بن عـامر إمارة البصرة في خلافة عثمان، وكـذلك في خلافة معاويـة بن أبي سفيان، وكان يـرحمه الله أميراً قائداً فـاتحاً، وقد اشتهـر بعمارة الأرض وإجراء المياه في كل مكان يحل فيه.

(١) المناسك : ٥٨٦.

(٢) المناسك :٦١٢.

(٣) معجم البلدان: ص ٥/ ٢٥٦

سبب تسميته بالنباج:

قال ياقوت قولاً يوافق صاحب كتاب المناسك المتقدم، ولكنه زاد بعض التعاريف اللغوية قائلاً:

(فهذا ما اجتهدت أنا فيه، ثم وجدت في كتاب لابن خالويه: ليس أحد ذكر اشتقاق النباج جمع النباجة، يقال: نبجت اللبن الحليب إذا جَدَحته بعود في طرفه شبه فلكة حتى يُكَرْفيء ويصير ثمالاً فيؤكل به التمر يجتحف اجتحافاً، قال: ولا يفعل ذلك أحد من العرب إلا بنو أسد، يقال:لبن نبيج ومنبوج، واسم ما ينبج به النباجة، قال وهذا حرف غريب فانظر رعاك الله، إلى هذه الدعوى والتعجرف، ثم جاء بما لا يليق أن يكون اسم موضع ...)[1].

وقد أورد لنا مؤلف «معجم بلاد القصيم» عدداً من الأقوال في رسم «الأسياح» منها قوله: (وأما الهمداني ــ رحمه الله ــ فإنه يورد معنى آخر لكلمة النباج وإن لم ينص صراحة على اشتقاق الكلمة، منه قال: النباج بلاد كثيرة القرى ... وهي عيون تنبج بالماء.

وقد ذهب أستاذنا حمد الجاسر إلى ما يشبه هذا الرأي الذي يفهم من كلام الهمداني فقال:

النِّباج .... يطلق هذا الاسم على ثلاثة مناهل في الجزيرة، كلها معروفة بكثرة الماء، ومن هنا يصح القول بأن أقرب معنى للنباج يتبادر إلى الذهن هو الاشتقاق من كلمة نبج بمعنى نبع ونبغ، ولا يزال العامة يستعملون كلمة يُنبِّجُ الماء أي: يسيل من عدة منابع ضيقة. أما تعليل الأصمعي بأن النباج سميت لكثرة أهلها، وكثرة الأصوات، يقال: رجل نباج إذا كان كثير الكلام. فهذا تعليل غريب...[2]) انتهى.

---

(١) معجم البلدان : ص ٥/ ٢٥٥

(٢) معجم بلاد القصيم: ص١ / ٣١٥

أقول: لقد وفق الأستاذ محمد العبودي فـي إيراده لهذه الأقوال حول اشتقاق مسمى «النباج».

كما وفق الشيـخ حمد الجاسـر في ماذهب إليـه من أن الاسم مأخوذ مـن كلمة يُنَبِّجُ الماء أي: يسيل ويبدو لي أن الاشتقاق الـذي أورده «ابن خالويه» وعُدَّ حرفـاً غريباً وأنه دعوى وتعجـرف؛ أنه أقـرب إلى الصواب مـن إرجاع التسمية إلـى كثرة النـاس وكثرة أصواتهم.

فهناك مواضع أخرى سميت بالنباج وهي خالية من السكان وكثرة الصياح.

ومما يـؤيد قولي هـذا أن المتأخرين أطلقـوا عليه مسمى «الأسياح» وهـو قريب من مسماه القديم أما القـول الذي قيل عنه إنه قول فيه تعجرف فيظهـر لي أنه أقرب الأقوال إلى الصواب، حيث شبه صاحب هذا القول ماء «النباج» وقربه من سطح الأرض باللبن أو الحليب الذي علت سطحـه في الإناء قشـرة سترت الحليب عن مَنْ يـريد اجتحـافه بالتمر فيضطر إلى جـدحه بعود في طرفه ما يشبه فلكـة المغزل حتى تختلط هذه القشرة بالحليب ثم يَغْمَسُ التمرة باللبن وكانت هذه من عاداتهم.

وقد ذكـر أن من يعمل هذا العمل هم بنـو أسد. ويغلب على ظني أن هذه عـادة عند كثير من العرب، ولكن ياقوتاً وكذلك ابن خالويه لم يألفا أكل التمر مغموساً في اللبن.

وقد كنا ونحن صغـار نخرج النواة من التمرة فنجعلها كـالملعقة ونغمسها في اللبن فنأكلها وذلك عندما كنا نعتمد في بيوتنا على أكل التمر مع اللبن.

ومن لم يألف هذه العادة فإنه يستغرب جَدْح اللبن، واجتحافه بالتمر.

تحديد موقع النباج:

لم يختلف علمـاء البلدان قـديماً وحـديثـاً في تحديـده، ويرجع ذلك إلى استمـرار عمارتـه وسكناه نظراً لكثرة الميـاه فيه. إلا انه مع مـرور الزمن، وهجر الطـريق تهدمت

مساكـن هذا المنزل وانطمست معـالمه بسبب دخـوله وسط النخيل والمـزارع، ولكن الأستـاذ محمد العبـودي حـدد مكـان بركـة هـذا المنزل بكل دقـة حيث قـال في رسم «البرقا»:

(البرقـا ... محلة من محلات الأسياح (النبـاج قديماً). واقعة إلى الشمـال من بلدة «عين ابن فهيد» مركز ناحية الأسياح ويوجد في برقـا بقايا آثار بركة زبيدية عظيمة يأتيها الماء من جهة الشمال من وادي الجوارم.

وتقع البركـة الزبيـدية إلى الغرب مـن «برقا» ويحـدها من الشمـال الأسياح، نخيل محدثة تشرب من عين آتية من المرتفعات الصخـرية الغربية صفراء الأسياح كغيرها من عيون الأسياح.

ومع ارتفاع منسوب المياه فـي تلك المنطقة فإن آثار البركة الزبيـدية آخذ في الزوال مع الأسف الشديد[١] ...).

أما الدكتور صالح بن سليمان الوشمي فيقول:

(ثانيـاً : بركـة «النباج» الأسياح: تقع في مكـان يعرف بـالَبْرقَـاء من الأسياح وداخل أحراج النخيل التـابعة لمـزرعة ونخيل للحمد من آل فهيـد. تبعد عن مكـان القصر من جهته الشمـالية الغربية مسـافة ٣كم تقريبـاً شكلها مستطيل مساحتها التقـريبية ١٦×٤٠ متراً[٢]).

---

(١) معجم بلاد القصيم: ص ٢/ ٤٥٢.

(٢) رسالة: (الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحجر العراقي على منطقة القصيم): ص ١٥٤.

الرحلة الميدانية

كانت«النباج» هي المنزل الذي يفترق فيه حاج البصرة: فمن يريد منهم مكة المكرمة يستمر مع الطريق باتجاه الجنوب الغربي مروراً بالصريف، ثم العوسجة، ثم القريتين.

أما من يريد المدينة المنورة فيتجه إلى أثال، ثم عيون ابن عامر «عيون الجواء حالياً» ثم الفَوَّارَة ليلتقوا بحاج الكوفة في منزل «النقرة».

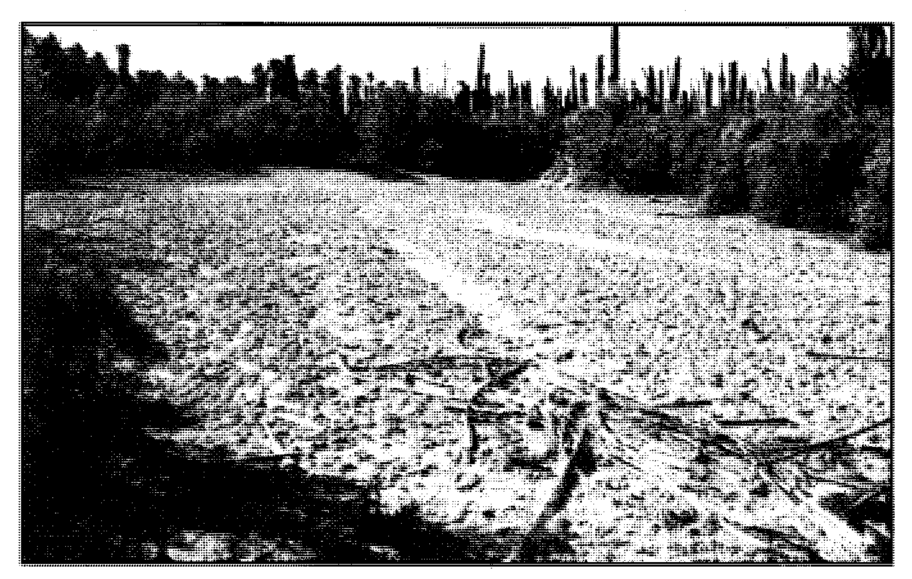
وقد سلكت هذا الطريق عند تحقيقي لبعض المواضع الواقعة على هذا الطريق وهي مواضع وردت في آخر معلقة امرىء القيس تكلمت عنها في كتابي «الثاني».

أما في هذه الرحلة فسيكون الاتجاه نحو الجنوب الغربي، ولكن قبل المسير من النباج لابد لنا من الوقوف على آثار منزله الذي لم يتضح منه إلا بركته الواسعة.

كان يرافقني في هذه الرحلة الأستاذ سعد الماضي، وعند وصولنا إلى الأسياح سألنا أحد المواطنين عن مكان البركة فقال: إنه يسمع عنها ولكنه لم يقف عليها، وكان بالقرب منا رجل فاضل يسمع ما يدور بيننا وبكل طيبة قال:أنا أعرف موقعها وسأدلكم عليها، وتفضل مشكوراً بمرافقتنا حتى أوقفنا على مكانها.

أقول مكانها لأنها الآن أصبحت أثراً بعد عين فهي عبارة عن مساحة صغيرة واقعة بين النخيل المهملة المتشابكة، ويصعب الوصول اليها نظراً لوقوعها في وسط مخلفات من جذوع النخل والعُسُب اليابسة وبعض أشجار الطرفاء، ويظهر أن موقعها سوي لزراعته فيما يبدو، وهذه التسوية أزالت ما بقي من معالمها الظاهرة، وقد صدق حدس أستاذنا محمد العبودي حينما قال: (إنها آخذة بالزوال مع الأسف الشديد).

ولولا تأكيد من دَلّنَا عليها بأنه يعرفها من صغره لأنه كان يصطاد عليها الطيور، وكذلك وجود كثير من حجارتها التي استخدمها أصحاب الأملاك المجاورة في تحديد أملاكهم لَمَا أمكننا التعرف عليها. **انظر إلى صورة مكانها المنظر رقم (١)**



منظر رقم (١) صورة مكان بركة منزل «النباج» بين نخيل الأسياح.

ومكان هذه البركة واقع على خط العرض ٢٠ً ٤٧َ ٢٦ْ وخط الطول ٢ً ١٣َ ٤٤ْ.

ومن هذا الموقع اتجهنا إلى المنزل الذي يليه وهو متعشى «الصَّرِيف».

الصريف

عندما يعدد المؤرخون وعلماء البلدان منازل الطريق فإنهم في الغالب لا يذكرون إلا المنازل الرئيسية ويطلقون على ما بين كل منزل والذي يليه «مَرْحلة» ومتوسط مسافة المرحلة خمسة وعشرون ميلاً أي ما يقارب خمسين كيلاً.

ولما كانت هذه المسافة شاقة على الإبل والمسافرين فقد وضعوا بين كل منزل والذي يليه مكان استراحة أسموه مُتَعَشَّى.

والصريف هو أحد هذه المتعشيات.

وممن اهتم بذكر المنازل ومابينها من استراحات أبوإسحاق الحربي في كتابه «المناسك» فكان له الفضل في تعرفنا على تلك المنازل وما بينها من متعشيات بكل دقة.

حيث نجده يقول عن متعشى «الصريف»:

(أخبرني ابن أبي سعد عن النوفلي عن أبيه أن على عشرة أميال من النباج بلد لبني أسَيِّد، قُفٌ يعترض الطريق، مرتفع، به نخل، يقال له الصريف للعرب فيه أشعار، ثم العوسجة ومن النباج إلى العوسجة تسعة عشر ميلاً وبها آبار قريبة الماء)[1].

وفي أرجوزة الطريق التي عدد فيها الجهضمي منازل الطريق ذكر «الصريف» حيث قال:

الصريف متعشى

حتى إذا مرت على الصريف — حديثة العهد بأرض الريف

فانجذبت تسبق كالخذروف

تشكو الحفا دامية المناسم — في سبب جدب المندًا قاتم

أغبر ذي قُفٍّ وذي صرائم

---

(١) كتاب المناسك: ص ٥٨٧.

وعن الصريف يقول ياقوت الحموي:

(.... هو موضع من النباج على عشرة أميال وهو بلد لبني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم معترض للطريق مرتفع به نخل، وقال السكري: هؤلاء أخلاط حنظلة .[1])

وعن المسافة بين النباج والصريف قال أبو عبيدة:

(الصريف: فوق النباج بفرسخين)[2].

وقد أوضح لنا مؤلف «معجم بلاد القصيم» موقع آبار «الصريف» إيضاحاً كافياً حيث قال في رسم الصريف:

(الصريف: ماء واقع في شرقي القصيم في المنطقة المحاذية لمدينة بريدة من جهة الشرق على بعد حوالي ٢٧ كيلاً. وهو جو فيه آبار قريبة القعر، ماؤها مالح.

وليس في الصريف عمارة في الوقت الحاضر ماعدا أثلة قديمة جداً يظهر قدمها من ضخامة جذوعها التي تدل أن أخشابها قطعت عشرات المرات تسميها العامة«أثلة ميثا» وميثا هذه من أبطال قصة ستأتي مستوفاة في رسم«قصر مارد»[3] إن شاء الله.

وتوجد إلى الشمال من الصريف آثار بيوت طينية مندرسة وفيه مقبرة ظاهرة فيها قبور قديمة وقبور حديثة ....) انتهى قوله باختصار.

من هذه النصوص عرفنا أن « الصريف» يقع إلى جهة الجنوب مع ميل إلى الغرب بالنسبة لمنزل «النباج» وذلك على بعد عشرة أميال أي ما يقارب عشرين كيلاً.

وعلى هذا الأساس توجهنا إلى متعشى «الصريف»، وعندما توقعنا أننا على مقربة منه بدأنا نسأل من نصادفه، ولما كان مسمى الصريف يطلق على منطقة واسعة تقع حول آبار الصريف القديمة فقد خلط بعضهم بين آبار الصريف وبين أطلال مبان طينية

---

(١) معجم البلدان : ص ٣/ ٤٠٣.

(٢) انظر معجم بلاد القصيم: ص٤/ ١٣٤٣.

(٣) لم يورد القصة في رسم «قصر مارد» وإنما أوردها في رسم «الأسياح».

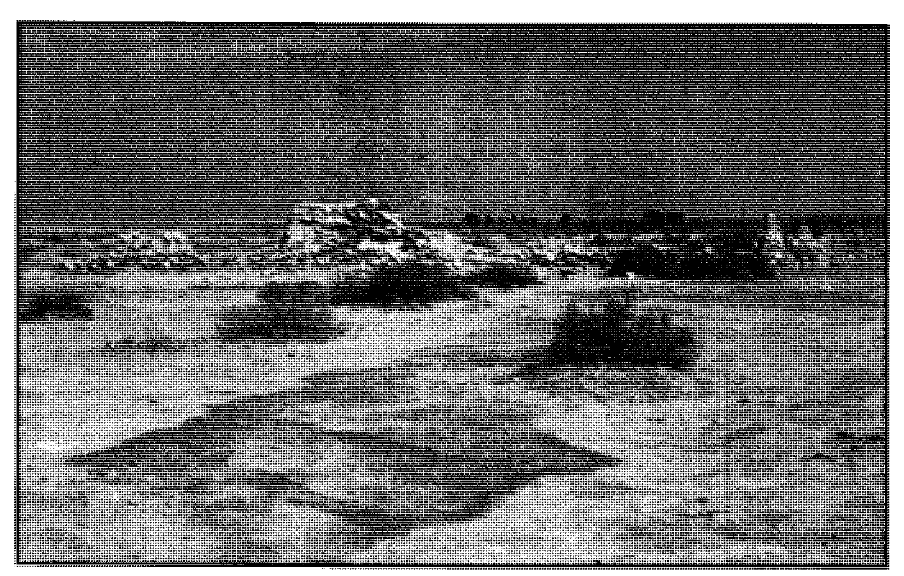
وآبار زراعية تقع شمالاً من الآبار القديمة غير بعيد منها ولكن هذه المباني والآبار واقعة في شرقي « فيضة السِّكَّة» وقد تنبهنا أنها ليست هي متعشى الصريف لوقوعها في مكان منخفض في طرف الروضة، بينما النصوص أوضحت أن آبار الصريف في قف مرتفع.

وقد دلنا على الآبار القديمة رجل كبير السن وجدناه عند إبله، وبالوقوف عليها تبين أنها عدة آبار متقاربة قريبة الماء حيث لا يبعد الماء عن سطح الأرض أكثر من قامة الرجل ولكنها مهجورة وقد اندفن بعضها ويوجد بجانب اثنتين منها أطلال مساكن قديمة بنيت بالحجارة، وتقع أثلة «ميثا» التي أشار اليها الأستاذ العبودي إلى جهة الشرق من الآبار غير بعيد منها، والواقع أنها ليست أثلة واحدة ولكنها عدة ركائز من الأثل، وقد تكون أكبرهن أثلة «ميثا».

كما تقع المقبرة قريباً من الأثل في مرتفع باتجاه مطلع الشمس وقد وضع حول القبور تل ترابي غير مرتفع. والمتفحص للأرض الواقعة بين الأثل والآبار يلحظ وجود آثار لمساكن وزراعة قديمة مما يدل على أن هذا الموقع هو الصريف الذي ذكرته النصوص القديمة فكل الشواهد تدل على ذلك فهو واقع في قُفٍّ من الأرض.

وتقع آبار الصريف على خط العرض ٤٩ً ٣٣َ ٢٦ْ وخط الطول ٢٦ً ١٢َ ٤٤ْ وانظر إلى صورة المباني القديمة الواقعة بجوار الآبار الصورتين رقم (٢) ورقم (٣) وانظر إلى إحدى الآبار حيث يبدو الماء قريباً كما حكت لنا النصوص.

لقد حرصت كثيراً على ضبط المسافة بين النباج وبين متعشى الصريف لأن معرفتها تدلنا على المسافة بين الصريف وبين منزل «العوسجة» لأنه محل خلاف بين علماء البلدان في وقتنا الحاضر، وقد اتضح لنا أن المسافة بين «الصريف» وبين منزل«النباج» خمسة وعشرون كيلاً على السَّمْت أي ما يعادل اثني عشر ميلاً ونصف الميل وذلك إذا اعتبرنا أن الميل الواحد من أميال الطريق يساوي ألفي متر.



منظر رقم (٢) صورة أطلال مبان قديمة في متعشى «الصريف» قرب الآبار، وترى «أثلة ميثاء» إلى جهة الشرق من الآبار غير بعيد منها.



منظر رقم (٣) إحدى آبار «الصريف» القريبة الماء، ويرى بالقرب منها أنقاض بعض المساكن

ولكن هـذا الفـرق البسيط بين القيـاس على الطبيعـة وبين مـا ورد في النصـوص لا يشكل عائقاً دون القول بأن هذه الآبار هي متعشى الصريف.

علماً بأن ياقوتاً الحموي، والحربي ذكـرا أن المسافة بين النباج وبين الصريف عشرة أميال بينما قال أبو عبيدة في كتاب النقائض إنها فرسخان فقط.

فإذا عرفنا أن الفرسخين تعادل ستة أميال فقط أدركنا أن هذا القول ليس دقيقاً إلا إذا كان قصـد بقوله هذا أقـرب جهة من منطقة الصريف من النبـاج، وأبو عبيدة عندمـا قال هذا القول لـم يكن يتحدث عن منزل حاج البصـرة وإنما كان يشرح بيتاً مـن الشعر ذكر فيه «جَريـرٌ» الصَّرِيفَ ومهما يكن من شيء فإن من الثابت عنـد المتقدمين والمتأخرين أن آبار الصريف هي هـذه الآبار التي تكلمنا عنها. ومنها سنعرف البعـد بينها وبين منزل «العَوْسَجَة» الذي يهمنا معرفته وتحديد مكانه بدقة للخلاف الحاصل بشأنه.

وحيث قيل إن المسافة بين «النبـاج» وبين «العوسجة» تسعة عشر ميـلاً أي ما يعادل ثمانيـة وثلاثين كيـلاً تصبح المسافة بيـن الصريف ومنزل العوسجة ٣٨ــ٢٥= ١٣ كيلاً وذلك يعني أن علينا قطع ثلاثة عشر كيلاً فقط لنصل إلى منزل «العوسجة».

وحسب هـذه القياسـات فقد قدرت مـوقع « العـوسجة» على الخـارطة شمـال بلد «الرُّبَيْعِيَّة» مع ميل إلى جهة الغرب على بعد ثمانية أكيال منها تقريباً.

إيضاح لابد منه:

سنهتدي إن شاء الله إلى تحديـد المنازل المختلف بشأنها، أو تلك التي لم تحدد من قَبْل، عن طريق تقـدير المسافة بين كل منزل والمنـزل الذي يليه سواء كـان هذا المنزل محطة رئيسية أو متعشى.

فالمؤرخـون وعلماء البلدان القدمـاء لم يبخلوا علينا بالإيضـاح الكافي عن الأبعاد بين المنازل حيث أوضحوا ذلك بالأميال ولكن قد يُثار سؤال مفاده :

وكم يساوي الميل الواحد من الأمتار حتى نعرف البعد بالأكيال ؟

أقول:إن معرفة ذلك ضرورية لأي باحث يريد العثور على أي منزل من هذه المنازل.

وقد أوضحت في بحثي الخاص بتحقيق منزل «إمَّرَة» الذي تضمنه كتابي الأول كبحث مستقل أنني اعتبرت الميل الواحد ألفَي متر أي أن كل ميل يساوي كيلين اثنين وذلك حسبما تأكد لي من القياس على الطبيعة بين منزل «رَامَة» ومنزل «إمَّرَة».

والأقوال متضاربة حول تقدير الميل إذا ما أريد تحويله إلى أمتار وإليك بعض ما قيل بهذا الشأن :

أولاً- يقول صاحب اللِّسَان: (الميل من الأرض: قدر منتهى مَدَى البصر من الميل إلى الميل).

أقول: ليس كل ما ينتهي إليه البصر قدره ميل. فنحن نشاهد الجبل الكبير من مسافة عشرات الأميال ولكن صاحب اللسان أراد ما ينتهي إليه البصر من أميال الطريق لكونها بُنِيَت على علو وسماكة يراها صاحب النظر العادي من هذه المسافة التي قدروها بالميل.ولازال الناس إلى وقتنا الحاضر يسمون ما تُغطَّى به «المكْحَلَة» الذي تُمِرُّه المرأة بين جفني كل عين من عينيها عندما تكتحل «ميلاً» تشبيهاً لهذا البنيان الدقيق المبني على امتداد الطريق عندما يشاهد من بُعد، وإن خالف هذا قولاً للأصمعي. فالأصمعي - رحمه الله- له مخالفات كثيرة لأهل اللُّغة .

ثانياً : الميل : مقياس للطول في وقتنا الحاضر يساوي (١٦٠٩) من الأمتار يستخدم أكثر ما يستخدم في الولايات المتحدة الأمريكية في حين تستخدم سائر بلدان العالم الكيل بدلاً منه[١].

---

(١) انظر موسوعة المورد: ص ٧/ ٣٠.

ثالثاً: الميل الشرعي الهاشمي يساوي (١٨٤٨) متراً[١].

رابعاً: يقول الشيخ حمد الجاسر: (قست الميل الذي قدرت به المسافات في طريق الحج الكوفي فوجدته بين ٢٣٠ و ٢١٠ متراً[٢]).ويبدو لي أن الطابع أغفل صفراً من اليمين وأن صحة ما ذكره الشيخ حمد هو ٢٣٠٠ و ٢١٠٠ متراً.

خامساً: يقول معدو التقرير المبدئي عن المرحلة الرابعة لمسح درب زبيدة عام ١٣٩٩هـ عند كلامهم عن قَرَوْرى (سْنَافْ اللَّحْم):

(ترتبط به سبعة معالم على طول الطريق ـ أي بينه وبين الحميمة الجنوبية ـ بينها مسافات منتظمة (٢كم) بين كل معلمين، بحيث يمكن مشاهدة الواحد منها من موقع الآخر[٣]).

من هذه الأقوال مجتمعة وخاصة ما جاء في دورية «أطلال» ولقياسي لبعض أميال طريق حاج البصرة بين منزلي رامة وإمَّرَة فقد تبين لي أن المسافة بين كل ميل والميل الآخر في طريقي الحج العراقي تبلغ أَلفي متر أي كيلين اثنين.

أما القياس الذي قام به شيخنا حمد الجاسر في طريق الحج الكوفي فقد تكون الزيادة الحاصلة فوق الألفي متر ناتجة من تعرج الطريق، أو أن واضعي الأميال عند بنائها لم يتقيدوا في أماكن بعضها لاعتبارات منها:

١ ـ أن المكان المحدد لوضع علامة الميل كان في مجرى سيل أو مكان منخفض لا يراه القادم إليه.

٢ـ اختيارهم لمكان ناشز من الأرض لوضع الميل سواء زادت الأمتار أو نقصت.

على أن هذا التقديم والتأخير لا يؤثر بالتالي على المسافة الإجمالية بين كل منزل وآخر.

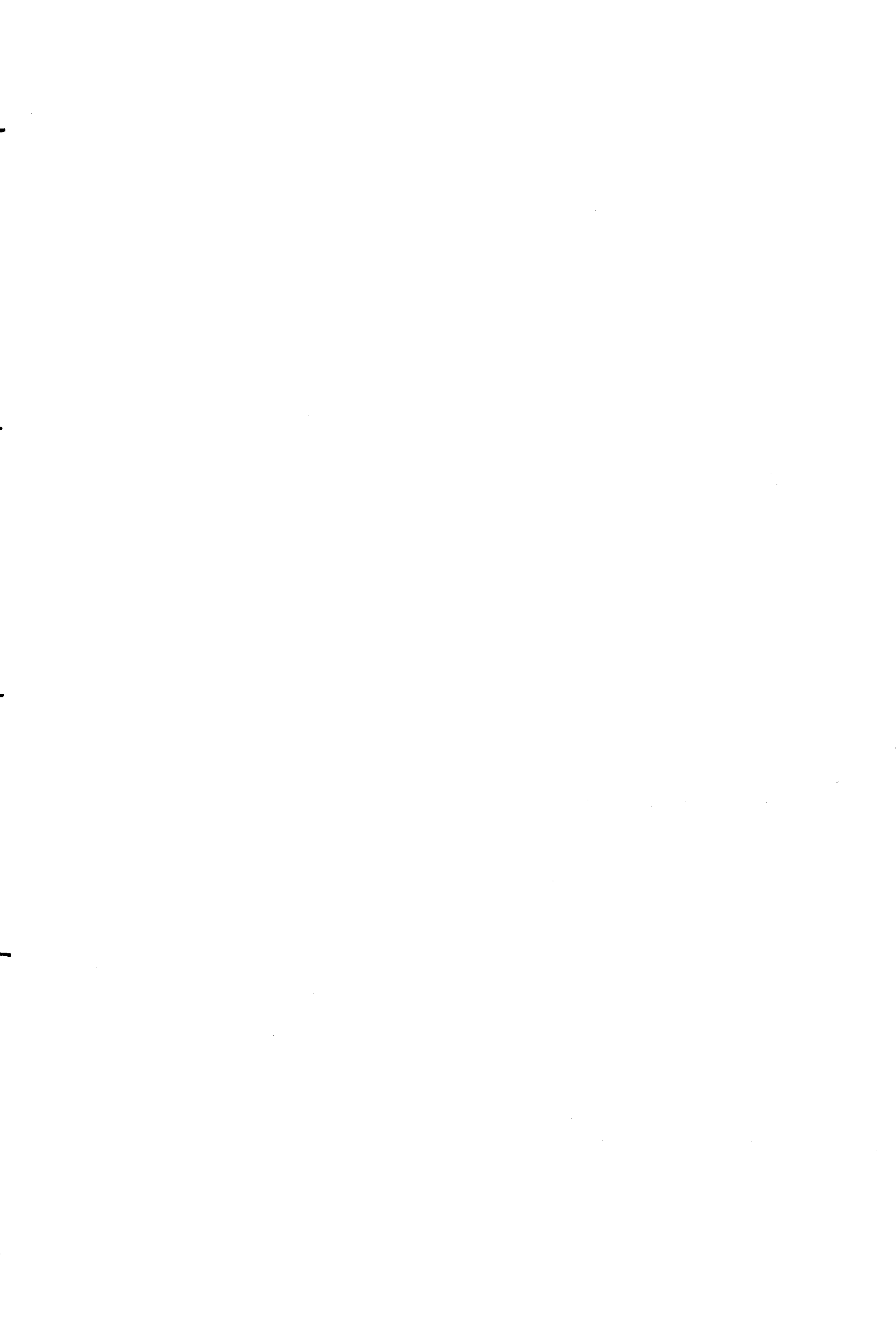
ولذا فإن حسابي للمسافات سيكون حسبما بدا لي أنه الأقرب للصواب وبالله التوفيق.

---

(١) انظر معجم لغة الفقهاء: ص ٤٧٠.

(٢) معجم شمال المملكة: ص١/ ٢٦٥ ٢٦٦.

(٣) حولية الأطلال العربية السعودية (أطلال) صفحة (٣٧) من العدد الرابع سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م



منزل «العَوْسَجة»

العَوْسَجة

العَوْسَجة: جمعها عَوْسَجٌ، وهو نبات شوكي له ثمر صغير لونه أحمر كأنه خرز العقيق، ويسميه الناس اليوم «العَوْشَز» بإبدال السين شيناً، والجيم زاياً.

وكثيراً مايسمي العرب بعض الأماكن بنوع النبات الموجود فيها وتتميز به. وفي منطقة القصيم ثلاثة مواضع متقاربة سميت باسم هذا النبات وهي:

١ـ العوشزية : بلدة عامرة تقع شرق مدينة «عنيزة» غير بعيد منها.

٢ـ خب العوشز: أحد الخبوب القريبة من مدينة «بريدة».

٣ـ العوشزية : أو على الأصح «العوسجة» وهي منزل من منازل حاج البصرة بين «النباج» وبين « القريتين».

وهذا الموضع هو ما نسعى إلى تحقيقه هنا. لكوني لم أقتنع بأنه أحد الموضعين اللَّذَين قيل عنهما إنهما منزل العوسجة، وهما: بلدة «العوشزية»، أو «خب العوشز».

فلنلق نظرة على ماقاله الباحثون في زماننا هذا عن منزل «العوسجة»:

أولاً: يقول الشيخ حمد الجاسر تعليقاً على قول أبي إسحق الحربي: (ثم العوسجة: ومن النباج إلى العوسجة تسعة عشر ميلاً وبها آبار قريبة الماء. ثم القريتين[1]...)

قال: (العوسجة، تعرف الآن باسم (العوشزية) قرية كبيرة، ولكنها لا تقع في اتجاه مكة بل تميل نحو الجنوب كثيراً، ولعل طريق الحاج كان يدع الرمال يميناً، ويسير متجهاً نحو الجنوب حتى يصل العوسجة (العوشزية) وتقع بقرب الدرجة ٥٠ ٢٦ و ١٠ ٤٤)

أقول: كأني بالشيخ حمد لم يكن مقتنعاً تمام الاقتناع بأن بلدة العوشزية هي منزل «العوسجة» لكونها لا تقع في الاتجاه الصحيح لسير الحاج إلى مكة لأنها مائلة نحو

---

(١) كتاب المناسك: ص ٥٨٨.

الجنوب عن الطـريق، وأُضيفُ إلى هذا دليـلاً أقوى يؤيـد أنها ليست «العـوسجة» التي ينزلها الحاج قبل القريتين وهذا الدليل هو:

إن المسافة بين النباج والعـوسجة تسعة عشر ميلاً أي مايعادل ثمـانية وثلاثين كيلاً. فإذا عرفنا أن المسافـة بين النباج وبين بلدة «العوشزية» تبلـغ تسعة وسبعين كيلاً. أي ما يعادل أربعين ميلاً تقـريباً فهذه المسافة ضعف المسـافة التي حددها القـدماء بين النباج وبين العوسجـة، ومسافـة تسعة وسبعين كيلاً يقطعهـا الحجيج في مرحلتين لا مـرحلة واحدة.

فلذا أقول جازماً : إن العوشزية ليست منزل «العوسجة».

ثانياً : يقول الأستاذ محمد بن ناصر العبودي في كتابه «معجم بلاد القصيم»:

(خب العَوْشَز ... وقد سمي «خب العوشز» بذلـك لكثرة شجر العوشز فيه في قديم الزمان.

وعن شيخ مسن رواية للأخبار قال:

كان خبّ العوشز في القـديم يوجد فيه وما حوله إلى جهة الشمـال منه أشجار كثيفة من شجر العوشز، وكان يسمى «العوشـزي» أي : «العوسجي» وكانت فيه مياه تأتي إليه من الجهة الجنوبيةمن «المَطَّاء» التي كانت تسمى قـديماً(الموطا) فكان أهالي الخبوب (بالخاء) والقرى المجاورة يتركون فيـه مايستغنون عن استخدامه من إبلهم هملاً ترعى الشجر وتشرب من الماء الموجود في شماليه...

قال: فلما غرس هذا المكان وعمر سمي «خب العوشز».

أقول:ــ القول لمـؤلف معجم بـلاد القصيم ــ وهو بـلاشك عنـدي «عوسجـة» أو عويسجة التي كان يمـر بها حاج البصرة وينزلونها بعـد النباج (الأسياح) وقبل القريتين فهي تقع على خط سير الإبل من الأسيـاح إلى العسكرة إحدى القريتين وهي العَيَّـاريَّة. ثـم رامة ثـم إمِّرَة. قلنا : إنـه الذي كـان يسمى «عوسجـة» أو «عويسجة» في القـديم فلم يتغير من اسمه شيء إلا النطق بالسين زاياً ...

أما أستاذنا حمد الجاسر فلكونه لم يصل إلى علمه أن «خَبَّ العوشز» هذا يقع في طريق القوافل المتجهة من الأسياح إلى مكة فقد قال: إنَّ عوسجة ربما كانت هي «العوشزية»...

وقد أوضحنا خط سير الحاج البصري من الأسياح (النباج قديماً) إلى مكة وطريقهم منها إلى المدينة في الخارطة التي طبعناها لهذا الغرض إلا أننا لم نرسم الطريق الذي يمر بخب العوشز، لأنه ليس الطريق السلطاني فيما نعتقد، وإنما هو يسلك في بعض الأحيان كما أن احتمال كون الحاج البصري يذهب من الصريف إلى قرية «العوشزية» شرقي عنيزة تجنباً للرمال يرد عليه ما جاء في الرجز الذي أنشأه وَهْبُ بن جرير بن حازم الجهضمي، في وصف منازل الطريق ونص فيه على أن الحاج لايتجنبون الرمال بل يركبونها إذ قال بعد أن ذكر مرور الحاج على الصريف:

حتى إذا أتت على القصيم وخَلَّفَتْ أرض بني تميم

قلت لها جِدِّي ولا تقيمي

فانطلقت تَنْحَطُّ في رماله مثل انحطاط الوعل في جباله

ويريد بذلك الرمل الواقع إلى الشمال من الربيعية والركيَّة، وهذا يتفق مع بقاء بركة زبيدية وآثار أخرى ماثلة في طريق الحاج في تلك المنطقة وتسمى «البريكة» وسبق ذكرها ومن هنا يذهبون إلى القاع الأبيض الذي كان يسمى قديماً «قاع بولان» إلى الشمال من مجرى وادى الرمة إلى جهة الغرب من الربيعية ومن هناك إلى «القُرَيَّة» بتشديد الياء وهي قرية ابن عامر إحدى القريتين في القديم.

ولكن بعض المراجع ذكرت بعد النباج وقبل القريتين «العوسجة» فكيف يجمع بين ذلك؟

الجواب:

إنه كان لحاج البصرة الذي يخرج من النباج (الأسياح) إلى مكة طريقان:

أحدهما يمر بالصريف فرمال القصيم فقاع بولان فقرية ابن عامر ثم رمال عجلز وهي في الغميس فرامة.

والثاني: يمر بالعوشزة فالعسكرة (العيارية) إحدى القريتين فرامة.

والأول هو الذي ذكره الإمام أبو اسحاق الحربي مفصلاً في الرجز الذي أنشده لوهب ابن جرير في طريق البصرة حيث رتب المنازل كما يلي:

النباج، الصريف، رمل القصيم، قاع بولان، والقريتين.

أما الثاني: فذكره في سياق كلامه على عدد منازل طريق البصرة ومنابره فقال:

النباج، عويسجة، القريتان، رامة.

كما ذكر في المسافات أن بين النباج والصريف عشرة أميال وأن من النباج إلى العوسجة تسعة عشر ميلاً وهذا يؤكد ماقلته إذ لو كان المراد بعوسجة العوشزية لكانت المسافة بينها وبين النباج (الأسياح) أكثر بكثير مما ذكره ولذكر المسافة بينها وبين الصريف.

ولكن الواقع كان أن الذي يمر بالصريف لايمر بالعوسجة وهذا هو الذي عليه الناس اليوم إذ من يمر بالصريف لا يمر بخب العوشز لأنه بذلك ينفق جهداً لاداعي له إذ هما ليسا في اتجاه قصد واحد وإنما خب العوشز مائل إلى جهة اليمين قليلاً والسبب الذي جعل للنباج إلى القريتين طريقين هو تفاوت موقع القريتين اللتين هما قريتا ابن عامر وإحداهما شرقية وهي التي الآن تدعى (القُرَيَّة) والأخرى غربية وهي التي تسمى الآن (العَيَّارِيَّة) فالذي يخرج من العيارية قاصداً النباج يكون مروره على «خب العوشز» عوسجة قديماً أيسر وأقرب أما العوشزية فليس في المرور عليها شيء من اليسر أو القرب فيما نتصوره.

والدليل على ما ذكرناه نص أورده الهجري وأشار إلى أن هناك من القريتين إلى النباج منزلين إذ قال في معرض كلامه على ضرية:

فإن خرج من ضرية يريد البصرة شرب بطخفة، ثم إمرة، ثم الفريش، وبين الفريش والنباج أربعون ميلاً في المنزلين جميعاً ثم العوسجة، ثم النباج.

ولاشك أن كلمة الفريش فيه محرفة عن القريتين...

وقوله بعد ذكر القريتين (في المنزلين جميعاً) يشير إلى ماقلته من أن من يمر بالعسكرة (العيارية حاليا) وهي الغربية من القريتين لا يمر بقرية ابن عامر (العيارية حالياً).

ومن يمر بقرية ابن عامر لايمر بالعوسجة التي هي «خب العوشز حالياً» [1]).

انتهى قوله باختصار.

سأرجىء مناقشتي لما جاء في رأي مؤلف «معجم بلاد القصيم» نظراً لأن دربنا عندما جاوز متعشى «الصَّريف»بالاتجاه إلى «عوسجة» كثر فيه العوسج، وتشابكت أغصانه فتاه الدليل؛ فَمِنْ قائل: إن «عوسجة» هي بلدة «العوشزية» الواقعة شرقي «عنيزة» على بعد أربعة عشر كيلاً.

ومِنْ قائل: إنها «خَبُ العَوْشَز» الواقع جنوبي «بريدة».

وإذا ما ألقينا نظرة على ماقاله مؤلف «معجم بلاد القصيم» في رسم «خب العوشز»، ورسم «القُرَيَّةِ» وماله علاقة بهما مثل: «الزُّريب» و «رَمَادة» فإن الأمر يزداد تداخلاً وغموضاً، وحتى لا يقع القارىء فيما وقعت فيه من حيرة حيال هذا التشابك الغريب قبل أن أقف على هذه المواضع وأتجول بينها فقد فضلت قبل مناقشة الأقوال المتقدمة أن نواصل رحلتنا التي توقفنا فيها في «الصريف» لنتجه إلى المنزل الذي يليه وهو «العوسجة» أو «عويسجة».

---

(١) معجم بلاد القصيم: من صفحة ٨٥٢ إلى ٨٥٧.

عسى أن نستطيع تقليم بعض أغصان العوسج المتشابك ليسهل علينا شق الطريق إلى منزل «عويسجة» لنتمكن على ضوء ما نتوصل إليه من مناقشة ماورد في رأي صاحب «معجم بلاد القصيم» فأقول:

عند توقفنا في متعشى «الصريف» قمت بإجراء القياسات اللازمة لمعرفة المسافات فتبين أن المسافة بين النباج والعوسجة ثمانية وثلاثون كيلاً، وأن المسافة بين النباج والصريف خمسة وعشرون كيلاً فإذا واصلنا السير باتجاه «عوسجة» فإن علينا قطع ثلاثة عشر كيلاً فقط، وجميع هذه القياسات على السَّمْت.

كان اتجاهنا إلى عوسجة نحو الجنوب مع ميل إلى الغرب قليلاً، وعندما تركنا أرض بني تميم وَقُفَّهم وأثلة «ميثا» أيضاً، دخلنا في رمال القصيم نعلو تارة ونهبط أخرى، وقد أغَذَّينا السير خشية غوص عجلات راحلتنا في رمال القصيم فيكون الجهضمي وناقته خيراً منا حيث قال في أرجوزته وهو يقطع هذه الرمال:

حتى إذا أوفت على القصيم وخَلَّفَتْ أرض بنْي تميم

قلت لها جِدِّي ولا تقيمي

فانطلقت تَنْحَطُّ في رماله مثل انحطاط الوعل في جباله

وعندما حاذينا «الركيَّة» بدأنا التطلع إلى منزل «عوسجة» ولكن من الصعوبة بمكان العثور على آثار مطمورة بالرمال إلا بدليلٍ عارف بها.

وقد صادفنا بعض الشباب في سيارتهم فسألناهم عما إذا كانوا يعرفون في هذه الناحية بركة قديمة؟ وكان أكبرهم سناً يظهر من كلامه أنه على مستوى من العلم والخلق الرفيع، ومن حسن الحظ أنه سبق أن زار الموضع ووقف عليه فاستعدوا مشكورين لإرشادنا إليها وعندما اقتربنا من المكان انحصر الطريق بين كثبان الرمال العالية؛ من الغرب امتداد رمال الغميس، ومن الشرق رمال صعافيق، وسيرنا مع مجرى وادي «الرمة» الذي يختفي في الرمال مرة ويظهر أخرى.

وكنت حريصاً كل الحرص على تفحص نـوع النبات عسى أن أرى شجر «العوسج» الذي هو سبب تسمية هذا المنزل بـ «عوسجة» ولكني لم أر إلا شجر «الرمث».

وعندمـا وصلنا إلى المـوقع شاهـدت شجيرات العـوسج بجواره، وهـذا ما جعلني أجزم جزماً قاطعاً بأن هذا الموقع المسمى «البريكة» ماهو إلا منزل «عَوْسَجَة».

لقد ودعنا الشباب شاكـرين لهم حسن تعاونهم معنا لأننا سنطيل المكث بين أطلال هذا المنزل، وعويسجاته.

وصف الموقع:

آثار هـذا المنزل واقعة شمـال بلدة «الربيعية» غيـر بعيد منها في مكـان محصور بين الكثبان الرملية من جهة الشرق والغرب، أمـا من جهتي الشمال والجنوب فيوجد طريق مسلوك ولكنه رملي في كثير من أجزائه.

والموقع في مجرى وادي الرمة عندما يضيق مجراه في الرمال ويتلاشى أو يكاد.

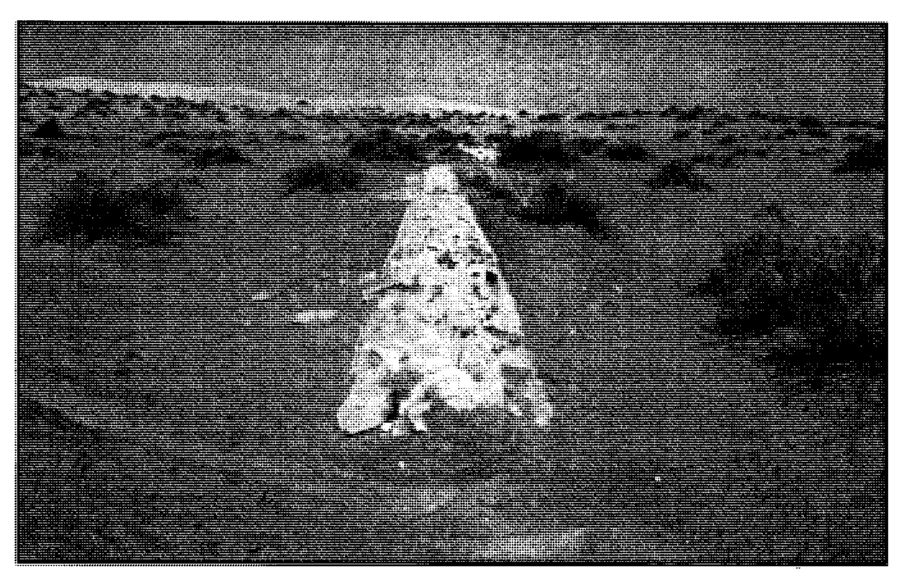
يوجـد في الجهة الجنـوبية الغـربية من المـوقع ظهر جـدار سميك مبني بـالحجارة ومطلي بمادة بيضـاء تشبه الجص ومـا برز منه يبلغ علـوه نصف المتر تقـريباً في بعض أجزائه، وهـذا الجدار ممتـد من الجنوب إلى الشمال وبقيـاسه تبين أن جـزءه الجنوبي ثلاثة وعشرون متراً ثم ينحرف باتجاه الشمـال الشرقي مشكلاً شبه زاوية منفرجة بطول مترين ونصف ثم يعتـدل باتجاه الشمال ويبلـغ جزؤه الشمالي أحد عشـر متراً وسبعين سنتيمتراً، وبذا يكون امتداد هذا الجدار ما يقارب سبعة وثلاثين متراً.

ومن المحتمل أن يكون هذا الحائط أحد أضلاع بركة كبيرة.

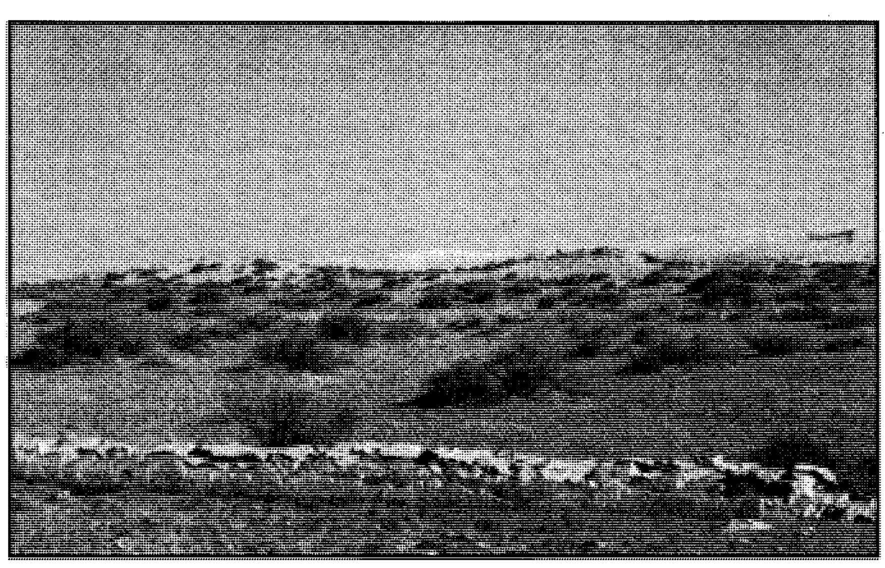
انظر إلى صورة هذا الحائط المنظرين رقم (٤) ورقم (٥).

وبجوار الحائط من الجهة الشمالية الشرقيـة مربع مستطيل مبني بالحجارة قد يكون مصفى البركـة، ويرتبط بهـذا المربع من زاويتيـه الشمالية الشـرقية، والشمـالية الغـربية مجريا ماء ضيقان يتجهان شمالاً.

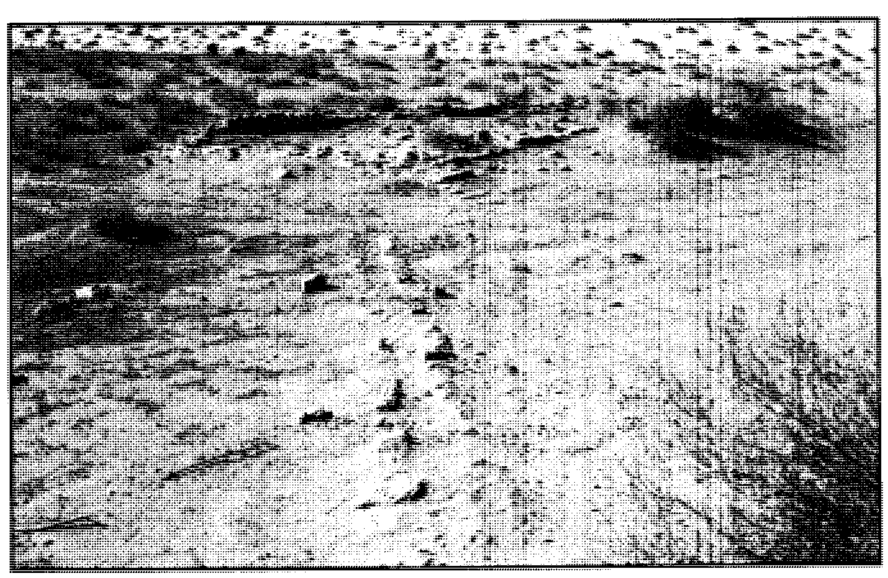
انظر إلى صورة هذا المربع المنظر رقم (٦).



منظر رقم (٤) صورة جدار سميك لما يبدو أنه ظهر حائط بركة كبيرة أو مجرى مائي في منزل « العوسجة»



منظر رقم (٥) صورة أخرى لظهر الحائط. وتبدو تلال لبعض آثار المساكن التي غطتها الرمال.

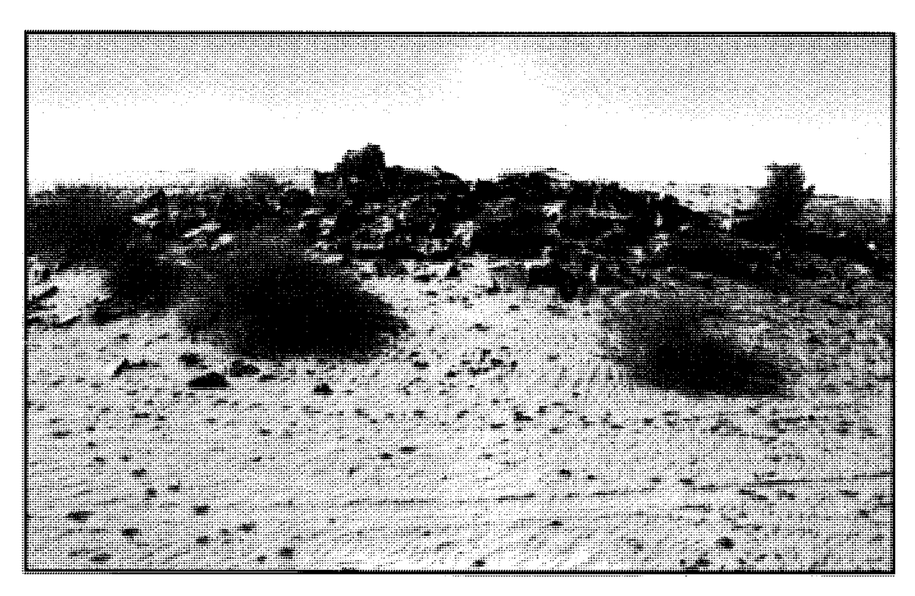


منظر رقم (٦) صورة لمربع يشبه البركة الصغيرة في منزل العوسجة، ويرى المجرى المائي «ساقي» ويقابله مجرى آخر على شاكلته.

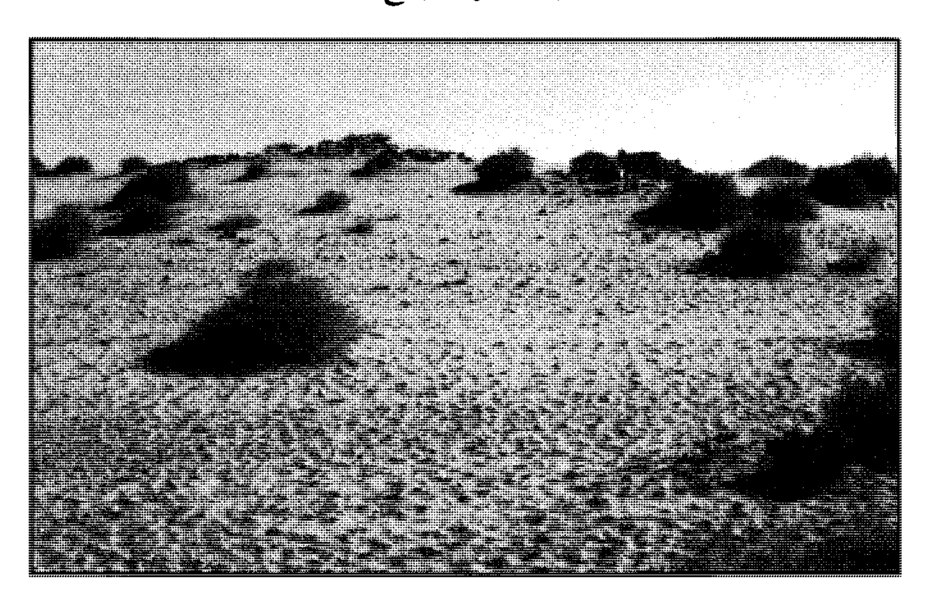
ويوجد إلى جهة الشمال من الحائط والمربع تل مرتفع من الحجارة والرمال يظهر أنه بقايا مبنى ليس بالكبير وعلى بعد ثلاثمائة متر تقريباً إلى الشمال أطلال قصر كبير علتها الرمال ولكن معالم أساساته واضحة وخاصة الجهة الغربية منه.

وفي الموقع بعض التلال الأخرى يبدو أنها لمباني صغيرة متهدمة.

انظر إلى صور هذا القصر وما حوله الصورتين رقم (٧) ورقم (٨).

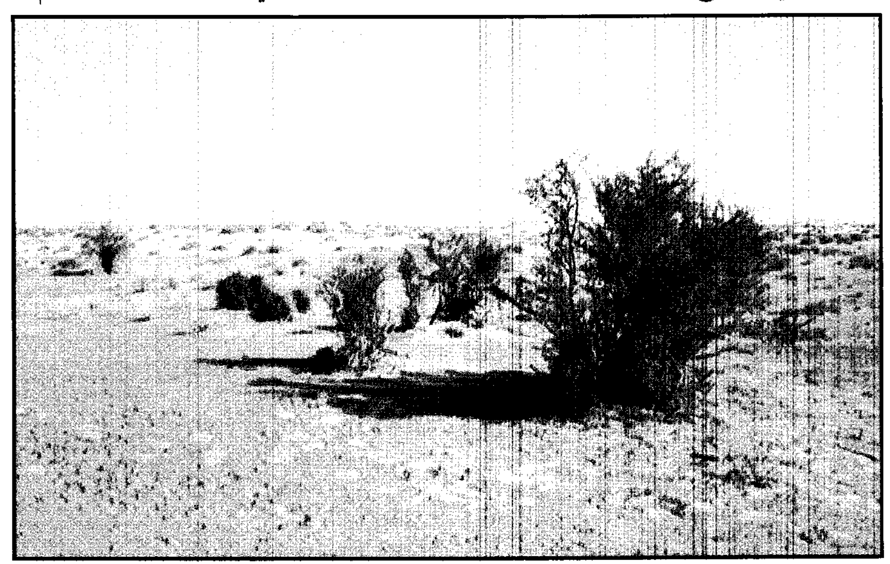


منظر رقم (٧) صورة أثر المباني الكبيرة في منزل العوسجة،
وتبدو شجرة العوسج بجانبه



منظر رقم (٨) بعض أطلال مباني منزل «العوسجة»

أمـا شجر العـوسج الـذي اشتق مسمى هـذا المنزل منـه وسمي: «عـوسجة» فـلا زال موجوداً غربي الموقع مجاوراً له فيما بينه وبين رمال النفود الغربي **انظر إلى صورته رقم (٩)**.



منظر رقم (٩) صورة شجر «العَوْسَج» بجوار آثار منزل «العوسجه» واسم هذا المنزل منسوب إليه نظراً لندرته في هذه الجهة.

وبقياس المسافة بين هذا المنزل والمنازل الأخرى اتضح مايلي:

١ـ يبعد عن متعشى الصريف ثلاثة عشر كيلاً ونصف الكيل.

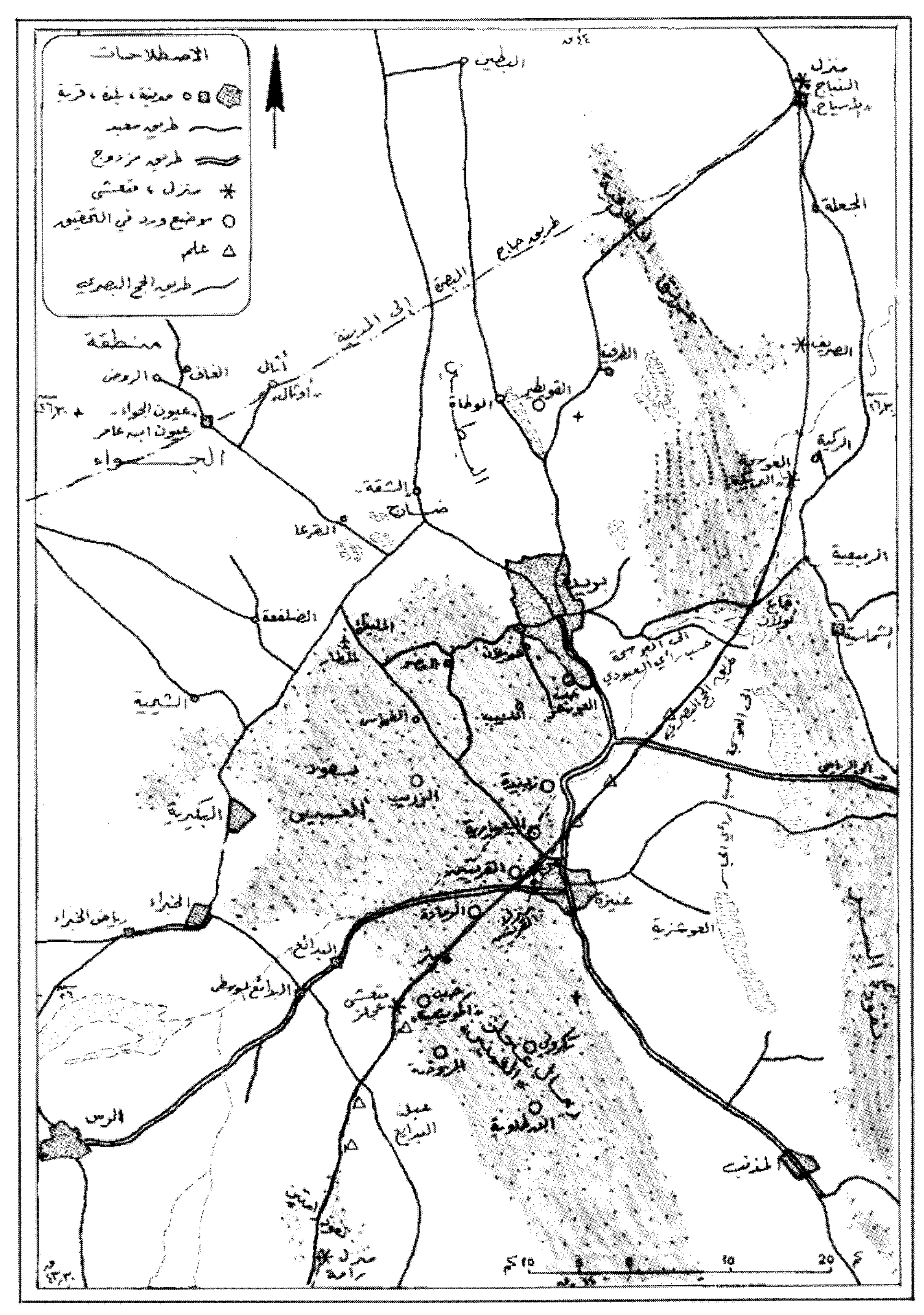
٢ـ يبعد عن منزل «النباج» ثمانية وثلاثين كيلا ونصف الكيل.

٣ـ يبعد عن منزل القريتين الموالي له من جهة القبلة بعد قاع «بولان» أربعة وأربعين كيلاً.

وبما أن قدمـاء المؤرخين وعلماء البلدان ذكـروا أن المسافة بين النبـاج والعوسجة تسعة عشر ميلاً أي ما يعادل ثمانية وثلاثين كيلاً باعتبار الميل الواحد كيلين اثنين.

فهذا التطابق بين القياس على الطبيعة وما جاء في النصوص القديمة يعطينا دليلاً قاطعاً على أن ما يسمى حالياً «البُرَيْكَة» ما هو إلا منـزل «عوسجة» أو «عويسجة» بالتصغير ومما يزيـد الأمر وضـوحاً أكثر بعده عن منـزل «القريتين» حيث أفـادت النصوص أن المسـافة بينهما اثنان وعشرون ميلاً، وبقياس المسافة بالأكيال تبين أن البعد يقارب هذه المسافة.

انظر إلى موقع منزل «العوسجة» على الخارطة رقم (١).



الاصطلاحات
مدينة، بلدة، قرية
طريق معبد
طريق مزدوج
منزل، معشى
موضع ورد في التحقيق
علم
طريق الحج البصري
منطقة
الجواء
الروض
الغاف
عيون الجواء
عيون ابن عامر
منزل النباج
الجعلة
الصريف
الركية
الربيعية
الشماسية
بريدة
عنيزة
العوشزية
البكيرية
الخبراء
رياض الخبراء
البدائع
الرس
المذنب
الشيحية
الضلفعة
القرعاء
الشقة
طريق حاج البصرة إلى المدينة

خارطة رقم(١)

مناقشة رأي مؤلف معجم بلاد القصيم حول «العوسجة»:

أولاً : يقول عن «خَبِّ العَوْشَز»:

(وهو بلا شك عندي «عوسجة» أو عويسجة التي كـان يمر بها حاج البصرة وينزلونها بعد النباج «الأسياح» وقبل القريتين.)

أقول:

لست مع المؤلف في أن «خب العـوشز» الواقع جنـوبي مدينة «بـريدة» بالقـرب منها هو منزل «عَوْسَجَة».

ثانياً: قوله: (أمـا أستاذنا حمد الجـاسر فلكونه لم يصل إلى علمـه أن «خَب العوشز» هـذا يقع في طريق القـوافل المتجهة من الأسيـاح إلى مكة فقـد قال: إن عـوسجة ربمـا كانت هي «العوشزية» ....).

أقول: إن الرأي القـائل: بأن بلدة «العـوشزية» الـواقعة شرق مـدينة «عنيـزة» على بعد أربعة عشـر كيلا أو الرأي القـائل بأنها «خب العوشـز» الواقع بجـوار مدينة «بـريدة» من الناحية الجنوبية.

كلا الرأيين أبعدا العوسجة عن جادة الطريق؛ بينما واقع الأمر غير هذا وذاك !

ثالثـاً : قـول المؤلف: (وقـد أوضحنا خط سيـر الحاج البصـري من الأسياح (النبـاج قديماً) إلى مكـة، وطريقهم منها إلى المدينـة في الخارطة التي طبعناهـا لهذا الغرض إلا أننا لم نـرسم الطريق الذي يمـر بخب العوشز لأنـه ليس الطريق السلطاني فيمـا نعتقد، وإنما هو يسلك في بعض الأحيان).

أقول:

بإلقاء نظـرة على المخطط التقريبي لطـريقي الحج إلى مكة والمـدينة مـروراً بمنطقة القصيم الذي أعده المؤلف صفحة (١٩٠/ ١) من المعجم يتضح ما يلي:

أ- لقد أمال المؤلف خط سير قافلة الحجيج المتجهة إلى المدينة إلى جهة الشمال لتمر بـ «قُصَيْبَا» على أنها «بطن قَوٍّ» ثم إرجاع القافلة إلى «أثال» الواقعة عنها جنوباً لتستمر في سيرها باتجاه المدينة.

ولن أتكلم هنا عن هذا الانحراف الذي لا مبرر له حيث تكلمت عنه بإسهاب في كتابي «الثاني» وانظر هناك إلى الخارطة التي أعددتها وصححت فيها مسار الطريق وهي برقم (٣).

ب ـ أما بالنسبة للقافلة التي استمرت مع الطريق من النباج إلى مكة المكرمة مروراً بالصَّريف، ثم العوسجة، ثم القريتين، ثم رامة؛ فإن المؤلف عندما رسم الطريق ليمر بالصريف ثم القاع «قاع بولان قديماً» أجده حرف مسار الطريق أيضاً عن الاتجاه الصحيح عندما جاوز «القاع» إلى جهة اليمين ليجعل القافلة تمر بخب العوشز، ومن ثم تعود إلى الجنوب الغربي.

ويبدو لي أن هذا الانحراف بالطريق ليس له ما يبرره إلا كونه يمر بخب العوشز الذي تراءى للمؤلف أنه منزل «عوسجة قديماً».

جـ ـ أما بالنسبة لقول المؤلف: (إننا لم نرسم الطريق الذي يمر بخب العوشز لأنه ليس الطريق السلطاني.) فالواقع أني لم أدرك مارمى إليه بقوله هذا. إذْ أن الطريق الذي رسمه من النباج مروراً بالصريف ثم القاع مَرَّ بالتالي على «خب العوشز» جنوبي بريدة.

أما إذا كان يقصد بقوله هذا أن هناك طريقاً آخر يسير من النباج إلى خب العوشز لا يمر بقاع بولان أي: شمالاً منه، فهذا الطريق إن وجد فليس له علاقة بطريق الحج البصري. ولم أقرأ لأحد من المتقدمين أنه قال بأن في هذه المنطقة طريقان أحدهما سلطاني والآخر غير سلطاني.

ومن المسلم به أن طريق الحج مساره واحد، وفي اتجاه معروف محدد بالأميال والأعلام الدالة عليه ولا يتعرج إلا عند الضرورة القصوى في بعض أجزائه مثل اعتراض الجبال، والكثبان الرملية العالية التي يصعب على الإبل تخطيها.

أما الأرض المستوية إذا حصل فيها حجارة تعوق سير الإبل فإنها تنقى ولا يُحَوَّل الطريق عنها وقد شاهدت بعض أجزاء من الطريق منقاة من الحجارة مثل الصفراء الواقعة بين منخفض «الزُّغَيبية» ومنزل «القريتين» في القصيم، والمنقى الواقع في حرة «كشب».

٤ـ أشكل مسمى «عَوْسَجَةَ» على الباحثين في وقتنا الحاضر، ومنهم مؤلف «معجم بلاد القصيم» حيث يتضح ذلك من قوله: (ولكن بعض المراجع ذكرت بعد النباج وقبل القريتين «العَوْسَجَةَ» فكيف يجمع بين ذلك؟.

وقد أجاب على ذلك بقوله المتقدم، بأن المخرج من هذا التعارض هو وجود طريقين:

أحدهما : يمر بالصريف فرمال القصيم، فقاع بولان، فقرية ابن عامر، ثم رمال عجلز وهي في الغميس، فرامة.

الثاني: يمر بالعوشزة -خب العوشز ـ فالعسكرة (العيارية) إحدى القريتين فرامة. والأول هو الذي ذكره ... الحربي مفصلاً في الرجز ... أما الثاني فذكره في سياق كلامه على عدد منازل طريق البصرة ومنابره فقال: النباج، عويسجة، القريتان، رامة. وهذا يؤكد ماقلته...).

أقول تعليقاً على ذلك:

لم يتضح لي أن هناك قولين حتى يوجد مخرج منهما، والذي فهمته من أرجوزة الجهضمي:

أنه عندما خلف أرض بني تميم «الصريف» وما حوله، ذكر أن ناقته سارت به وهي تَنْحَطُّ في رمال القصيم مثل انحطاط الوعل من الجبل.

وعندما تكلم المؤلف عن أبيات الأرجوزة قال: (ويريد بذلك الرمل الواقع إلى الشمال من الربيعية والرُّكيَّة، وهذا يتفق مع بقاء بركة زبيدية وآثار أخرى ماثلة في طريق الحاج في تلك المنطقة وتسمى «البريكة» .. ومن هنا يذهبون إلى القاع الأبيض «قاع بولان» إلى الشمال من مجرى وادي الرمة إلى جهة الغرب من الربيعية، ومن هناك إلى «القرية»).

أقول: إن المؤلف في كلامه هذا سار مع الطريق الصحيح الذي يسلكه الحاج قديماً، ولو وقف وقفة تأمل لاتضح له أن آثار المنزل والبركة الزبيدية التي أشار إليها التي يطلق عليها في وقتنا الحاضر «البريكة» ماهي إلا آثار منزل «عَوْسَجَةَ» أو عويسجة بالتصغير.

وهو ماظهر لنا بكل وضوح عند القيام بالرحلة الميدانية والوقوف على تلك الآثار.

٥ـ أما عن استشهاد المؤلف بقول أبي علي الهجري:

(فإن خرج من ضرية يريد البصرة شرب بطخفة، ثم إمرة، ثم الفريش، وبين الفريش والنباج أربعون ميلاً في المنزلين جميعاً، ثم العوسجة، ثم النباج.)

أقول: إن كلام الهجري هذا لا يدل دلالة واضحة على أن هناك طريقين أحدهما يمر بالعسكرة، والآخر يمر بقرية ابن عامر.

فالهجري ـ رحمه الله ـ أفادنا أن من يخرج من ضرية قاصداً النباج يمر بالقريتين، ـ وكلمة «الفريش» بلاشك محرفة من كلمة «القريتين» ـ كما قال المؤلف ـ والهجري لم يقصد بقوله ما ذهب إليه مؤلف «معجم بلاد القصيم» وإنما قصد إعلامنا بأن المسافة بين منزل القريتين ومنزل النباج أربعون ميلاً في المنزلين أي: المرحلتين، وهما المرحلة بين القريتين والعوسجة، والمرحلة بين العوسجة والنباج وعبارة (وبين الفريش والنباج أربعون ميلاً في المنزلين جميعاً)

جاءت في وسط الكلام عن المنازل كجملة إيضاحية ليس إلاَّ.

وإذا عرفنا أن المسافة بين القريتين والعوسجة اثنان وعشرون ميلاً، وأن المسافة بين العوسجة والنباج تسعة عشر ميلاً فإن المسافة بين القريتين والنباج في المنزلين تكون عند صاحب المناسك واحداً وأربعين ميلاً، وعند الهجري أربعين ميلاً بفارق ميل واحد فقط.

يدلنا هذا على أن الهجري قصد بقوله هذا المعنى ولا شيء غيره.

ومما يؤكد ذلك قوله بعد هذه الجملة الإيضاحية: (ثم العوسجة، ثم النباج).

وكلام الهجري وترتيبه للمنازل التي ذكرها لا يختلف عن ترتيب الحربي وغيره من المؤرخين.

وقفة عند خب العوشز:

خب العوشز: أحد خُبُوب بريدة يقع جهة الجنوب منها، ويكاد في وقتنا الحاضر يكون حياً من أحيائها. وقد تبين لي من خلال الزيارة أنه واقع على خط العرض ٢٤ْ ١٦َ ٢٦ً وخط الطول ٠٠ً ٠٠َ ٤٤ْ.

ومن الأمور التي توضح أن «خب العوشز» ليس هو منزل «عوسجة» الأمور التالية:

أ- ذكر المؤرخون، وعلماء البلدان: أن المسافة بين النباج والعوسجة تسعة عشر ميلاً أي ما يعادل ثمانية وثلاثين كيلاً.

وقد تبين لي أن المسافة بين النباج وخب العوشز تسعة وخمسين كيلاً ونصف حسب القياس على السَّمْت؛ وهذا يعني أن المسافة بينهما تزيد عما ذكره القدماء بواحد وعشرين كيلاً ونصف الكيل.

وقد أسلفت القول بأنه عند زيارتي لما يسمى في الوقت الحاضر «البريكة» التي هي بلا شك عندي منزل «عوسجة» أو عويسجة اتضح لي أن المسافة بينها وبين النباج سبعة وثلاثون كيلاً أي بنقص كيل واحد فقط، ولو تم قياس المسافة على الطبيعة لكانت مطابقة لما ذكره الأقدمون.

ب ـ يبعد خب العوشز عن «الصريف» بمسافة قدرها ثمانية وثلاثون كيلاً بينما المسافة الفعلية بين الصريف ومنزل عوسجة لا تزيد على ثلاثة عشر كيلا فقط.

جـ ـ يبعد خب العوشز عن العَيَّارية (العسكرة قديماً) ستة عشر كيلاً فقط، أي: ثمانية أميال، بينما تبعد القريتين عن «عوسجة» اثنين وعشرين ميلاً، أي: أربعة وأربعون كيلاً، وهذا بلاشك فرق كبير في القياس.

ولم يحصل اختلاف بين المراجع القديمة في تحديد المسافة بين القريتين وعوسجة حيث اتفقت جميعها على أن المسافة بينهما اثنان وعشرون ميلاً.

وهذا ما حدا بأحد الباحثين ـ وهو ممن أخذ بالرأي القائل: إن خب العوشز هو «عوسجة» ـ إلى القول:

(هناك وهم في تقدير المسافة بين العوسجة والقريتين .... فقد اعتبرها تبعد ٢٢ ميلاً وهذا خطأ، والصحة أنها ١٢ ميلاً، ولعله خطأ في النسخ.)!!

أقول:

ليس هناك وهم ولم يحصل خطأ في النسخ، وإنما الواقع أن المسافة بين عوسجة والقريتين هي: اثنان وعشرون ميلاً طبقاً لما جاء في تحديد القدماء، ولو حصل وهم من أحدهم لما وهم الباقون.

ولعلي بما أوضحته قلَّمْتُ كثيراً من أغصان العوسج التي حالت دون الوصول إلى منزل «العوسجة» بسهولة ويسر.

فلذا أقول بكل اطمئنان: إن منزل «عَوْسَجةَ» هو ما يسمى الآن «البريكة» الواقعة شمال بلدة «الربيعيَّة» على بعد ثمانية أكيال تقريباً بالقرب من «الرُّكيَّة».

ويظهر لي أن هذا المسمى الذي أطلق حديثاً على منزل «عوسجة» أو عويسجة أبعد الباحثين في وقتنا الحاضر عن التعرف عليها بحيث لم يجد أحد الباحثين تعليلاً لوجود آثار هذا المنزل إلا قوله:

(ولعل مجموعة هذه الأطلال تمثل قرية صغيرة أو نقطة استحكام ومراقبة أوجدتها الدولة العباسية بواسطة واليها المسئول عن حماية وأمن هذا الطريق، وهي أقرب ما تكون لمحطة «الصَّريف» التي ذكرت بأنها متعشى.) انتهى قوله.

انظر كيف تعمل تسمية المواضع بغير أسمائها القديمة؛ إذ خفي الأمر حتى على باحث متخصص، ومما يحز في النفس أن كثيراً من المواضع غيرت أسماؤها القديمة بأسماء مستحدثة، ولم نجد من يحرك ساكناً حول هذا الزحف المخيف المؤدي إلى طمس معالم تراث بلادنا وتاريخ أمتنا !!

الاتجاه إلى قاع بولان:

غادرنا منزل العوسجة باتجاه الجنوب الغربي، وعند محاذاة طريق ممهد يتجه شرقاً سلكناه حتى وصلنا إلى خط الزفت الواصل بين «الأسياح» و «الربيعية».

ومن الربيعية سرنا مع الطريق المتجه غرباً إلى مدينة بريدة، وبعد الانحدار من بلدة الربيعية إلى منخفض مجرى وادي «الرُّمة»، وتجاوز الجسر الكبير الذي تجري من تحته سيول الوادي باتجاه «العوسجة» التي قدمنا منها دخلنا قاع بولان (القاع الأبيض حالياً) وكان حاج البصرة قديماً عندما يصدرون من «العوسجة» باتجاه منزل «القريتين» يمرون بهذا القاع.

لقد حرصت على أن يكون سيرنا باتجاه مدينة عنيزة عبر هذا القاع لنتمكن من مشاهدة أميال الطريق الموجودة فيه حتى وقتنا الحاضر، ولكن حال دون ذلك كثرة المزارع التي أحدثت فيه، وكذلك تسرب المياه مما أجبرنا على السير مع الطريق المزفت إلى بريدة ومنها إلى عنيزة، وسنحاول الوصول إلى بعض هذه الأميال من الجهة المقابلة مما يلي منزل القريتين إذا تيسر ذلك.

إن قاع «بولان» قاع واسع يحده من الشمال كثبان رملية، ويبدو لي أن هذه الرمال من الأماكن التي كان يسكنها الشاعر «مالك بن الريب التميمي» الذي ورد ذكره في النصوص التي تكلمت عن طريق الحج البصري حيث كان يقطع الطريق مع رفيق له اسمه «أبو حَرْدَبَة» وفيهما قال الراجز:

الله نجاك من القصيم ... ومن أبي حردبة اللئيم

ومالك وسيفه المسموم

كان « مالك بن الريب» وسيماً فاتكاً، ويقال: إنه هجا الحجاج بن يوسف فهدده الحجاج فهرب، وصار يقطع الطريق حتى صادفه «سعيد بن عثمان بن عفان» وهو في طريقه إلى خراسان فأعجب به وأخذه إلى هناك، وفي نواحي «خراسان» أدركت مالكاً منيته بعد أن مَنَّ الله عليه بالتوبة من الأعمال التي كان يرتكبها، وقصته طويلة ليس هذا مكان بسطها.

وعندما حانت وفاته قال قصيدته المشهورة التي يرثي فيها نفسه، وهي قصيدة طويلة اخترت منها هذه الأبيات:

أَلا ليتَ شِعْري هَلْ أَبيتَنَّ ليلةً … بِجَنْبِ الغَضَى أُزْجي القِلاصَ النَّواجِيا

فليتَ الغَضَى لم يقطعِ الركبُ عرضه … وليتَ الغَضى ماشَى الرِّكابَ لَياليا

لقد كان في أَهلِ الغَضَى، لَوْدَنا الغَضَى، … مَزارٌ، ولكنَّ الغَضَى ليسَ دانِيا

ألم تَرني بِعْتُ الضَّلالةَ بِالهُدَى … وأصبحتُ في جيش ابنِ عَفَّانَ غازِيا

لَعمْري لَئِنْ غالَتْ خُراسانُ هامَتي … لقد كنتُ عن بابَيْ خُراسانَ نائِيا

فَلِلَّهِ درّي يومَ أَتْرُكُ طائِعاً … بَنِيَّ بِأَعْلى الرَّقْمَتَيْن، ومالِيا

تذكّرتُ مَنْ يَبْكي عَلَيَّ، فلَمْ أَجِدْ … سِوى السّيفِ والرّمحِ الرُّدَيْنيِّ باكِيا

وأَشقرَ، خِنْذيذٍ، يَجُرُّ عِنانَهُ … إلى الماء، لم يترك له الدّهرُ ساقِيا

ولكنْ بِأَطْرَافِ السُّمَيْنَةِ نِسوَةٌ … عَزيزٌ عليهنَّ العَشِيَّةَ مابِيا

ولّما تراءَت عندَ مَرْوَ مَنِيَّتي … وحَلَّ بِها سُقْمي، وحانَتْ وفاتِيا

أَقولُ لأصحابي ارفعوني فإِنَّني … يَقَرُّ بِعَيْني أَنْ سُهَيْلٌ بَدالِيا

ويا صاحِبي رَحْلي دَنا المَوْتُ فانْزِلا … بِرابِيَةٍ إنّي مُقيمٌ لَيالِيا

أَقيما عليَّ اليومَ، أو بعضَ لَيْلَةٍ … ولا تُعْجِلاني، قد تبَيَّنَ مابِيا

وقُوما إذا ما سُلَّ رُوحي فَهَيِّا … لِيَ السِّدْرَ والأَكْفانَ ثمّ ابكِيا لِيا

ولا تَحْسُداني، بَارَكَ اللهُ فِيكما … مِنَ الأرضِ ذاتِ العَرْضِ أنْ تُوسِعالِيا

وخُطّا بِأَطْرافِ الأَسِنَّةِ مَضْجَعي … ورُدّا على عَيْنَيَّ فضلَ رِدائِيا

خُذاني، فجُرّاني بِبُرْدي إليكُما … فقد كنتُ قبلَ اليومِ صَعْباً قِياديا

فيا ليتَ شعْري: هَلْ تغيرَّتِ الرَّحا … رَحا الحَرْبِ، أم أضحَتْ بِفَلْجٍ كَما هِيا

وهل تركَ العِيسَ المَراقيلُ بالضُّحى … تَعالِيَها، تَعْلو المِتانَ الفَيافِيا

إذا عُصَبُ الرُّكْبانِ بينَ عُنَيْزَةٍ … وبَوْلانَ عاجوا المُنْقِياتِ المَهارِيا

وبِالرَّمْلِ مِنّي نِسْوَةٌ، لو شهدنَني … بَكَيْن، وفَدَّيْنَ الطَّبيب المُداويا

فَمِنْهُنَّ أُمّي، وابنتاها، وخالَتي، … وباكِيةٌ أُخْرَى، تَهيجُ البَواكيا

وما كانَ عَهْدُ الرَّمْلِ مني وأَهْلهِ … ذَميما ولا ودَّعْتُ بِالرَّمْلِ قالِيا

منزل «القريتين»

منزل القريتين

منزل «القـريتين» من أهم منـازل طريق الحج البصـري وأكثرهـا شهرة؛ نظـراً لوقـوعه بجوار القريتين ذات التاريخ العـريق. والقريتان اكتسبتا هذه الشهرة نظـراً لوقوعهما على ملتقى عدة طـرق من أهمها هذا الطريق الـذي نتحدث عنه، ولعله من المفيـد إلقاء نظرة على ما قاله قدماء المؤرخين وعلماء البلدان عن القريتين:

أولاً : يقول أبو إسحاق الحربي وهو يعدد منازل طريق الحج البصري :

(... ثم القـريتين : أخبرني الثمـالي عن التـوزي عن الأصمعي قـال: القريتـان كانتـا لطسم وجديس قال زهير:

عهدي بهم يوم باب القريتين وقد ... زال الهمـاليجُ بـالفـرسـان واللُّجُمُ

فاستبـــدلت بعدنا داراً يمانـــية ... تــرعى الخـــريف فأدنى دارهـا ظلم

أخبرني الثمالي عن التوزي عن أبي عمرو قال: أصيبت بالقريتين دراهم، وزن الدرهم منهـا تسعـة دراهم وثلثـان، من بقـايـا طسم وجـديس، قـال: فسألتهم أن يـدفعـوا إِليَّ ويأخذوا وزنها .

فقالوا نخاف السلطان.

ومن العوسجة إلى القريتين اثنان وعشرون ميلاً .

أخبرني عبد الله بن عمرو عن علي بن محمد بن سليمان عن أبيه قال :

القريتـان: الدنيا منهما قـرية ابن عامـر، والأخرى قريـة بناها جعفر بن سليمـان، وبها حصن، والقرية يقال لهـا العسفر، وهي بلد نخل تطرد بين أضعافها عيـون في مائها **غِلَظٌ**، وأهلها يستعذبون ماء عنيزة، وهي على ميلين من القريتين...)[1]

(١) المناسك : ص ٥٨٨ — ٥٨٩.

وفي موضع آخر قال وهو يعدد المنازل :

(الثاني عشر : القريتان، وبالقريتين منبر، وهي لقريش، لولد أبي الحميضة)[1]

وفي أرجوزة الطريق يقول الجهضمي:

(القريتان منزل)

عــــامــدة للقــريتين ماتنــــي — *لوعطفــت لمـــرتع لـــم تنثـــنِ*

متـــى تحـــركها لسيـــر تمعن

بَهْـــــزَرةٌ فـــي أينق بهـــازر — *لمـــا رأيـــن قريـــة ابـــن عـــامرْ*

رَمَيْنَهَـــــا بالأعْيُـــنِ الفـــــواتِرْ

فوردتْ والشمـس لمـــا تطلـــعِ — *عطشى بها حرارة لم تُنْقَع .....*[2]

ثانياً : يقول ياقوت الحموي في رسم «القريتين» :

(القــريتان: قــريبة من النبــاج في طريق مكــة من البصرة، قــال السَّكوني: همــا قريــة عبدالله بن عــامر بن كُرَيز، وأخرى بنــاها جعفر بن سليمان وبها حصن يقــال له العسكر، وهو بلد نخل بين أضعافه عيون في مائهــا غلظ وأهلها يستعذبون من ماء عنيزة، وهي منها على ميلين ...)[3]

ويقول في موضع آخر:

(عَسْكرُ القريتين: حصن بالقريتين التي عند النباج)[4]

ثالثاً : يقول الأصفهاني:

(والقصيم موضع ذو غَضاً، فيــه مياه كثيرة وقرى منها قــريتا ابن عامر، وهمــا اليــوم لولد

---

(١) المناسك : ص ٦١٢.

(٢) المناسك : ص ٦٣١.

(٣) معجم البلدان : ٤/ ٣٣٦.

(٤) معجم البلدان: ٤/ ١٢٣.

جعفر بن سليمان. إحداهما يقال لها العسكرة ...)[1]

رابعاً: أما «عبيد الله بن خُرْداذبة» فقال وهو يعدد المنازل من البصرة إلى مكة:

(...ثم إلى النباج، ثم إلى العوسجة، ثم إلى القريتين، ثم إلى رامة...)[2]

وبعد أن فرغ من منازل هذا الطريق عدد من اليمامة إلى مكة قائلاً:

(من اليمامة إلى العرض... ثم إلى الحديقة، ثم إلى السَّيْح، ثم إلى الثنية، ثم إلى سقيراء، ثم إلى السُّدّ، ثم إلى صداة، ثم إلى شريفة، ثم إلى القريتين من طريق البصرة، ثم إلى المنازل التي قد مر ذكرها إلى مكة.[3])

وفي كتاب «الخراج» للبغدادي قول يوافق ما قال به ابن خرداذبة عن وقوع «القريتين» اللتين على طريق البصرة ضمن الطريق من اليمامة إلى مكة. وانظر صفحة (١٩١) من كتاب الخراج.

وقفة لابد منها:

من عادتي الوقوف عند أي نص أرى أن قائله جانبه الصواب،وإن كان هذا القائل من كبار المؤرخين أو علماء البلدان ممن لهم المكانة الرفيعة في نفوس قرائهم ولهم التقدير والاحترام على ما بذلوه من جهد في إبراز تاريخ الأمة وآثارها المجيدة.

وذلك يعود لاقتناعي بأن السكوت عن خطأ وقعوا فيه ليس تكريماً لهم فهم بلاشك سعوا إلى الصواب قدر الطاقة، وكثيراً ما نقرأ لهم التوصية بتصحيح ماحصل منهم من سهو أو خطأ.

وإلاَّ مافائدة تحقيقنا لما يكتب مع ترديد أقوال يعتريها النقص ومجانبة الصوابْ.

ولكني قد أفهم من النص القديم مالم يقصده قائله فأقع في الخطأ فرحم الله امرءاً

(١) بلاد العرب : من ٣٤٠.

(٢) كتاب المسالك والممالك : ص ١٤٦.

(٣) كتاب المسالك والممالك : ص١٤٧.

أرشدني إلى خطإ وقعت فيه ونبهني إليه.

وحول النصوص التي تقدمت معنا لي مـلاحظة على ما أورده كل من «ابن خرداذبة في كتـابه المسـالك والممـالك، وكـذا البغدادي في كتـابـه«الخـراج» وذلك عند وصفهمـا للطريق من اليمامة إلى مكة حيث قالا في النص المتقدم:

(ثم القَرْيَتَيْنِ من طريق البصرة، ثم إلى المنازل التي قد مَرَّ ذكرها إلى مكة)

أقول:

لست أدري كيف يتجه المسـافر من اليمامـة إلى مكة صوب الشمـال الغربي ليصل إلى «القريتين» على مشارف مـدينة «عنيزة» في منطقة القصيم ليتجـه بعد ذلك إلى جهة الجنوب الغربي صوب مكة المكرمة مع طريق الحاج البصري.

ومن يعرف مسالك الجزيرة العربية وطرقها يدرك مدى غرابة هذا القول .

فطريق اليمامة إلى مكـة من الطرق الهامة المعروفة، والمسافر عبـر هذا الطريق يتجه إلى جهة الغرب باتجاه القبلة.

ويبـدو لي أن أحد المـؤلفَيْن نقل قولـه من الآخـر، أو أنهما نقـلاه من أحد المصـادر السابقـة لهما فوقعـا فيما وقع فيه من خطـأ، ولا شك أن المؤلفين وقعا في مصيـدة اتفاق المسميات في اللفظ فتشابهت القرى عليهما.

ومن الـواضح أن المقصـود بـالقـريتين الواقعتيـن في طريـق اليمامـة إلى مكـة غيـر القريتين الواقعتين على طريق الحج البصري.

ومن يرجع إلى كتـاب ياقـوت الحموي «المشترك وضعـاً والمفترق صقعاً» يـدرك هذا حيث قال ياقوت:

(باب القريتين أربعة مواضع: كأنه تثنية القرية...

القـريتين: مكـة والطـائف في قـوله عَـزَّ وجل (لـولا نـزل هـذا القـرآن على رجل من القريتين عظيم).

والقريتين: قرية قريبة من النباج في طريق مكة من البصرة.

والقريتين: باليمامة وهما: قُرَّان، ومَلْهَمُ.

والقريتين: قرية كبيرة مشهورة من قرى حِمْصَ من جهة البرية أهلها نصارى ذات أشجار وأنهار[1].)

من هذا يتضح أن القريتين الواقعتين في طريق اليمامة إلى مكة هما: قُرَّانُ، ومَلْهَمُ.

وملهم: لا زالت على مسماها القديم، أَمَّا «قُرَّان» فيسمى حالياً «القَرِينة».

ويزيد الأمر وضوحاً أكثر ماقاله أبو إسحاق الحربي حيث قال:

(ولليمامة طريقان إلى مكة:

طريق من القريتين، لايأخذ فيه على مرأة ـ يعني بلدة مَرَاتْ حالياً ـ والطريق الآخر يتياسر عن طريق مرأة فأول منبر يلقاك بالفقي وأهله بنو ضبة.

ثم السُّحيمية لبني سُحيم.

ثم القرية، قرية بني سدوس، وفيها منبر وقصر بناه سليمان بن داود من حجر من أوله إلى آخره، وبها رمان ربما بيع المائة رمانة بدرهم، تخرج الرمانة كيلجة من حب أحلا شيء، تشرف عليها تقول: لو أطبق عليها ترس غطاها...

ثم ملهم بها منبر، وهي وقُرَّان منبرهما واحد[2] ...)

من هذا كله نفهم أن قريتي اليمامة ليستا «القريتين اللتين هما أحد منازل طريق الحج البصري وهذا المنزل هو ما نسعى إلى الوقوف عليه. ولنعد إلى ما نحن بصدده.

---

(١) المشترك وضعاً: ص ٣٤٣.

(٢) كتاب المناسك: ص ٦١٧ — ٦١٨.

أقوال الباحثين في وقتنا الحاضر عن القريتين:

أولاً : منزل القريتين عند مؤلف « معجم بلاد القصيم » :

يقول: (القَرْيَّـة ... هي قرية ابن عامر إحـدى القريتين الوارد ذكرهمـا في التاريخ كما سنبين ذلك فيما بعد.

والقَـرَيَّـة تقع في متسع من الأرض على طـرف مكـان خصب على الضفة الجنـوبيـة لوادي الرُّمة في المنطقـة الواقعة شرقي مدينة عنيزة، وعلى بعد سـتة كيلات منها، وجنوباً من مدينة بريدة على بعد ٢٢ كيلاً منها.

تحد من الجنوب الشرقي بالزغيبية ومن الغرب « بصفراء عنيزة» وشرقاً بنفود لوىٰ.

وماء القـرية غزيـر جداً إلا أن فيه غِلَظـاً أي ملوحة وهـو قريب من سطح الأرض إذ لا يزيد عمق آبارها على خمسة أمتار..

ونعتقد أنها هي قرية ابن عامر لأمور:

أولها : التسمية الحالية التي لم تختلف إلا بالتصغير ...

ثانيها : وقوعها في موقـع خصب يؤهلها للعمران القديم ...وقد تكـون روضة الزغيبية تابعة في القديم لقرية ابن عامر لأنها تقع ملاصقة لها.

ثالثهـا : وجود بقـايا أميـال الطريق طـريق الحاج البصـري في مدخلهـا على الضفة الجنوبية لوادي الرمة وعلى بعد ثلاثة كيلات من الزغيبية شمالاً. وقد شاهدت بقايا ميلين منها مطـابقة في الشكل لمـا هو مـوجود في جنـوب الأسياح (النبـاج قديمـاً) وفي القاع الأبيض (قاع بولان قديماً) وهي معروفة لكثير من أهل القصيم.

رابعها : أنها تقع في الاتجـاه الصحيح إلى مكة المكرمة لمن يأتي من حـاج البصرة قادماً من الأسيـاح... ثم الصريف فقاع بولان... ثـم القريتين اللتين هما القريـة قرية ابن عامر هذه والعسكرة قرية العباسيين التي هي العيارية الآن ...

خامسها : أن هناك إلى الشمال من القرية تلاً مرتفعاً نـوعاً ما فيه آثار العمارة القديمة

بادية من حجارة مهذبة وأساس قصور وغيرها...

سادسها: أنه كانت لا تزال بقايا بركة زبيدية ماثلة للعيان في الجهة الغربية من «القريَّة» لها مجرى مائي طويل مصنوع من الحجارة المهذبة...

وقد بقي هذا المجرى ظاهراً إلى أن رصف الطريق الإسفلتي الممتد بين مدينتي عنيزة وبريدة فقضت على آثارها الجرافات التي أصلحت الطريق، ويقع مجراها على بعد حوالى ۱۸۰۰ متر من المضباعة أي الثنية المرتفعة التي تأتي مباشرة بعد المزيرعة للمتجه من عنيزة إلى بريدة شرقاً من الروغاني، وهذا دليل واضح على أن القرية هي قرية ابن عامر لأن ماءها ملح فوضعت هذه البركة بين القريتين العيارية (العسكرة قديماً) وقرية ابن عامر ليستقي منها الحاج الذي لا يسهل عليه أن يجلب الماء من عنيزة[1]).

انتهى ماقاله المؤلف باختصار. وقد أورد كثيراً من النصوص وتكلم عنها، ولم أورد جميع ماقاله بغية الإيجاز، وعلى القارىء الرجوع إليه هناك إذا رغب.

ثانياً : القريتان عند الدكتور صالح بن سليمان الوشمي:

تكلم ـ رحمه الله ـ في رسالته عن القريتين كثيراً، وجاء بأشياء مفيدة للباحثين.

وهو يتفق مع الأستاذ محمد العبودي مؤلف معجم بلاد القصيم في شأن هاتين القريتين، وقد أسهب في الحديث عن ماضيهما؛ أما بالنسبة لحاضرهما فقال:

(وأما اليوم فالعيارية إحدى القريتين تقوم فيها أحراج النخيل على ضفاف الوادي وقرب الجسر، وأما (القُرَيَّة) قرية ابن عامر فقد بقيت مكاناً مقصوداً للزراعة الشتوية لأهل بريدة وعنيزة...

وقامت على أكماتها السمراء طواحين تقضم صخورها البركانية، ولم يبق فيها من الماضي غير ما أودع في صفحات مؤرخي البلدانيين، وما يقوم فيها حتى الآن من بقايا

---

(۱) معجم بلاد القصيم: ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢.

أميال متناثرة هناك، وآبار عميقة اقتـرب منها مجرى الوادي بفعل عامل النحت على طول الزمن فأكل وطمر منها ما طمر، ولا تزال تعرف الآن باسم (القُرَيَّة) بالتصغير[1].)

أقول:

إن رأي كل من الباحثين متقارب الـدلالة عن تحديد منـزل «القريتين» ولن أتكلم هنا برأي حـول تحديد منزل القـريتين إلا بعد القيام بـالزيارة الميـدانية فليس من سمع كمن رأى.

وقد علمت بعد صف هذا الكتاب أنه تم طبع هده الرسالة في كتاب.

الزيارة الميدانية للقريتين

كنت أتصور أن الوقوف على آثار منزل «القريتين» من السهولة بمكان نظراً لوقوعه بجوار مدينة عنيزة ولكن تبين أن الأمر بالعكس من ذلك.

ففي نهاية الرحلة السابقة التي زرنا فيها منزل «النباج» ومتعشى «الصريف» ، ومنزل «العوسجة» وتحقيقه، ومنه المرور بقاع بولان؛كان وصولنا إلى مدينة «عنيزة» آخر النهار، وقد سألت عدداً ممن صادفتهم من أهل عنيزة عن «القريتين» أو مايسمى بالْقُرَية، أو أي أثر لبركة قديمة من برك طريق الحج البصري قديماً فلم أحصل على إجابة مقنعة.

فأنهيت الرحلة على أمل العودة للبحث والوقوف على آثار هذا المنزل، وكذا المتعشى الذي يليه من جهة القبلة وهو «عجلز».

وفي اليوم التالي قرأت في جريدة الجزيرة العدد ٧٧٧١ بتاريخ ٢٥/ ٧/ ١٤١٤هـ خبراً مفاده:

أنه عثر على موقع آثار في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة «عنيزة» ومما قيل في هذا الخبر:

أن هذه الآثار من المحتمل أن تكون استراحة للحجاج.

وقد تساءلت: مادامت هذه الآثار واقعة في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة عنيزة، فقد تكون هي آثار متعشى «عجلز» أو «الرمادة» التي قيل إنها دون عجلز بثلاثة أميال،وعندما اتصلت بمكتب جريدة الجزيرة بعنيزة وسألت عن مكان تلك الآثار بالتحديد، أفدت بأن مصدر هذا الخبر من قسم الآثار بإدارة التعليم في عنيزة.

فاتصلت بمسؤول الآثار هناك الأستاذ عثمان بن إبراهيم العضيبي فوصف لي الموقع وصفاً واضحاً.

وفي يوم الاربعاء ١/ ٨/ ١٤١٤هـ قمت برحلة من مـدينة «الدوادمي» إلى مدينة عنيزة عن طريق سـاجر، والسِّـر ويرافقني في هـذه الرحلة أخي أحمـد بن محمد الشـايع وعند وصولنـا إلى مفرق «العَمَـار» اتجهنا معـه باتجاه الغـرب حتى وازينا «الخـرما الشمـالية» فاتجهنا إليها ولم يطل بحثنا عن الموقع لأنه مجاور لجبيل صغير.

بعـد وقوفنـا على تلك الآثـار ألفيناهـا عبارة عن أطـلال قـديمة يـوحي شكلها أنهـا لمساكن وما يشبه القلاع موغلـة في القدم، وهي على ربوة من الأرض وفي جهتها الغربية أكمة ليست عالية حوت صخورها كثيراً من النقوش والكتابات القديمة.

وهذا الأثر واقع قرب قرية «الخـرما الشمالية» على خط العرض ٥٩ً ٣٤َ ٢٥ْ وخط الطول ١٦ً ٠١َ ٤٤ْ.

ويبعد المكـان عن منزل «رامة» اثنين وثـلاثين كيلاً إلى جهة الجنـوب الشرقي،وإلى الجنوب من مدينة «عنيزة» على بعد خمسين كيلاً تقريباً.

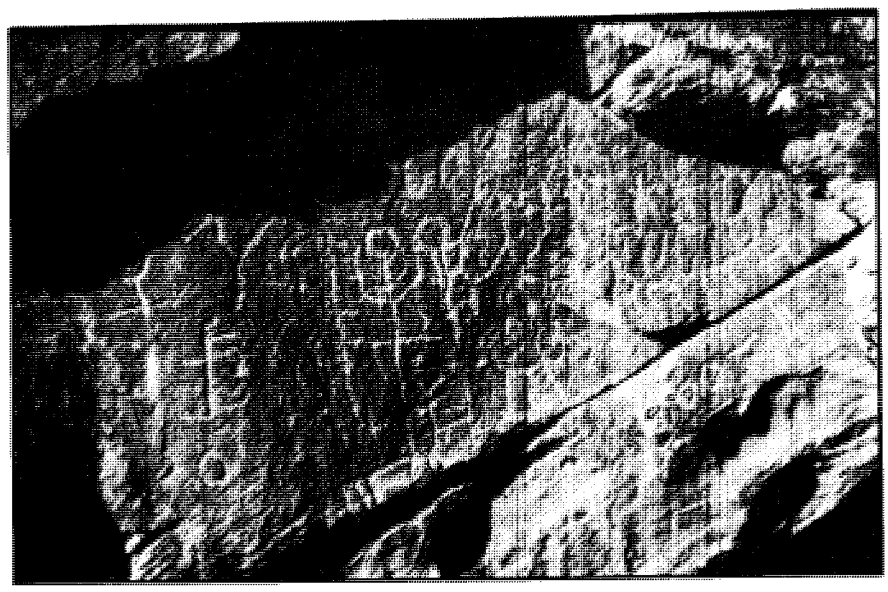
من هذه القياسات تبين لي أن هذا الموقع ليس من منازل حـاج البصرة لوقوعه باتجاه الجنوب عن مدينة عنيزه وبعده عنها.

وقد أخذت لأطـلال هذا المنزل وللنقوش والكتـابات الموجودة فيـه عدداً من الصور الفوتوغرافية وسلمتها لسعادة الأستاذ الـدكتور «عبد الرحمن الأنصاري» رائد آثار الجزيرة العـربية قبل الإسـلام وبعد اطـلاعه عليهـا أفادني أن من بينهـا كتابـات ترجع إلى عهـود موغلة في القدم ومن بينها كتابات ثمودية.

انظر إلى صورة نموذج من هذه الكتابات القديمة الصورة رقم (١٠)

وبتسليم صور هذا الموقع للأستاذ عبد الرحمن أكون قد أعطيت القوس باريها.

وبإسدال الستـار على هذا الموقع تحتم عَلَيَّ التحري عن متعشى «عجلـز» في مكان آخر. ومن مكـان هذه الآثار واصلنـا السير إلى مـدينة عنيزة للبحث عن منـزل «القريتين» وآثاره، كنت على موعد مع الأستاذ عثمـان العضيبي ليدلني على بعض المواضع التي لها علاقة بمنـزل القريتين مثل: «العَيَّارِيَّة» و «زبيـدة» و «الجناح» الذي يقال إنه أقـدم قرية قامت بجوارها مدينة عنيزة الحديثة.



منظر رقم (١٠) نموذج للكتابات والنقوش في الآثار الموجودة قرب الخرما الشمالية.

وقد ابتدأنا بـزيارة «العَيَّاريَّة» التي يقال إنها «العسكـرة» وهي واقعة على خط العرض ٥٥ً ٠٧ً ٢٦ْ وخط الطول ٢١ً ٥٧َ ٤٣ْ.

كما وقفنا على آثار القرية القديمة المسمـاة حالياً «زبيدة» وهي محاطة بسياج محكم في الـوقت الحاضـر واقعـة على خط العرض ٢٥ً ١٠َ ٢٦ْ وخط الطـول ٤٣ً ٥٨َ ٤٣ْ وتبعد عن جارتها قرية «العيارية» خمسة أكيال تقريباً.

بعد ذلك زرنا حَيّ «الجناح» بعنيزة، وكان لنا وقفة عند أقدم البيوت فيه وهو واقع على خط العرض ٠٧ً ٠٦َ ٢٦ْ وخط الطول ٠٦ً ٥٨َ ٤٣ْ.

يبعد عن «العيارية» إحدى القريتين ثلاثة أكيال وستمائة متر تقريباً.

وهـذا البعـد يقـارب المسافـة بين القـريتين و «عنيـزة» التي قيل إن سكـان القـريتين يستعذبون الماء منها.

كمـا يبعد الجنـاح عن منـزل «العـوسجـة» أربعة وأربعين كيـلاً وأربعين متـراً حسب

القياس على السمت وهذه المسافة تطابق ما قاله المؤرخون من أن المسافة بين العوسجة والقريتين اثنان وعشرون ميلاً.

كما اتضح أنه يبعد عن منزل رامة: ثلاثة وأربعين كيلاً ونصف وهذا القياس على السَّمت أي بنقص أربعة أكيال ونصف مما حدده الأقدمون إذ أن المسافة بين القريتين ورامة أربعة وعشرون ميلاً. كل هذا يدل على أن منزل «القريتين» الذي ينزله الحاج قريب من « الجناح» أو موازٍ له.

بعد ذلك اتجهنا مع الطريق المزفت المتجه شرقاً وقبل «الزغيبية» وعلى بعد ستة أكيال من عنيزة تركنا الطريق واتجهنا شمالاً باتجاه مجرى وادي «الرمة» وذلك للوقوف على ما يسمى بـ «القُرَيَّة» التي قال مؤلف «معجم بلاد القصيم» إنها هي «قرية ابن عامر» وحددها في هذا المكان حيث قال:

(والقريَّة: تقع في متسع من الأرض على طرف مكان خصب على الضفة الجنوبية لوادي الرمة في المنطقة الواقعة شرقي مدينة عنيزة، وعلى بعد ستة كيلات منها. تحد من الجنوب الشرقي بالزغيبية، ومن الغرب بصفراء عنيزة، وشرقاً نفود لوىٰ.)

لقد تجولنا كثيراً في هذا المكان ولم نجد إلا آثار مزارع قديمة، كما تجولنا في الجهة الغربية من هذا المكان علنا نعثر على أثر لبركة «المنزل» أو مجراها الذي قيل إنه دمر عند إصلاح الطريق الذي يربط بين عنيزة، وبريدة، ولكن لم نعثر على أي أثر يدل على ذلك.

عندما لم نجد من المؤشرات مايدل على أن في تلك الناحية آثاراً ظاهرة للعيان يمكن الحكم عليها بأنها إحدى «القريتين» ، وكذلك عدم العثور على أثر للمجرى والبركة؛ اتجهنا باتجاه الشمال الشرقي وقبل أن نعلو المرتفع باتجاه سهل «الزغيبية» عثرنا على أحد أعلام الطريق فوق أكمة صغيرة في المنخفض، وبعد الصعود إليه تبين أنه من الأعلام الكبيرة، ولكنه تهدم مع مرور الزمن ونبش وسطه وأخرجت حجارته، ولم أجد تفسيراً لهذا إلا أنه تم من قبل الباحثين عن الكنوز.

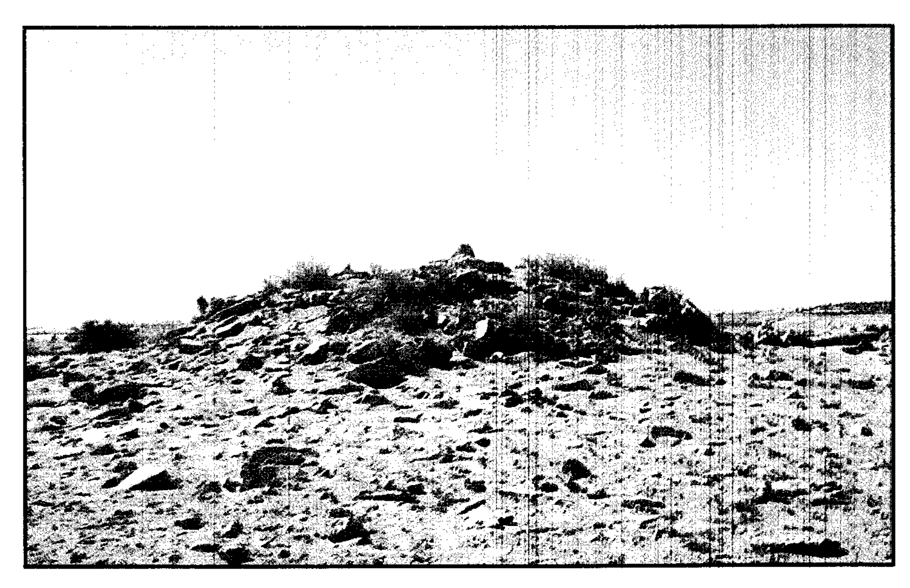
وهذا العلم واقع على خط العرض ١٦ً ١٠َ ٢٦ْ وخط الطول ١٥ً ٠١َ ٤٤ْ ومنه

واصلنا السير ولكن مشاريع المحاجر والكسارات التي تقصم حجارة الصفراء بكل شراهة كما قال الدكتور الوشمي ـ رحمه الله ـ جعلت الوصول إلى المرتفع من الصعوبة بمكان على نفس الاتجاه.

بعد أن علونا المرتفع شاهدت أحد أعلام الطريق على حافة المنحدر فاتجهنا إليه.

هذا العلم تهدم مع مرور الزمن ولم تمتد إليه يد عابثة وفي أعلاه أحد الأحجار الكبيرة المطلية بمادة بيضاء تشبه الجص لازالت آثار أصابع من شيده واضحة، ومن المحتمل أن هذا الحجر كان قمة العلم أو الميل ومثبت فيه رقمه ولكني لم أجد له أثراً.

انظر إلى الصورة رقم (١١).

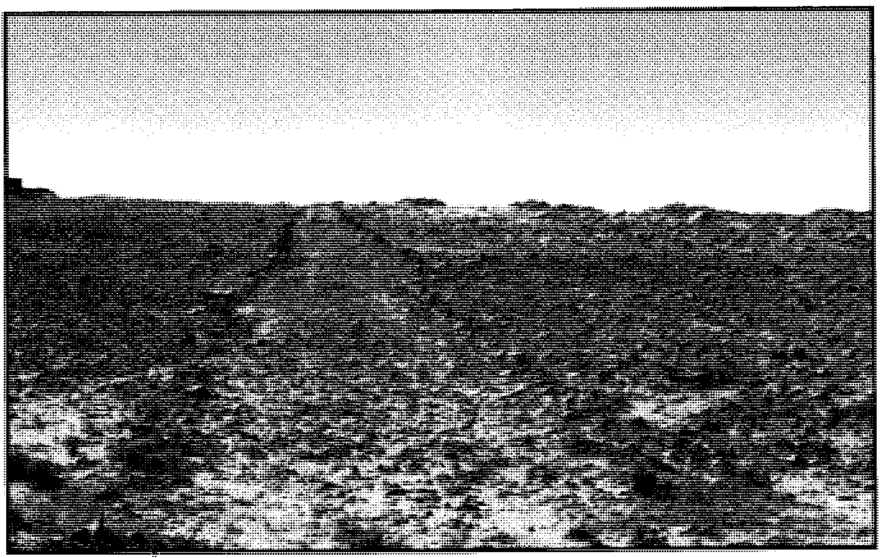


منظر رقم (١١) أحد أعلام الطريق عند منحدر الصفراء شمال مزارع الزغيبية

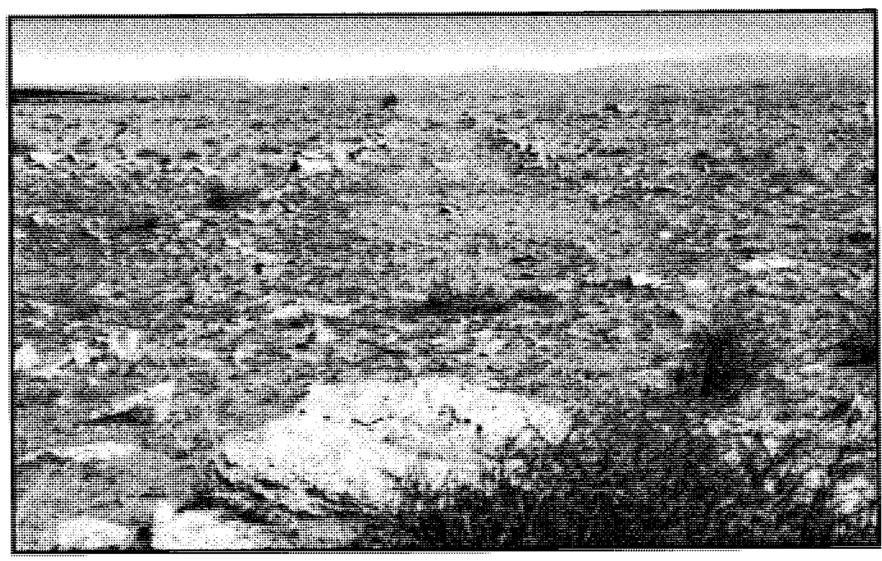
وبجوار هذا العلم من جهة الشمال الشرقي ثلاثة أكوام من الحجارة ولكنها أصغر منه.

وجنوباً من الجميع بمحاذاتهن طريق منقى طوله نصف كيل تقريباً، إذ أنه يصعب على الإبل السير في هذا المكان مع وجود حجارة الصفراء.

انظـر إلى صورة المنقى الصـورتين رقم (١٢) ورقم (١٣) الأولى بـالاتجاه إلى منـزل القريتين والثـانية تظهر منظر الطـريق باتجاه منـزل «العوسجة» ويرى في الصـورة الجهة الشمالية من نفود لوىٰ يسلك الطريق بينه وبين مجرى وادي «الرُّمة»



منظر رقم (١٢) جزء من طريق منقى عند منحدر الصفراء بجوار العلم. المنظر مأخوذ باتجاه القبلة.



منظر رقم (١٣) منظر منقى الطريق عند منحدر الصفراء. منظر باتجاه «العوسجة»

لم يتطرق إليّ الشك في أن هذا المنقى غير قديم، ولكني رأيت الأستاذ عثمان العضيبي والأخ أحمد وتخصصهما متقارب يتفحصانه ويمعنان النظر فيه.

وقد أجد لهما عذراً للشك فيه لأنه يوجد في جهته الشرقية مزرعة استخدم صاحبها آلة حديثة «شيول» وظهرت آثاره بالقرب من المنقى وأثره يشبه إلى حد كبير أثر «المنقى» ولكي أقطع الشك باليقين قمت بقياس سعة «المنقى» فإذا هي ثلاثة أمتار ونصف المتر وبقياس أثر «الشيول» تبين أن سعته متران ونصف المتر فقط، وبذا زال هذا الشك.

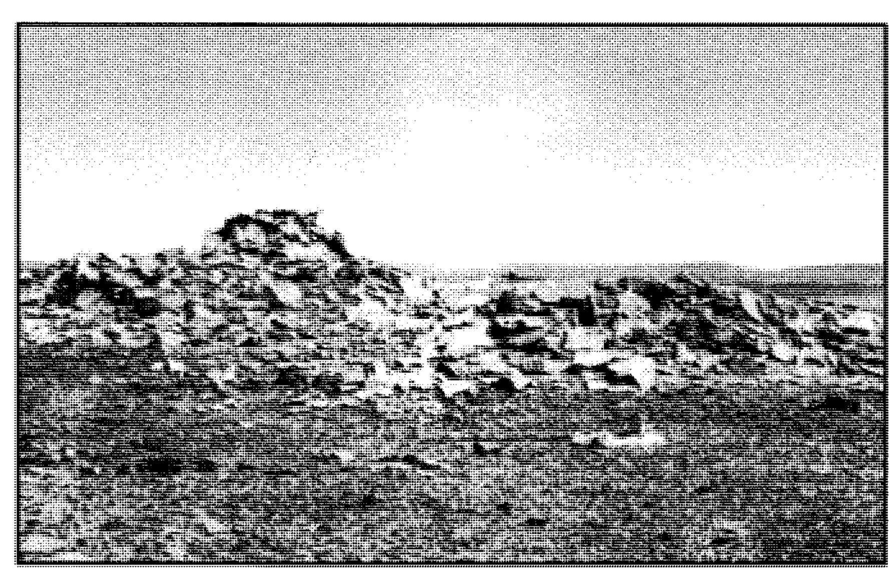
لقد سرنا مع الطريق باتجاه منزل «العوسجة» الذي حققته سابقاً، وعندما خلفنا سهل الزغيبية ومزارعها خلف الظهر وانقطع نفود «لوىٰ» علونا مرتفعاً، وقد انحرف مجرى وادي الرمة باتجاه الشمال حتى القرب من محاذاة جنوبي مدينة بريدة ثم يعتدل باتجاه الشمال الشرقي ليعانقه الطريق عند «قاع بولان».

أصبح الطريق أقل منخفضات ومرتفعات والسير فيه أسهل حتى وصلنا إلى الطريق السريع المتجه من القصيم إلى الرياض، وما كدنا نسير قليلاً حتى عثرنا على أحد الأعلام، ويناوحه علم آخر أكبر منه بني على أكمة مرتفعة يشاهد من بعد، وهذا العلم واقع على خط العرض ٢٩ً ١٤َ ٢٦ْ وخط الطول ١٥ً ٠٥َ ٤٤ْ.

ومما دلنا أن الطريق يسير باعتدال باتجاه القبلة أنه يوجد مزرعة تقع على الطريق بالقرب من هذا العلم أنشيء حولها بعض المساكن ومسجد. ومحراب المسجد مقابل لهذا العلم حسب اتجاه الطريق **انظر الى صورة هذا العلم الصورة رقم (١٤)**

وهذا العلم الكبير يبعد عن منزل «العوسجة» خمسة عشر كيلاً، وعن «العيارية» باتجاه القبلة ثمانية عشر كيلاً على السَّمت.

كان لنا وقفة استراحة على هذا المرتفع بجوار هذا العلم وما يحكيه من تاريخ، وما مر بجواره من قوافل الحجيج المتجهة إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة داعين متضرعين.



منظر رقم (١٤) أحد أعلام الطريق البارزة جنوب غربي «قاع بولان»

بعد هـذه الاستراحة القصيـرة كان مرورنـا على المسجد الـواقع على سمت الطريق، وبعد أن جاوزنا هذه المزرعة عثرنا على علمين آخرين ولكنهما أصغر من سابقيهما.

بعد ذلك لم نتمكن من مواصلة السير نظراً لكثرة المزارع وامتناع السير من خلالها.

فأخذنا ذات اليســار باتجاه مدينة بريـدة لأنها الأقرب، ومنها إلى مدينـة عنيزة، وفيها ودعنا مرافقنا الأستاذ عثمان العضيبي شاكرين له تعاونه معنا، وكرمه الجم.

وقبل أن نترك عنيزة الفيحـاء بجوها اللطيف في هذا الفصل من السنة، ومناظـر رمالها الذهبية لابد أن أقول رأيي حول تحديد منزل «القريتين» فأقول:

منزل القريتين:

لست مع من حدد منزل القـريتين بأنه واقع في المكان المسمى«الْقُرَيَّة» شـرقي مدينة عنيزة حيث اتضح لي من التجول في هـذه الناحية الواقعة بين عنيزة ومـزارع «الزُّغَيْبِيَّة» أن ما يسمى بالقُرَيَّـة لا يعدو أن يكون آثار مساكن زراعية قـديمة، ولا يخفى على أي باحث متمكن أن يستنتج ذلك. أما كـون منزل «القـريتين» واقعاً فيها فقـد استبعدته بعـد العثور على منزل «العـوسجة» ومتعشى «عجلز» وكذا العثـور على أعلام الطريق لأن المسـافات التي حـددها قـدماء المـؤرخين وعلماء البلـدان لا تنطبق على هذا المـوقع حيث يتبقى علينا للوصول إلى منزل القريتين ما يقارب ثمانية أكيال.

ولعل القارىء يتساءل فيقول: إذاً أين يقع منزل القريتين؟

أقول: لقد سألت كثيراً في المكان الذي أتوقع وجـود المنزل فيه ولكن لم أجد الإجابة المقنعة، ولكن بإجراء القيـاسات اللازمة ظهر لـي مؤشر قوي يدل على أنـه واقع بالقرب من «جُوَيّ» الواقع بالقرب من مدينة عنيزة إلى جهة الشمال الغربي منها.

لذا قررت زيارة هذا الموقع لاسيما وأن مؤلف معجم «بلاد القصيم» قال عنه:

(جُوَيْ ... مـوضع هو في الحقيقة على شكل جـو صغير يقع إلى الشمال من مـدينة عنيزة جنوباً من العيارية التي هي العسكرة قديماً إحدى القريتين المشهورتين.

فيه الآن مـزارع، وفيه سبخـة صغيرة كانت نـاشئة عن كون شعبـة من مياه وادي الـرُّمة تدخله في زمن من الأزمان.

وفي «الجـوي» هذا تل صغيـر فيه آثـار عمـارة وقطع من الفخار ممـا يدل على قـدم عمارتـه وما أُبعـد أنه كـان في وقت من الأوقـات تابعاً للعسكـرة القديمـة التي أصبحت تسمى «العيارية» وكانت إحدى القريتين المشهورتين في القرن الثاني وما بعده[1].)انتهى

(١) معجم بلاد القصيم: ٢/ ٧٦٦.

لقد قررت أن تكـون هذه الزيارة آخـر زيارة أقوم بها للبحث عن منـزل القريتين حيث تكررت الزيارات الميـدانية دون الوصول إلى نتيجة مرضيـة؛ لذا رغبت من الأستاذ عثمان العضيبي أن يحـدد لي لقاء مع الأستـاذ عبد الـرحمن البـراهيم البطحي لأن له درايـة في التـاريخ وخاصـة فيما يتعلق بتـاريخ عنيزة فحـدد معـه الساعـة التاسعـة من صباح يـوم الخميس ٢٦/ ١٠/ ١٤١٤هـ.

وفي الصباح الباكر من هذا اليوم كان لي جـولة على ضفاف وادي «الرُّمة» من الناحية الجنوبيـة، وبالتحديد شـرقي الطريق العام الموصل من عنيـزة إلى بريدة باتجـاه الأعلام التي عثرت عليها سـابقاً في أعلى صفراء عنيزة عسى أن أعثر على أعلام أخـرى قريبة من المدينـة لتتضح لي الجهة التي سلكها طـريق الحاج قديمـاً لأنني تيقنت أن المنزل واقع غرباً من الطريق العام لا شرقاً منه.

وكانت المنطقة التي أبحث فيها قد غُيـرت معالمها ورغم ذلك لـم أيأس فعثرت على أحد الأعلام بالقرب من الطريق المزفت وبـالتحديد خلف «محطة وقود اليحيى» الواقعة بعد مبنى شركة الكهرباء بالنسبة للمتجه شمالاً إلى بريدة.

وهـذا العلم أو بالأصـح بقيته واقع على خط العـرض ٣٩ً ٠٨َ ٢٦ْ وخط الطـول ٣٠ً ٥٩َ ٤٣ْ ويبعد عن منـزل «العوسجـة» الواقع عنـه باتجـاه الشمال الشـرقي تسعة وثلاثين كيلاً. أي: أن منـزل «القريتين» يقع عن هذا العلم باتجاه القبلة مـايقارب خمسة أكيال فقط حيث أن المسافة بين منزل «العوسجة» ومنزل «القريتين» أربعة وأربعون كيلا.

عندمـا حان المـوعد مع الأستـاذ عبد الـرحمن مررت علـى الأخ عثمان واتجهنـا إليه فوجدناه بانتظارنا في مزرعته الواقعة شمال غربي عنيزة.

وقد أَلْفَيْتُ الرجل على جـانب من الفهم والمعرفة، ولا غرابة في ذلك فقد كـان مديراً لإحدى المـدارس قبل تقاعـده المبكر، ولقـد سألته عن أشيـاء كثيرة فتبين لي مـن خلال النقـاش أن لـه رأيـاً في تحـديـد بعض المـواضع يختلف فيـه مع من كتبـوا عن تـاريخ

المنطقة، وهو مع الرأي القائل: بأن «القُرَية» الـواقعة شرقي عنيزة ليست إحدى القريتين، ويرى أن «العَيَّارية» احداهما.

ومن بين المواضع التي سألته عنها «جُوَى عنيزة» فتبسم وقال:

هذا الجو الذي نطل عليه من جهة الجنوب والجنوب الغربي هو «جُوَيّ».

وكانت مزرعته في مكان مرتفع مشرف على ماحوله وقد أسماها «مُطِلَّه».

وعندما قلت له: إني أرغب الوقوف على التَّلة التي أشار إليها صاحب «معجم بلاد القصيم» قال هذه التلة قام عليها مزرعة في الوقت الحاضر، وكانت فيما سبق تسمى «عِمَارَةُ عُمَيْر» نسبة إلى رجل اسمه «عُمَيْر» لأنه بنى عليها أو حولها بيتاً في زمن مضى فأصبحت تسمى بهذا الاسم. فقررنا القيام بجولة ميدانية على بعض المواضع مبتدئين بالوقوف على هذه التلة الأثرية، وبالوقوف بجوار المزرعة التي قامت على أنقاض هذا الأثر تبين لي أنه واقع على خط العرض ٠٦َ ٢٦ْ وخط الطول ٥٦َ ٤٣ْ.

كما تبين أنه يبعد عن منزل «العوسجة» أربعة وأربعين كيلاً وتسعين متراً.

ويبعد عن متعشى عَجْلز (البريكة حالياً) ثمانية عشر كيلاً وسبعين متراً، وهذه المسافات مطابقة لما ورد في النصوص القديمة مما يدل على أن هذا هو منزل القريتين أو أن المنزل يقع بجواره.

فإذا قلنا: إن «العَيَّارية» هي إحدى القريتين فهل تكون هذه التلة التي تكثر فيها قطع لفخار هي القرية الثانية؟

إذا كانت هي القرية الثانية فأين المنزل إذاً؟

هذا سؤال وجهته إلى الأستاذ عبد الرحمن البطحي حيث قلت له:

ألا يوجد بالقرب من هذا الموقع موقع آخر يستدل منه على أنه قديم؟

قال: لا أعرف إلا مكاناً بالقرب منه يسمى «المَلْقَى» وهو موقع قديم يقع إلى جهة مطلع الشمس من «عمارة عمير» غير بعيد منها.

وبالوقوف على هذا الموضع الواقع في الجهة الجنوبية الشرقية من عموم قاع

«الجُوَي» شاهدت فيه بئراً زراعية قديمة مما يدل على زراعة المكان في عصور متأخرة وتغطي الرمال جزءاً من الموقع، والملقى يقع على خط العرض ٤٩ً ٠٦َ ٢٦ْ وخط الطول ٥٠ً ٥٦َ ٤٣ْ.

يبعد عن منزل «العوسجة» أربعة وأربعين كيلاً وخمسين متراً، كما يبعد عن متعشى «عجلز» ثمانية عشر كيلاً وثمانين متراً.

وهذا التطابق في القياسات يحملني على القول بأن «الملقى» ربما يكون هو منزل حاج البصرة القديم المسمى منزل «القريتين» وأن التلة المجاورة له هي من أنقاض إحدى القريتين وقد يكون أطلق اسم الملقى أخيراً على هذا المكان لالتقاء طرق المسافرين فيه، أو التقاء الطرق التجارية مع طريق الحج البصري.

لقد تجولت في الموقع لعلي أعثر على أي أثر لبركة المنزل، ولكن لإحداث زراعة فيه في أزمنة سابقة غيرت من معالمه فقد تكون البركة انطمرت أو أنها موجودة في مكان آخر لا يبعد عنه كثيراً بالقرب من أحد الأودية المجاورة.

ورغم ما قيل عن وجود هذه البركة ومشاهدة البعض لها إلا أنني كلما اقتربت منها ازدادت بعداً فلم أجد لها أثراً في أماكن مضانها.

وقد دلني الأستاذ عبد الرحمن على مكان يعتقد أن البركة موجودة بالقرب منه ولكن لم نعثر إلا على مجاري مياه شيدت بالحجارة لإيصال المياه إلى المزارع وقد تكون البركة دخلت في أحد حيطان النخيل فدفنت كما هو الحال بالنسبة لبركة منزل «النباج» ومتعشى «عجلز» وغيرهما من برك المنازل.

الرمادة وعجلز

عندما يصدر الحاج من منزل «القريتين» باتجاه «رَامَة» فإنهم يمرون على موضع اسمه «الرَّمادة» وقالوا عنه إنه منتصف الطريق بين مكة والبصرة، ويصلونه إذا بقي على متعشى «عجلز» ثلاثة أميال. وإليك ماقاله الأقدمون عن «الرمادة»:

أولاً: يقول «أبو إسحاق الحربي» وهو يتكلم عن القريتين:

(ومن ورائها بلد يقال له الرمادة وهو منصف طريق مكة من البصرة، قال: يقول الكريُّ إذا صار بالرمادة: ما أبالي أصعدت أم انحدرت. أي إني في المنصف. وكان للرمادة هذه خبر فيما حدثني عبد الله بن عمرو بن بشر عن عليّ بن محمد الهاشمي عن أبيه قال: كان رجل من العرب ورد الرمادة، ومعه إبل له فسقاها والناس نيام، وكان يطعن عليه في حسبه وكان نَدِياً، فأقبل يرتجز ويقول:

إنَّ الرَّمَاديَّات في الرَّمَادَهْ ... تزنُّ إحداهُنَّ في الوسَادَهْ

كما تَزنُّ بَظْرَها الجرادهْ

يرميهن بالرَّسَح، فسمع الرجال رجزه فقتلوه، فغضبت له عشيرته فتراسلوا للحرب فاتَّعَدُوا فُلَيْجاً وهو واد صغير، يأتي من قبل الشمال، يصب في فَلْج، وخرج من هؤلاء خمسون رجلاً، ومن هؤلاء خمسون رجلاً فالتقوا فاقتتلوا، فقتل نصف هؤلاء ونصف هؤلاء، فلم يُسمع بقوم ذهبوا كهذا غيرهم فتحاجزوا فانصرف من هؤلاء خمسة وعشرون، ومن هؤلاء خمسة وعشرون ففي ذلك يقول الفرزدق:

فإن الذي طُلَّت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم ياأم سالم

ثم من ورائها بثلاثة أميال موضع يقال له عَجْلَز، به بركة وآبار ومسجد، وهو الذي يقال النصف من الطريق إلى مكة[1].

---

(١) كتاب المناسك: ص ٥٩٠- ٥٩١.

وقفة عند هذا النص:

لقد أورد الحربي رحمه الله ـ خبر الرجل الذي سقى إبله من ماء «الرمادة» فقال في نسائها ماقال من الرجز المتقدم. ويظهر لي أن هذه الحادثة لم تحصل في الرمادة الواقعة بين منزل « القريتين » ومتعشى «عجلز» بدليل أن القوم تواعدوا وادي «فُلَيْج» وهذا بعيد عن رمادتنا هذه.

وقد أدرك الشيخ حمد الجاسر ذلك حيث علق على هذا الخبر في كتاب «المناسك» صفحة (٥٩١) بقوله:

(هذا الخبر ينطبق على «الرمادة» التي بقرب فلج ـ وادي الباطن ـ ، قال في « بلاد العرب»:

وفي ناحية الدو ماءة عظيمة يقال لها الرمادة لبني فقيم ولبني دارم، ثم بين طويلع والرمادة ماءة يقال لها قنور ...)

ثم حدد لنا موقع «فليج» بقوله : واد لازال معروفاً يصب في الباطن (فلج قديماً) وهما فليجان، فليج الشمالي، فالأول يقع شمال فلج، والثاني جنوبه، ويفيض سيلهما فيه في المكان الذي يقع فيه الحفر.) انتهى.

أقول : هذا هو القول الصائب. فاسم الرمادة يطلق على عدة مواضع أوصلها ياقوت الحموي في كتابه (المشترك وضعاً والمفترق صقعاً) إلى عشرة مواضع، وصاحب كتاب «بلاد العرب» أوضح لنا الأمر إيضاحاً لايدع مجالاً للشك. فليطمئن سكان رمادتنا !!.

ثانياً : يقول البكري:

(الرَّمَادَةُ ... موضع مذكور في رسم اللِّهابة، قال ذو الرُّمَّة:

أَمِنْ أَجْلِ دَارٍ بالرَّمادة قد مَضَى لها زَمَنٌ ظَلَّتْ بِكَ الأرض تَرْجُفُ[1]..

وفي رسم «اللهابة» عَدَّها من مياه بني كعب بن العنبر من تميم.

(١)معجم ما استعجم : ص ٢/ ٦٧٢.

ثالثاً : قال ياقوت في معجمه وهو يعدد المواضع المسماة بالرمادة:

(والـرمادة أيضـاً بلدة مـن وراء القريتين على طـريق البصـرة وهو نصف الطـريق من البصرة إلى مكة[1])

رابعاً : قال الأصفهاني:

(وفي ناحية الدو ماءة عظيمة يقال لها الرمادة لبني فقيم بن جرير، ولبني مناف بن دارم.

ثم بين طُوَيلع والرمادة ماءة يقال قنَوَّر ... وقال ذو الرمة في الرمادة:

أَخَـرْقَاءُ هـل قيـظ الرَّمادة راجـع ليـاليـه أو أيـامُهـنَّ الصَّـوَالحُ[2].

هذه بعض أقوال علماء البلدان قديماً عن الـرَّمادة، وما يهمنا من أقوالهم هنا ما يتعلق بالماء الواقع بعد منزل القريتين ودون متعشى «عجلز».

الرمادة عند مؤلف «معجم بلاد القصيم»

يقول: (رَمَادة ...نخل يقع على الضفـة الجنوبية لوادي الرُّمـة إلى الغرب الشمالي من العيارية (العسكرة قديماً) في منطقـة مجرى وادي الرُّمة، التي تقع بين خب الغماس إلى الشمال وبين جوي عنيزة إلى الجنوب وكانت النخيل مزدهرة فيها في القديم ...

ولاأشك في أنها هي رمادة التي ذكرت في طريق الحج البصْري إلى مكة المكرمة.

ـ ثم أورد المؤلف بعض النصوص القديمة حول الرمادة ـ

من بين هذه النصوص: قـول ياقوت الحموي (والرمادة أيضـاً: بلدة من وراء القريتين على طريق البصـرة وهو نصف الطريق من البصرة إلى مكـة) حيث علق على هذا النص بقوله:

فتأمل قـولـه: بلـدة ممـا يـدل على أنـه كـانت فيهـا عمـارة من بنيـان ونخيل وربمـا

---

(١) معجم البلدان: ص٣/ ٦٦.

(٢) بلاد العرب : ص ٣٥٤.

عيـــون...أي أنها ليست بماء ترده الأعراب خال من العمارة. وقوله: هو نص الطريق من البصرة إلى مكـة مما يؤيد القول بأنهـا هي رمادة هذه الباقيـة على اسمها حتى الآن، لأن كثيراً من العلمـاء ذكر أن المنصف عجلز وهو بيـن القريتين ورامة، ورمادة واقعـة بالفعل في تلك المنطقة، ولكنها قبل عجلز من جهة الشرق.

وذكـر ياقـوت موضعـاً آخـر ربما كـان قريبـاً من رمـادة وأخذ اسمـه من اسمها وهـو «رمادان» بلفظ تثنية رماد إلى جانب قرائن أخرى تدل على ذلك، قال ياقوت:

رمادان: تثنية رماد ثم عُرِّب : جفر في الطـريق لبني المرقع من بني عبد الله بن غطفان عند القصيم... فذكـر أنه في الطريق ـ أي طـريق حاج البصرة إلى مكة، وهـذا هو الواقع بالنسبة للرمادة.

ثم قوله في القصيـم، ثم بيت جرير الذي قرنـه في الذكر بعجلز. وعجلـز هو الزريب كما سيأتي في رسمه مايدل على موضعه بالتقريب.

والطريق الذي يمر برمادة هو طريق الحـاج الذي يمر بالعيَّاريَّة التي كانت تسمى في القديم «العسكرة» وهي إحدى القريتين[1])...انتهى قوله عن الرمادة باختصار.

أما رأيه عن «عجلز» فيقول بشأنه:

(الزِّرَيْب ... مـورد ماء قـديم عذب المذاق نـوعاً ما، قصيـر الرشـاء ويقع الزريب في رمال الغميس ـ غميس بريدة ـ إلى جهة الغـرب من خبوب بريدة الجنوبية مثل اللسيب والغمـاس. على الضفة الشمـالية لـوادي الرُّمـة، ويبعـد حوالي كيلين اثنين عن مجـرى الوادي وتحيط بـه الرمال التي كـانت تنبت الغضا في القـديم بل كانت مكسوة بغـابات الغضا.

(١) معجم بلاد القصيم: ص٣/ ١٠٦٠/ ١٠٦١.

وقد انقطع منها في السنوات الأخيرة بسبب إلحاح الناس على جذوره بالقطع لاستعماله في الوقود والتدفئة إلا أن انتشار أنواع الوقود الأخرى كالغاز وتحريم الحكومة قطع جذور الأشجار الصحراوية جعل الغضا يبدأ في العودة إلى تلك المنطقة بل إنه كاد يعود كما في غميس عنيزة الواقع على الضفة الجنوبية لوادي الرُّمة التي تقابل الزريب من جهة الجنوب.

والذي يظهر لنا أن الزريب هذا هو (عجلز القديم) الذي ذكر القدماء أنه فوق القريتين اللتين في طريق حاج البصرة إلى مكة المكرمة.

فالأوصاف التي ذكرها المتقدمون تنطبق عليه أو تكاد.

ومن أهمها وصفه بأنه فوق القريتين وهذا صحيح. فهذا فوقها أي أعلا منهما وهذا ظاهر. ومنها قولهم بأنه هو المنصف بين مكة والبصرة وهذا صحيح أيضاً.

وقد أورد المؤلف بعض أقوال القدماء حول عجلز ومن هذه الأقوال قول أبي عليّ الهجري الذي علق فيه على بيت الغنوي حيث قال:ـ

« ... قال العجالز التي ذكر : أراد عجلزاً، وهو ماء في الطريق، بينه وبين القريتين تسعة أميال، وإلى جنبه ماء يقال له : رحبة».

واستمر مؤلف معجم بلاد القصيم قائلا:

ويؤيد ماقلناه من كون الزريب هو ما كان يسمى قديماً «عجلز» قول جرير:

أخو اللؤم مادام الغضا حول عجلز وما دام يسقى في رماذان أحقف

لأن الزريب كان يحيط به الغضا من كل جهة. ولم يكن جرير رحمه الله يتصور أن الغضا الذي حول عجلز يمكن أن يمحي من الوجود...

قلنا إن الذي يظهر لنا أن الزريب هذا هو (عجلز) القديم، وقد وصف عجلز بأنه على طريق حاج البصرة إلى مكة. ووصف بأنه فوق القريتين.

فمن أي منزل الحاج يوصل إليه؟ وإلى أي منزل يصار منه؟

لعل الأسهل أن نجيب عن السؤال الثاني وهو إلى أين يسافر الحاج الذين ينزلون عجلزاً ويشربون ماءه؟

والجواب: بلا تردد: إنهم يسافرون إلى رامة.

والدليل على ذلك أمران: الأول النصوص التي ذكرت ذلك صراحة.

والثاني: أن رامة في الاتجاه الصحيح لمن يسافر إلى مكة من الزريب.

أما السؤال الأول فإن الجواب كما قدمت وهو أن الذين يردون عجلزاً إنما هم الحجاج الذين يمرون بالعوسجة أي التي هي (خب العوشز) في الوقت الحاضر أما الذين يمرون بالقرية الشرقية ـ أي قرية ابن عامر وعلى طريقهم القرية الأخرى التي كانت تسمى في القديم (العسكرة) وتسمى الآن (العيارية) وهناك بعدها الرمادة ـ فإنهم ليسوا بمضطرين إلى أن يردوا عجلزا الماء وإنما يمرون بالرمال التي هي منه إلى الجنوب على ضفتي وادي الرمة وهي جميعاً منابت الغضا، ومن الرمال المرتكمة ويسميها بعضهم رمال عجلز كما سماها الجهضمي بكثيب عجلز.

على أنه يمكن أن نطرح هنا افتراضاً فيه شيء من البعد ولكن فيه شيء من الوجاهة وهو أنه ربما كان الحاج يتجنبون السير في أرض وادي الرمة السبخة الزلقة في الشتاء فيرحلون من قرية ابن عامر التي هي القْرَيَّة الآن بقرب الزغيبية، ثم يقطعون الوادي للحصول على الماء العذب من الزريب ثم يقطعون وادي الرمة بعد ذلك مع أضيق جزء منه في تلك المنطقة وهو الخنق متوجهين إلى رامة ...[1] انتهى ماقاله المؤلف باختصار.

---

(١) معجم بلاد القصيم: ص ٣/ ١١٠٢-١١٠٨.

مناقشة رأي مؤلف «معجم بلاد القصيم» حول تحديده للرمادة وعجلز:

أقول: يبدو لي أن أستاذنا محمد بن ناصر العبودي حينما وصل به الطريق إلى رمال القصيم أضاع معالم الدرب فراح يتلمس آثاره في مظانها عَلَّه يهتدي إلى مكان «الرمادة» و «عجلز» الأمر الذي جعله يُلْحِفُ بسؤال كبار السن عن هذين الموضعين، ويتفحص لنا النصوص الواردة فيهما من شعر ونثر ومن بين ثنايا النصوص افترض الافتراضات علّه يقرب من المكان الصحيح، وهذا العمل بحد ذاته فيه فائدة كبيرة للباحثين، والمؤرخين من بعده؛ حيث أزاح الرمال عن كثير من المواضع في طريق تحسسه للرمادة وعجلز.

وأقولها بكل صدق: فإن الفضل فيما اهتديت إليه يعود - بعد الله - إلى طريقته في محاورة النصوص ومحاولة تطبيقها على بعض المواضع التي ظهر له أنها المقصودة، بينما العكس هو الصحيح.

وعندما تتبعت آثاره مع الطريق أدركت أنه ترك الجادة عندما أشكل عليه منزل «العوسجة» فجعله «خب العوشز» عند ذلك فَقَدَ أَثَرَ مسير الحاج من وراء القريتين، فأصبح الطريق عنده طريقين ؛

طريق: يمر على «خب العوشز» الواقع جنوباً من مدينة بريدة الذي كاد يكون أحد أحيائها في الوقت الحاضر.

والطريق الثاني: يمر على القريتين.

ولهذا مَرَّ على عدد من المواضع التي تكلم عنها بإسهاب، وحدد لنا أماكنها وتاريخها القديم والحديث مستنيراً بأقوال كبار السن ومن لهم خبرة في البلاد، الأمر الذي أفاد فائدة كبيرة في التعريف عن هذه المواضع بكل وضوح.

ولعلي فيما يلي أترسم مسار الطريق الصحيح لنصل إلى «الرمادة» و « عجلز» فنجمع بذلك بين الفائدتين فأقول:

أولا : حدد لنـا المؤلف « الـرمادة» بأنهـا النخل الواقع على الضفـة الجنوبيـة لوادي «الرُّمة» إلى الغرب الشمالي من العَيَّارية (العسكرة قـديماً) وأنها ـ أي الرمادة ـ واقعة بين خب الغماس إلى الشمال، وبين جوي عنيزة إلى الجنوب...

وقال: ولا أشك في أنها هي «رمادة» التي ذكرت في طريق الحج البصري.

أقول حيال ذلك:

لست مع المؤلف في رأيه هذا فرمادة التي أشـار إليها واقعة بالنسبة لمنزل « القريتين» باتجاه الشمال الغربي بينما قافلة الحجيج متجهة نحو الجنوب الغربي.

ولن أنـاقش تحليله للنصوص ومحـاولة تطبيقهـا على ماذهب إليـه من رأي حيث أن واقع الأمر لا يستدعي الإطـالة نظراً لوضوح الطريق الذي يسلكـه الحاج في القديم، فهم يصـدرون من منزل «القـريتين» ويتجهـون باتجـاه الجنـوب الغـربي إلى «عجلز» مـروراً بالـرمادة، وكل هـذه المواضع واقعـة على خط مستقيم بـاتجاه القبلة، وسيتبين لنـا ذلك لاحقاً إن شاء الله.

ثانياً : حدد المؤلف عجلزاً بأنه مايسمى في الوقت الحاضر «الزِريب» موضحاً مكانه بقوله:

(الزِّرَيْب ... ماء قديم عذب المذاق نوعاً ما، قصير الرشاء ... يقع في رمال الغميس ـ غميس بريدة ـ إلى جهة الغرب من خبوب بريدة الجنوبية مثل اللسيب والغماس).

وقـد أسهـب المـؤلف في محــاولـة تطبيق النصــوص الـواردة بشأن «عجلــز» على «الزريب» دون سواه من المواضع حيث قال:

(والذي يظهـر لنا أن الـزريب هـذا هو «عجلز القـديم» الـذي ذكر القـدماء أنـه فوق القريتين اللتين في طريق حاج البصرة إلى مكة).

أقول :

كما قلت عن الرمادة أقوله هنا عن الزريب: إن الزريب ليس هو «عجلز قديماً» لأمور منها:

- إن عجلزاً يقع باتجاه الجنوب الغربي من منزل «القريتين» على بعد تسعة أميال أي ثمانية عشر كيلاً؛ بينما نجد الزريب يقع باتجاه الشمال الغربي من القريتين على بعد أحد عشر كيلا فقط.

انظر إلى موضع الزريب على الخارطة رقم (١).

أما عن تعليل المؤلف بقوله: (على أنه يمكن أن نطرح هنا افتراضاً فيه شيء من البعد ولكن فيه شيء من الوجاهة، وهو أنه ربما كان الحاج يتجنبون السير في أرض وادي الرُّمة السبخة الزلقة في الشتاء فيرحلون من قرية ابن عامر التي هي القَرَيَّة الآن بقرب الزغيبية، ثم يقطعون الوادي للحصول على الماء العذب من الزريب ثم يقطعون وادي الرمة بعد ذلك مع أضيق جزء منه ...)

أقول: إن الحاج عندما يسيرون من قرب قرية ابن عامر ليسوا مضطرين لقطع الوادي لأن منزلهم يقع على ضفته الجنوبية، أما التعليل الثاني: وهو قطع الوادي للحصول على الماء العذب من «الزريب» فالواقع أن استعذابهم الماء من «عنيزة» أقرب لكونها مجاورة لهم؛ هذا إذا كانوا بحاجة إلى ماء عذب ولا أظنهم بحاجة اليه مادام منزلهم فيه «بركة» فيها ماء السماء وقد أفادنا الهجري أن أهل القريتين أنفسهم يستعذبون الماء من جارتهم عنيزة. أليس الأمر كذلك؟!

وعندما نتعرف على «عجلز» من خلال الرحلة الميدانية فلن يكون هناك داع لمناقشة جميع ما أورده مؤلف «معجم بلاد القصيم» من أقوال حاول فيها إثبات أن الزريب هو «عجلز قديماً».

والآن دعونا نواصل رحلتنا مع طريق الحاج البصري باتجاه الرمادة، وعجلز تاركين مجرى وادي «الرُّمة» ذات اليمين.

الاتجاه إلى عجلز:

كان الوقت عصراً عندما ودعنا الأستاذ عثمان العضيبي فاتجهنا إلى سلوك أقرب طريق مزفت رأينا أنه يقرب من الوجهة الصحيحة، وهذا الطريق هو المتجه من عنيزة إلى «الروضة» والأبرق مخترقاً رمال «غميس عنيزة» التي هي عندي بلاشك رمال «عجلز».

عندما تطاولت كثبان الرمال وأمسى الطريق يأخذ ذات اليمين وذات الشمال كان لنا وقفة تأمل.

فهل كان طريق الحاج يسلك يميناً أم يساراً؟ لقد فضلنا ترك الطريق والاتجاه يساراً مع خطوط يسلكها المتنزهون داخل الرمال، وكانت الكثبان الرملية العالية تجبرنا على الانحدار باتجاه الجنوب، وكلما تطامنت عرجنا يميناً حتى وصلنا إلى «الْجَرَّاحِيَّة»، وما أدراك ما الجراحية؟! إنها عبارة عن كثبان عالية يتبارى فيها الشباب في اختبار قوى سياراتهم.

إن هذه الرمال هي رمال عجلز فشماليها يسمى «الغميس» وجنوبيها يسمى رمال «الشُّقَيِّقَة»

لقد أبدت راحلتنا قوة لم نعهدها فيها وكأني بالأخ أحمد وهو السائق أخذه الحماس عندما رأى الشباب يتسلقون الرمال العالية.

أو كأني براحلتنا تخشى أن تغلبها ناقة «الجَهْضَمِيّ» حيث يقول عنها في أرجوزة الطريق:

ثم مضت نحو كثيب عَجْلَزْ تنحطُّ بالسَّيْر الوحي الموجز
لو طلبَتْ وحشيَّة لم تُعجز

فسرن في لبث على الكثيب تعسل فيه عسلان الذيب
باقية النَّي على الدؤوب

تشـــــرف فيـــه تـــارة وَتَنْحَـــدِر   دائمـــة النشـــاط كـــالعيـــر الأشـــر

راحت كـــــذاك وكـــــذاك تبتكـــر

(عجلز متعشى)

وكنا مثل الجهضمي فـوق ناقته تـارة نشرف على الرمال وتـارة ننحدر، ولقد مـررنا في طريقنا هذا بمـا يشبه الغابات من شجر الغضا هذا النبات الـذي لا يتواجد إلا في أماكن محددة ومنها رمال عجلز.

عندما مررنا بشجر الغضا تذكرت قول جرير:

أخو اللـؤم مادام الغضـا حول عجلـز   ومـــا دام يسقى في رمـــادان أحقف

لقد شكرنا الله عندما قطعنا هذه الرمال حيث نجانا من متاعبها متمثلين بقول الراجز:

الله نجـــــاك من العجـــــالـــــز   ومن جبـــال طخفـــة النـــواشـــز

عندما علـونا آخر عِرْق من هذه الرمـال شاهدنا الأرض أمامنا منبسطـة، وكان المنظر بديعاً حيث تغطي المزارع الخضراء صفحة الرمال الغربية.

كان الطـريق المزفت الذي تركنـاه في وسط الرمال يقع إلى يميننا، وكنت قـد حددت موقع منزل «عجلز» في «الروضة» أو قريباً منها، ونحن الآن نطل على الروضة.

عندما انحدرنا من الرمال وصلنا إلى مضـارب خيام كثيرة حولها عدد من الإبل، وعند أكبر خيمة توقفنا للسؤال وما أكثر تساؤلاتنا.

كان يجلس قـرب الخيمة عـدد من الرجـال فاستقبلنـا أحدهم فبـادرناه بأسئلـة كثيرة حول عجلز ولكنه لم يفهم مما قلناه شيئـاً، وحيث سمع أحد الجالسين بعضاً من الحوار الذي دار بيننـا وبين الرجل قـال: تفضلوا لشـرب القهوة، وعندي طـرف مما تسألـون عنه الأمر الذي قد يساعدكم في العثور على ما جئتم من أجله.

استهل الرجل حديثه بإعلامنا باسمه، واسمه «عارف بن صالح العُرَيْفِي» فقلت في نفسي متفائلاً: اسمه واسم جده مشتقين من المعرفة، فقد يعرفنا بما جئنا نسأل عنه فقال: بالأمس القريب كان بعض كبار السن يتحدثون في هذه الخيمة عن طريق الحاج القديم وقد ذكروا بالقرب من هذا المكان بعض الآثار.

فقلت ألا يمكن الاجتماع بهم أوبأحدهم؟ فبادر مشكوراً إلى الإيعاز لأحد الجالسين بأن يذهب ويدعو « أبا خُلَيْف» وقال: إن هذا الرجل ولد في هذه الناحية ورعى الإبل فيها، وهوالآن كبير السن، وقد يفيدكم كثيراً .

ولما ذكرنا له أن المنزل الذي نبحث عنه يبعد عن مدينة عنيزة بما يقارب ثمانية عشر كيلاً قال: أنا أعرف مكاناً في وسط هذه الرمال يسمى «الأرطاوية» فيه آبار قديمة، واستعد لمصاحبتنا إلى هذا المكان فعدنا أدراجنا نعلو ونهبط مع رمال عجلز حتى أوقفنا على نقرة قال: إن هذه تسمى الأرطاوية وهي من موارد البادية القديمة.

وبإجراء القياسات اللازمة اتضح أنها تبعد أكثر من المسافة المطلوبة إلى جانب كونها مائلة كثيراً نحو الجنوب، الأمر الذي استبعدت معه أن تكون هي منزل عجلز، أو الرمادة.

فقلت له: إن المكان الذي نتحرى عنه يقع إلى جهة الشمال من هذا المكان فقال: لا أعرف في هذا الاتجاه إلاَّ مكان آثار قديمة قد وضعت عليه إدارة الآثار لوحة تحذيرية، يسمى «التكروني» فقلت له: دلنا عليه، وعندما وصلناه ألفيته عبارة عن أنقاض ما يشبه المساكن أو أبراج مقامة على أبيرقات ليست عالية، فقلت في نفسي لعل هذه من أعلام الطريق وأن المنزل لا يبعد من هذا المكان، ولكنها مائلة جهة الجنوب عن الطريق إلاَّ أنها أقرب إليه من آبار الأرطاوية.

كانت الشمس تميل إلى المغيب فقفلنا عائدين إلى المخيم..

وبعد المغرب تجمع رواد هذا المكان الـذي اتضح لي أنه مكان لسباق الهجن التابع لمنطقة عنيزة، وكان أبو خليف أحد الموجودين.

إنه بالفعل رجل كبير السن تبدو عليه آثار الشيخـوخة التي تخفيها خفة الحركة وتوقد الذهن. فكان لي صيداً ثميناً. قال لي: سل عما بدا لك.

فقلت له: حدثني عن الطريق الذي يسلكه الحاج من « عنيزة» إلى «رامة» قبل مجيء السيارات مع ذكر المواضع والمياه التي يمرون عليها في طريقهم.

فابتدأ يسرد ذكرياته القديمة وهو يرعى الإبل، ويعدد موارد المياه في هذه الجهات.

فسمعته يـذكر ـ وبكل عفويـة ـ اسم «البريكة» فـاستوقفته، وسألته عن البـريكة التي ذكر فقـال: هذه البريكة تطلق على اسم آبـار قديمة كنا نـردها وهي في نهاية الـرمال من جهة الغرب لا تبعد كثيراً من هذا المكان.

قلت له هل تدلنا عليها فقال: لو أردت الآن في ظلام الليل.

قلت لـه لا داعي لـذلك الآن ولكني سأزورك في الأسبـوع القادم إن شـاء الله وتـدلني عليها.

فودعنا الجميع شـاكرين لهم تعاونهم معنا، وخـاصة الأخ عارِف العُرَيْفِي الـذي عرفنا بأبي خليف وأبدى استعداده التام في المساعدة مستقبلاً، وزودني برقم هاتفه في عنيزة.

بعد خمسـة أيام اتصلت بـالأخ عارف هاتفيـاً أفيده أنني سأحضـر يوم الخميس إلى مقر سباق الهجن إن شاء الله.

فأبدى أسفـه لأنه سيسـافر إلى المنطقة الشـرقية غـداً، وقال: سأخبـر أبا خُلَيْفٍ لكي يكون في انتظـاركم، وقد فضل أن يكون حضورنـا للمكان بعد السـاعة الثانية ظهـراً لأنه سيكون هناك بعد الغداء سباق للهجن.

الرحلة الثانية إلى عجلز:

لم يتمكن الأخ أحمد من مرافقتي هذه المرة لانشغاله، وقد رافقني الأستاذ سعد الماضي ففي يوم الخميس ٩/ ٤/ ١٤١٤هـ اتجهنا من الدوادمي إلى منطقة القصيم.

وحيث كان لدينا متسع من الوقت فقد تجولنا حول مدينة عنيزة ووقفنا على بعض المواضع التي لها علاقة بالطريق، ومنها «خب العوشز» الواقع جنوبي مدينة بريدة، وبعد الظهر اتجهنا إلى مقر سباق الهجن حيث وصلناه حوالي الساعة الثالثة.

لقد وجدنا السباق على وشك النهاية، وكان «أبو خُلَيْف» أحد المشتركين في السباق.

انضم الينا أبو خليف فأصبحت القيادة بيده. عندما وصلنا إلى المكان المحدد وجدناه مزروعاً حيث تشغل المزارع حيزاً كبيراً من الأرض، وعندما خلفنا «البُريكة» درنا حول المزارع باتجاه الشرق فعلونا فوق رمال عجلز، وهو يشير إلى الجهة التي توجد فيها الآبار ولكن يحول بيننا وبينها أسلاك شائكة، لم يتصور الرجل أن وضع الأرض أصبح هكذا.

عندما علونا فوق أول مرتفع من الرمال من جهة الغرب قال استمر باتجاه الشرق، وفي نقرة بين الرمال أوقفنا وقال في هذا القاع عدد من الآبار وهي آبار قديمة كانت البادية تقطن حولها واسمها «الموينعيّة» وأشار إلى أماكن الآبار التي طمرت مع مرور الزمن وسمى كل واحدة باسمها وهي واقعة شرقاً من «البريكة» غير بعيد منها مما يحول بيني وبين القول بأنها «الرمادة».

درنا على حدود المزارع علنا نعثر على مدخل لها، وعند البوابة وجدنا القفل مفتوحاً فدخلنا وتجولنا بين دوائر المزارع حيث يدور أكثر من رشاش على تلك المساحة الواسعة من الأرض إنه يعرف مكانها ولكنها أصبحت تحت أحد هذه الرشاشات تسقيها بعد أن كانت تسقي الناس.

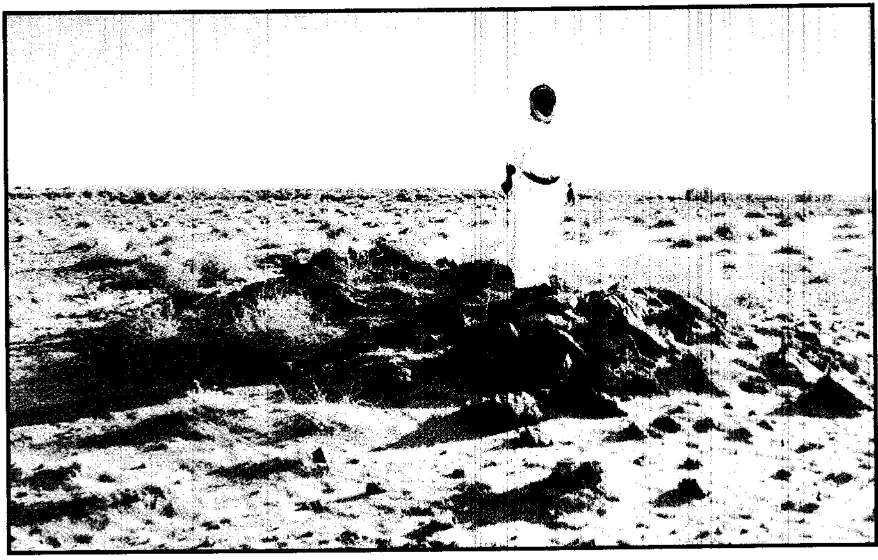
لقد سُقِطَ في يد أبي خليف وجعل يفرك يديه ببعضها فهونت الأمر عليه.

فتجولنا بين هذه المزارع الخضراء ولم نجد أحداً نسأله إلا عمالاً لا يحسنون العربية.

وفي أرض تقع في جهة المزارع من جهة الجنوب لم تصل إليها يد الإصلاح الزراعي شاهدت أحد أعلام الطريق فوقفنا عنده فصعد أبو خليف فوقه منتشياً.

انظر إلى صورة بقية هذا العلم من أعلام الطريق الصورة رقم (١٥)

وقد اعتلى أبو خليف فوقه ويشير إلى المكان الذي تقع فيه الأبار.



منظر رقم (١٥) أحد الأعلام عند مخرج منزل «عجلز» ويرى الدليل أبو خليف فوقه

في هذه الأثناء أقبل علينا صاحب المزرعة في سيارته الجيب فسلم علينا وقال: من أين دخلتم؟ قلنا مع البوابة .فقال: لم نتعود أن نتركها مفتوحة. قلنا هذا من حسن حظنا.

فسألناه عن هذه الحجارة المرتكم بعضها فوق بعض فقال لا أعرف عنها شيئاً.

وعندما سألناه عن اسم المزرعة قال اسمها «البُريكة» فقلنا نحن أتينا نبحث عن آبار البريكة القديمة التي سميتم المزرعة باسمها فقال: لا وجود لها الآن حيث سويت مع مساحة إحدى هذه الدوائر الزراعية.

فطلبنا منه أن يدلنا على مكانها ففعل، وهي واقعة في وسط المزارع في غربي إحدى الدوائر الزراعية، وأشار إلى مكان شبه مرتفع وقال: هناك كان يوجد أنقاض مبنى صغير بقرب الآبار سويناه بالأرض.

ومكان آبار البريكة واقع على خط العرض ٥٢ً ٥٨َ ٢٥ْ وخط الطول ٤٤ً ٤٩َ ٤٣ْ وهي تبعد عن « الجناح» بعنيزة مسافة تسعة عشر كيلاً.

وهذه المسافة توحي إلى حد بعيد بأن هذا هو منزل «عجلز» ومما يزيد الأمر وضوحاً وجود هذا العلم من أعلام الطريق بجواره.

يضاف إلى ذلك المسمى الذي أطلقه عليه المتأخرون وهو «البُرَيْكَة» تصغير بركة لأن الموقع فيه بركة من برك الطريق كما أفادت بذلك النصوص.

وليس هذا هو المنزل الوحيد الذي أطلق عليه هذا المسمى لهذا السبب حيث نجد عدداً من منازل هذا الطريق سميت بهذا المسمى لوجود البرك فيها مثل:

١ـ منزل «الينسوعة» : سمي «بريكة الأجردي».

٢ـ منزل «العوسجة» : يسمى حالياً «البريكة».

٣ـ ومنزل «فلجة» مسماه الحالي البريكة.

٤ـ والمتعشى بين الدفينة وقبا كذلك.

٥ ـ منزل «أوطاس».

كل هذه المنازل سميت باسم البريكة نظراً لوجود بركة في كل واحد منها .

البحث عن الرَّمَادَة:

لم تسفر الرحلات السابقة عن شيء ذي بال يدل على «الرَّمادة» وقد تقدمت النصوص التي تكلمت عنها، وأنها واقعة بين منزلي: القريتين، وعجلز. وهي إلى عجلز أقرب حيث حدد الحربي البعد بينهما بثلاثة أميال فقط.

ومن زيارتي الأخيرة إلى عنيزة التي قابلت فيها الأستاذ عبد الرحمن البطحي اهتديت إلى ما بدا لي أنه منزل القريتين وهو المسمى حالياً «الْمَلْقَى» قرب القريتين حيث أظهرت القياسات أن المسافات والأبعاد بين هذا الموضع وبين المنزلين اللذين قبله وبعده متطابقة تمام الانطباق مع ما ورد في النصوص القديمة.

حيث يبعد عن منزل «العوسجة» أربعة وأربعين كيلاً، وعن متعشى «عجلز» ثمانية عشر كيلاً. وكنت في السابق أحسب المسافات من حي «الجناح» بعنيزة حيث يقال إنه ما يسمى بعنيزة قديماً وقد قيل غير هذا، وكنت من بداية بحثي عن منزل القريتين أميل إلى أنه واقع بمحاذاة «الجناح» من جهة الشمال، أو الشمال الغربي غير بعيد منه أما وقد أكدت جميع المؤشرات إلى أن منزل القريتين بالقرب من «الملقى» و «عمارة عمير» في «جوي عنيزة» فإن القياس الأدق يؤخذ من هذا المكان ولذا قررت البحث عن «الرمادة» على هذا الأساس ، فقمت برحلة بدأتها من «البريكة» ـ متعشى عجلز قديماً ـ متجهاً شمالاً شرقياً باتجاه «جوي عنيزة» وكان يرافقني الأستاذ عثمان العضيبي.

وعلى بعد حوالي كيلين اثنين وصلنا إلى قاع محاط بالرمال من جميع جهاته وهو مادلنا عليه العم «أبو خليف» في رحلة سابقة، وأرانا الآبار الواقعة فيه المسماة «المُوَيْنعيَّة».

وأرى أن هذا مورد ماء قديم وهو ما كان يسمى قديماً « رحباً» لكونه واقعاً بجوار ماء عجلز. وقد أسماه الهجري «رحبة» حيث قال:

(العجالز ... أراد عجلزاً، وهو ماء في الطـريق، بينه وبين القريتين تسعة أميال، وإلى جنبه ماء يقال له رحبة.[1])

ولكن صاحب بلاد العرب أسماه « رحباً» حيث قال:

(والعجالز: رحَبٌ، وعَجْلَزُ وما حولها من المياه. ورَحَبُ: ماء لبني مازن بالقصيم أيضاً[2])

وأضاف: (وكانت عَجْلَزُ ورحَبٌ في أول الدهر لِضَبَّة.)

من رحَب واصلنـا السير عبـر رمال عجلـز بـاتجاه القـريتين وبعد مسيـر ستة أكيـال انحدرنا في قاع محاط بالرمـال، وقد حرصت على التجول في هذا القاع لعلي أعثر على مايشيـر إلى وجود «الرمـادة» في هذا القاع لأن تحـديد مكـانها قرب هـذا الموضع . ولم أعثر إلا على مايبدو أنه أثر بئر قديمـة، وهذا القاع يقع فيما يسمى «الخُبَيِّبَة» والبئر واقعة على خط العرض ١٦ً ٠٢َ ٢٦ْ وخط الطول ٤٤ً ٥٠ ٤٣ْ. وتبعـد عن منزل عجلز ستة أكيال.

ثم واصلنا المسيـر مع نفس الاتجاه حتى وصلنـا إلى قاع أوسع من سـابقيه إنـه القاع المسمى حـاليـاً «صبخـة غَضـرَا»، وقـد ذكـر صـاحب «معجم بـلاد القصيم» عن هـذا الموضع مايلي:

(غَضْـرَا: مـورد ماء قـديم في نقـرة في رمـال الغميس غميس عنيـزة على بعـد عشـرة كيلات منها إلى جهـة الجنوب الغربي. فيها آثار قصر طيني قـديم. وهي في اتجاه طريق حاج عنيزة الذي كان يمر برامة[3]).

لقد وقفت على هذه الآثار، وقد تبين لي أنها ليست أثـراً لقصر واحد، وإنما لعدة مساكن قديمـة فهي عبارة عن قرية قـديمة، وقد وجـدت في الموقع كثيراً من القطع الفخاريـة وهذه القرية الأثرية واقعة على خط العرض ٢٠ً ٠٤َ ٢٦ْ وخط الطول ١٠ً ٥٤َ ٤٣ْ.

---

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه : ص ٢٦٧.

(٢) بلاد العرب: ص ٣٤٢.

(٣) معجم بلاد القصيم: ص ٥/ ١٨١٦.

ويبدو لي أن هذه القـرية هي «الرَّمَادة» التي تكلمت عنها النصـوص القديمة، والنص الذي تقدم معنا وهـو قول أبي إسحاق الحربي: (ومن ورائها ـ يعني القـريتين ـ بلد يقال له الرمادة وهو منصف طريق مكة من البصرة) .

وكلامه هذا يـدل على أن الرمادة بلد مسكونة بأهلها وليست مـورد ماء فقط وقد تكون هذه الآثار هي أنقاض مساكن هذه البلدة.

ولكن يحول بيننا وبين الجزم القاطع بأنها الـرمادة بُعدها عن متعشى عجلز حيث قال الحربي في سياق كلامه عن «الرمادة»:

(ثم من ورائها بثـلاثة أميال مـوضع يقال له عجلـز به بركـة وآبار ومسجد وهـو الذي يقال النصف من الطريق إلى مكة[1]).

وموقع آثـار هذه البلـدة يبعد عن «عجلز» مسـافة اثني عشـر كيلاً تقـريباً أي: ضعف المسافة التي ذكرها الحربي.

ومع هذا فإني أميل إلى القـول بأن هذه الآثار هي «الرمادة» وأن البئـر التي ذكرتُها في «الخبيبة» التي تبعد سـتـة أكيال من عجلز هي ماء «رمـادان» وكلا الموضعين على سمت الطريق، وقـد يكون الأمر التبس على الحربـي كما التبس عليه الأمر حينمـا نسب القصة التي مـرت قبل قليل إلى الرمـادة الواقعـة قـرب القريتين بينمـا الصحة أنهـا حصلت في الرمادة الواقعة قرب «فَلْج» المسمى حالياً حفر الباطن.

ورمادان: قال عنه ياقوت الحموي:

(رَمَادَانُ: تثنية رماد ثم عُرب: جفر في الطريق لبني المرقع من بني عبد الله بن غطفان عند القصيم؛ قال جرير:

---

(١) المناسك: ص٥٩١.

أخو اللؤم مادام الغضا حول عجلز   ومادام يسقى في رمادان أحقف[1].

فقد يكون الأمر التبس على الحربي أو من روى له فظن «جفر رمادان» هو «الرمادة» وكثيراً ما تشتبه المواضع التي تتفق في مسماها على علماء البلدان.

فهذا ياقوت الحموي التبس عليه أمر الرمادة حينما قال وهو يعدد المواضع المسماة بالرمادة:

(والرمادة بلدة من وراء القريتين في نصف طريق البصرة إلى مكة ...، والرمادة أرض من منازل بني تميم إن لم تكن التي في طريق البصرة إلى مكة المذكورة أيضاً [2]...)

أرجو أن أكون بما أوضحته هنا قد أمطت اللثام، وأزحت الرمال عما خفي من أمر منزل القريتين، والرمادة، ومتعشى عجلز. سائلاً المولى إذ نجانا من رمال العجالز أن ينجينا من جبال طخفة النواشز، وأن يسهل الطريق أمامنا لتحقيق ما بقي من المنازل.

---

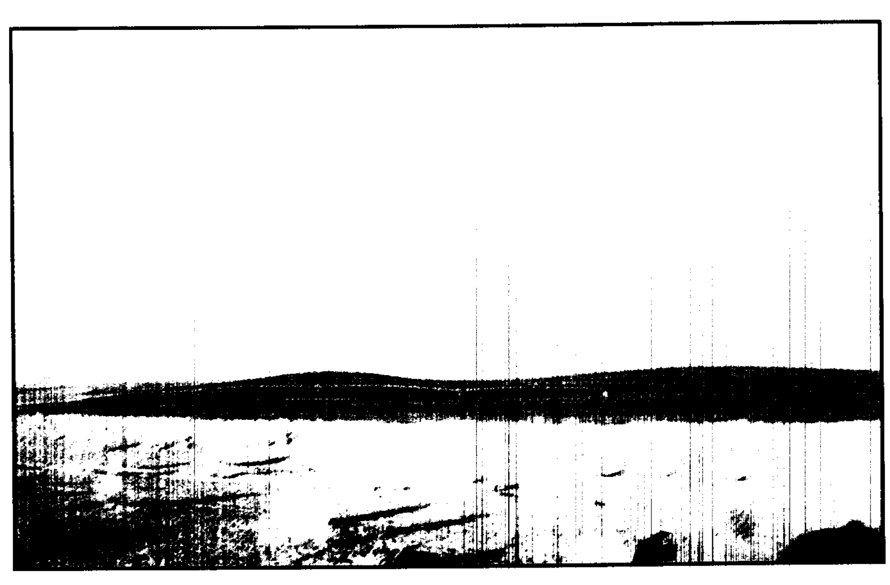
(١) معجم البلدان : ص ٣ / ٦٦ .

(٢) المشترك وضعاً : ص ٢٠٩ .

منزل رَامَة

في أصيل يـوم الخميس ٢٦/ ١٠/ ١٤١٤هـ كنت أتتبع أميـال الطريق من «عجلـز» إلى منزل «رَامَةَ» فأدى بي المسيـر إلى اعتلاء أكثبة رامة العالية بسبب كثـرة المزارع هناك تلك المزارع التي امتدت لتغطي أجـزاء كبيرة من هذه الكثبان الـرملية بحيث لم يبق غير مزروع سوى أعاليها.

انظر إلى تلك الرمال وقد غطتها خضرة مزارع القمح الصورتين رقم (١٦) (١٧).



منظر رقم(١٦) كثبان «رامة» وقد غطتها مزارع القمح في وقتنا الحاضر



منظر رقم (١٧) صورة أخرى لرمال رامة وقد غطتها المزارع

في أصيل هذا اليوم الذي صفا فيه الجو، وطاب الهواء بين خضرة المزارع الممتدة على صفحات الرمال الذهبية كان لي وقفة تأمل.

فتمنيت أن «هِنْداً» المسكينة رأت هذا المنظر البديع، فلو كانت زارت رامة في هذا العهد لَمَا احتار زوجها حينما طلبت منه وهما في ربوع رامة أن يحضر لها «سَلْجَماً» فأجابها بقوله:

تسألني برامتين سَلْجَما

ياهند لو سألت شيئاً أمما

جاء به الكَرِيُّ أو تَيَّمما

ويقال إن محمد بن سليمان عندما سمع هذا الرجز أمر برامتين فزرعتا عن آخرهما سَلْجَما[1].

ونظراً لصفاء الجو هذا اليوم شاهدت مالم أتمكن من مشاهدته في زياراتي السابقة لرامة حيث شاهدت من على بعد الأعلام التالية:

---

(١) انظر معجم البلدان: ص ١٨/ ٣. والسلجم هو النبات المعروف بـ «اللِّفْت».

جبل خزاز، وجبل كير، والأنعمين، وهضب متالع، وأبانين.

ولو لم تكن الشمس في المقابل لتمكنت من مشاهـدة بقية الأعلام التي ذكر صاحب كتاب «بلاد العرب» أنها تشاهد من هذا المكان حيث قال:

(وتنظر إذا أشـرفت رامة إلى خزاز، والأنعمين، ومتـالع وهو جبل عظيم قـريب من إِمَّرَة ... وتنظر من رامة إلى أبانين وهو أبعدها ... وتنظر إلى الظهران وهو جبل دون الفوارة[1]).

لن أطيل المكث أو الكلام عن رامـة لأنها معروفة مشهورة وليسـت محل خلاف، وقد تحدثت عنها في كتابي «الأول» عند تحقيقي لمنـزل «إمَّرَة» وجارها «هضب متالع» وانظر هناك في صفحة (٢٥٩) الصورتين رقم (٦٣) ورقم (٦٤) لتشاهد آثار منزل «رامة».

وهذاه الآثار واقعة على خط العرض ٢٤ً ٤٥َ ٢٥ْ وخط الطول ٣٠ً ٤٥َ ٤٣ْ.

الاتجاه إلى متعشى بطن عاقل:

قبل غروب الشمس نزلت من مرتفع رامة بـاتجاه القبلة إلى «بطن عاقل» وقد حرصت على تتبع أميال الطريق لعلّي أعثر على أي أثـر يدل على «متعشى بطن عاقل» الواقع بين رامة و إمرة. وفي طريقي عثرت على عدد من أميال الطريق وهي على التوالي:

الأول : ممـا يلي رامة، ويبعـد عنها أربعـة أكيـال باتجـاه القبلة، وهـو واقع على خط العرض ٣٦ً ٤٣َ ٢٥ْ وخط الطول ٠٦ً ٤٤َ ٤٣ْ.

الثاني: واقع على خط العرض ٠٢ً ٤١َ ٢٥ْ وخط الطول ١١ً ٤٢َ ٤٣ْ.

الثالث: واقع على خط العرض ٣٧ً ٣٨َ ٢٥ْ وخط الطول ٣١ً ٣٩َ ٤٣ْ .

كما شاهدت آثار أميال أخرى لم أدونهـا. وقد تحدثت عن هذا الجزء من الطريق في كتـابي الأول، ولم تكن هـذه المـرة بأفضـل من سـابقتهـا إذ لم أعثـر على أي أثـر لهـذا المتعشى نظراً لما أحدث في بطن الوادي وما حـوله من تغييرات أدت إلى إخفاء كثير من المعالم السابقة هناك.

(١) بلاد العرب : ص ٣٨٦.

كما لم أتمكن من مواصلة السير مع الطريق إلى منـزل إمرة نظراً لحلول الظلام وتعذر الـرؤيـة، عند ذلك سلكت أحـد الطـرق التـرابية حتـى وصلت إلى بلدة «دخنـة» ومنهـا واصلت المسير إلى الدوادمي عائداً من هذه الرحلة.

وعلى القاريء مواصلة السير مع هذا الطريق ليصل إلى:

منزل إِمَّرَة

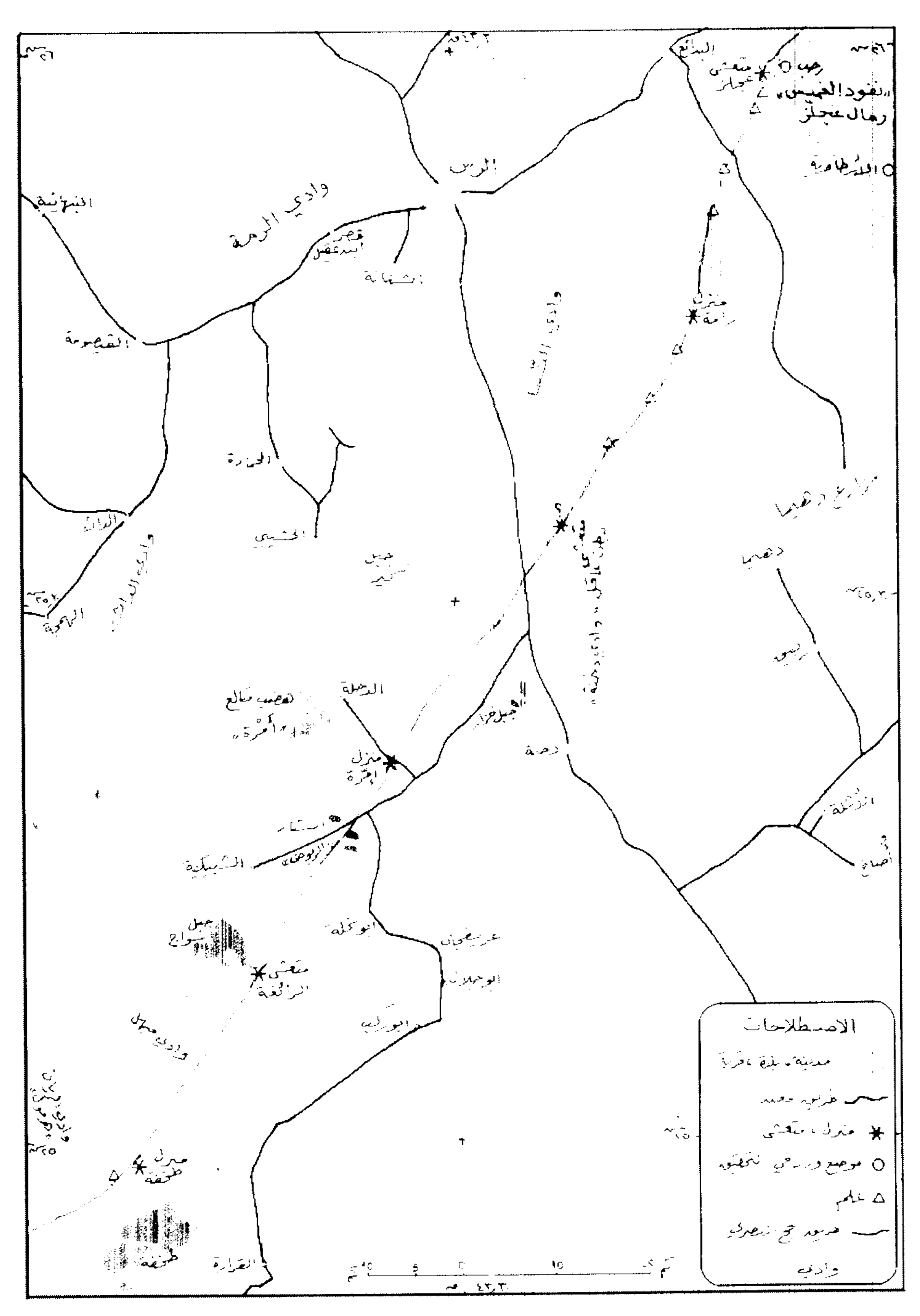
على أني لن أكلف القاريء مشقة الترحال للـوصول إلى « إِمَّرَة» فما عليه إلا أن يرجع إلى كتابي «الأول» حيث حققت منـزل إمرة هناك في بحث مطـول تحت عنوان: «الجبل المتخفي بعباءة جارته» من صفحة (٢٤٥) إلى صفحة (٢٩١).

ومنزل « إِمَّرَة» واقع على خط العرض ٥٧ً ٢٠َ ٢٥ْ وخط الطول ١٢ً ٢٦َ ٤٣ْ.

و إِمَّرَة: ليست جبالاً حمراً وسوداً كما قيل عنها و إنما هي آبار ومنزل لحاج البصرة.

فإذا أردت الوصـول إليها فما عليك الا أن تسلك الطـريق المتفرع من طـريق (الرس، دخنة) المتجـه غربـاً إلى بلدة « الشُّبيكيَّة» وعنـدما تقبل على جبل «الـربوض» ــ السِّتار قديمـاً ـ يتفـرع من الطريق طـريق مزفـت يتجه شمـالاً إلى بلدة «الـدَّحلة» ـ اسلـك هذا الطـريق وبعد قطع ثـلاثة أكيـال تقـريباً تـوقف واتجـه ببصرك إلى القبلـة على الدرجـة (٢١٠ْ) أي جنوبـاً غربياً حينئذ تشـاهد آبار «إِمَّرَة» وآثـارها أمامك قريبـاً من الطريق على ضفة الـوادي الغربية، وعـدد آبارها ست آبـار مطمورة ما عـدا واحدة وهي الجنوبيـة فلا زالت فوهتها واضحـة المعالم، والواقف عند الآبار ووجهه إلى القبلـة يرى جبل «السِّتار» أمامـه على بعد عشـرة أكيال تقـريباً، وجبل «هضب متـالع» على يمين الواقـف أي جهة الشمـال من الآبار على بعـد ستة أكيـال فقط وهـو المسمى في وقتنا الحـاضر «إِمَّـرَة» .

وانظر إلى الخارطة رقم (٢) من هذا الكتاب الذي بين يديك لتعرف موقعها أكثر.



نفود الغميس
رمال عجلز
الرس
وادي الرمة
النبهانية
القصومة
الجوزة
منزل رامة
منزل إمّرة
متعشى الزالعة
منزل طخفة
طخفة
القرارة
الاصطلاحات
علم
وادي

خارطة رقم (٢)

متعشى الرائغة

عندما يصدر الحاج من منزل «إِمَّرَة» يسلكون ثنية من «السِّتَار» ـ الرّبوض حالياً ـ ثم يواصلون سيرهم باتجاه القبلة تاركين بلدة «الشُّبَيْكيَّة» على أيمانهم، وعندما يصلون طرف جبل «سُوَاج» من جهته الجنوبية تاركين «هضب الأشيق» ذات اليسار هناك يصلون إلى مكان متعشى الرائغة، وهو مائل عن الطريق قليلاً ولذا سمي بالرائغة لروغانه عن الجادة يميناً.

قال الجهضمي عنها: (وهي عن اعدا الطريق زائغه).

وقال عنها صاحب كتاب «بلاد العرب»:

(والرَّائغة: على متن الطريق أيضاً، وهي متعشى بين إِمَّرَة وطِخْفَة[1].)

ويقول ياقوت الحموي في رسم «الرائعة»:

(الرائعة ... وقيل رائعة: ماء على متن الطريق لبني عميلة؛ وقال السَّكوني: الرائعة: منزل في طريق البصرة إلى مكة بعد إِمَّرَة وقبل ضرية[2].)

وفي رسم «الرائغة» بالغين يقول:

(الرَّائغَةُ ... ، وفي كتاب أبي زياد: الرَّائغة، بالياء والغين معجمة، ماء لبني غني بن أعصر بعد إمرة وسواج جبل لهم، والرائغة تنسب إلى سواج[3].)

أقول:

يبدو لي أن ماجاء في قول السَّكوني وسماه «الرائعة» بالعين وقال: إنه منزل في طريق

---

(١) بلاد العرب: ص ٨٨.

(٢, ٣) معجم البلدان: ص٣/ ٢٢.

البصرة. هـو الموضع الـذي سماه أبـو زياد «الـرائغة» بـالغين؛ لأن بني عميلة مـن قبيلة غني، وأن الأمر لايعدو أن يكون تصحيفاً من النساخ.

وهذا المتعشى تجده بين هضبـة «الذُّودِيَّة» - الشَّيْماء قديماً ــ وبين الطرف الجنوبي لجبل سواج فـآثار آباره لازالت واضحـة المعالم هنـاك، وبالتحديـد على خط العـرض ٥٤ً ٠٨َ ٢٥ْ وخط الطول ٥٠ً ١٧َ ٤٣ْ.

وهو يبعـد عن منزل «إمـرة» ستة وعشـرين كيلاً، وعن منـزل «طخفة» أربعـة وعشرين كيلاً.

منزل طخفة

طِخْفَةُ: هضبة حمراء جميلة المنظر تعتبـر من أجمل الهضاب في نجد، يتخللها عدد من الشِّعاب، وفي وقتنـا الحاضر يقصدهـا السياح للتمتع بمناظرهـا الخلابة خاصـة بعد نزول الأمطار وارتداء الأرض من حولها حلتها الخضراء.

ونظراً لطيب جوهـا وجودة مراعيها فقـد تجالد العرب قـديماً حولها إذ حـدث عندها كثير من المعارك المشهورة. وينطق الناس اسمها الآن بضم الطاء.

وقد نسب المكان الذي ينزله حاج البصرة إليها نظراً لقربه منها .

يقول ياقوت الحموي:

(**طِخْفَةُ**: بالكسر ويروى بالفتح... وهو موضع بعـد النباج وبعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة، وفي كتاب الأصمعي: طخفة جبل أحمر طويل حذاءه بئآر ومنهل قال الضبابي:

قـد علمَتْ مطـرَّفٌ خضـابُهـا ... تنـزل عن مثل النَّقـا ثيـابُهـا

أن الضبـاب كَـرُمـت أحسـابهـا ... وعلمت طخفـةُ مَنْ أربـابهـا

وفيه يوم لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء؛ ولذلك قال جرير:

وقـد جعلتْ يـوماً بطخفـة خيلنا ... لآل أبي قـابـوس يـوماً مكـدَّرا

... وقالت أم موسى الكلابية وقد زُوِّجت في حجر اليمامة:

لله درِّي أيّ نظـرة نـاظـر ... نظـرتُ ودونـي طخْفَةٌ ورجـامُهـا

هل البـاب مفـروجٌ فأنظـر نظـرةً ... بعَيْني أرضـاً عَـزَّ عنـدي مَـرَامُهـا

فيـا حبَّـذا الـدَّهنـا وطيب تـرابهـا ... وأرض فضـاء يصـدح الليل هـامها

ونصُّ العـذارى بـالعشيـات والضحى ... إلى أن بدت وحْيُ العيـون كلامها[1]

(١) معجم البلدان: ص ٤/ ٢٣

أقول:

قول ياقوت: وهو موضع بعد النباج وبعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة.

يقصد بذلك منزل حاج البصرة المسمى «طخفة» وقد نسب إلى هضبة طخفة لقربه منها. إنه ليحلو الكلام عن طخفة، ورجَامها؛ ولكني أخذت على نفسي في التمهيد لهذا الكتاب بِأَلاَّ أطيل القول عن المنازل المعروفة، وإنما سيكون لي وقفات طويلة عند المنازل المختلف بشأنها، أو تلك التي لم يتطرق لها الباحثون.

لذا أحيل القاريء إلى ماقاله أستاذنا محمد العبودي عن «طخفة» في كتابه «معجم بلاد القصيم» فقد أفاض في الكلام عنها مورداً من الشواهد الشعرية التي ورد فيه ذكر لطخفة؛ فأجاد وأفاد.

غير أني لست معه في استشهاده بقول «جُحيْفَة الضبابية» من قصيدة قالتها حينما أوعدها زوجها إن قالت بيتاً أن يقتلها:

دعوني وأبياتاً أَقُلْهُنَّ ويحكم ... وإنْ جَمَعَتْ حرباً سُلَيْمٌ وعامر

نعم أنا عن هضب القليب وجُزْجُزٍ ... وعن طخفة الشَّماء لابد نافر[1]

فقد كان لي وقفة طويلة عند هذين البيتين وذلك عندما حققت موضع «هضب القليب» ضمن بحث مطول في كتابي «الأول».

فالشاعرة هنا لم تقصد بقولها طخفة التي نتكلم عنها الواقعة شرقاً من «ضرية» وإنما قصدت «طخفة الشَّيْماء» الواقعة على شاطيء وادي «الجريب» غرباً من «عفيف» فارجع إلى ماقلته هناك فقد أمطت اللثام عن طخفة وادي الجريب حتى بدت شامتها واضحة للناظرين. فهي الشيماء وليست الشَّماء.

أما عن تحديد منزل طخفة فأقول:

يقع هذا المنزل في الجهة الشمالية الشرقية من هضبة طخفة غير بعيد منها وبالتحديد على خط العرض ٠٥ً ٥٨َ ٢٤ْ وخط الطول ٥٥ً ٠٩َ ٤٣ْ.

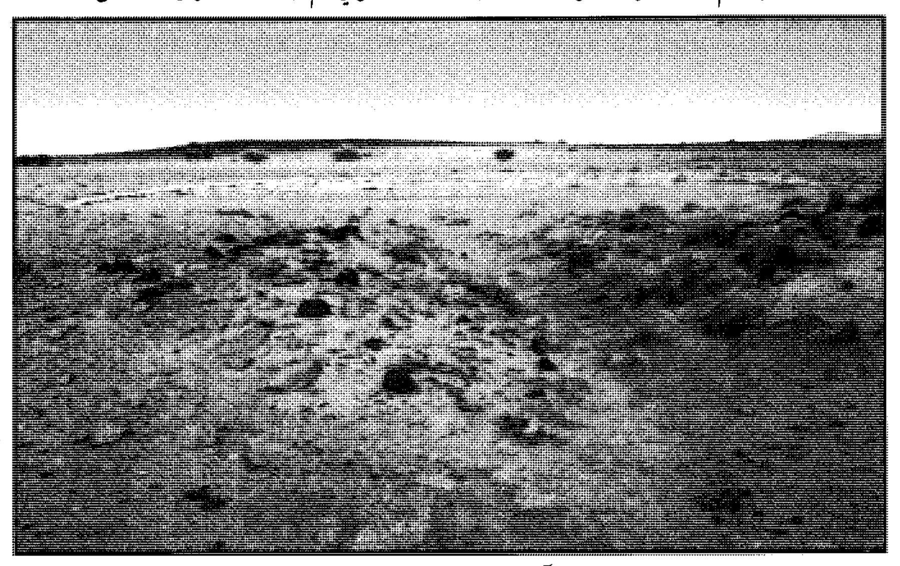
---

(١) معجم بلاد القصيم: ص ٤/ ١٤٦٠

وآثار هذا المنزل لازالت واضحة المعالم لوجود بركتها الكبيرة المدورة التي لم يَبْدُ منها سوى درجتين. **انظر إلى صورتها رقم (١٨) ورقم (١٩)**. وبجوار البركـة من الِشمال عدد من الآبار المطـوية طياً محكماً، وبجوار كل بئر ما يشبه البركة الصغيرة مستطيلة الشكل يربط بينها وبين البئر مجرى مائي.



منظر رقم (١٨) بركة منزل «طخفة بشكلها الدائري لم يبق منها سوى درجتين

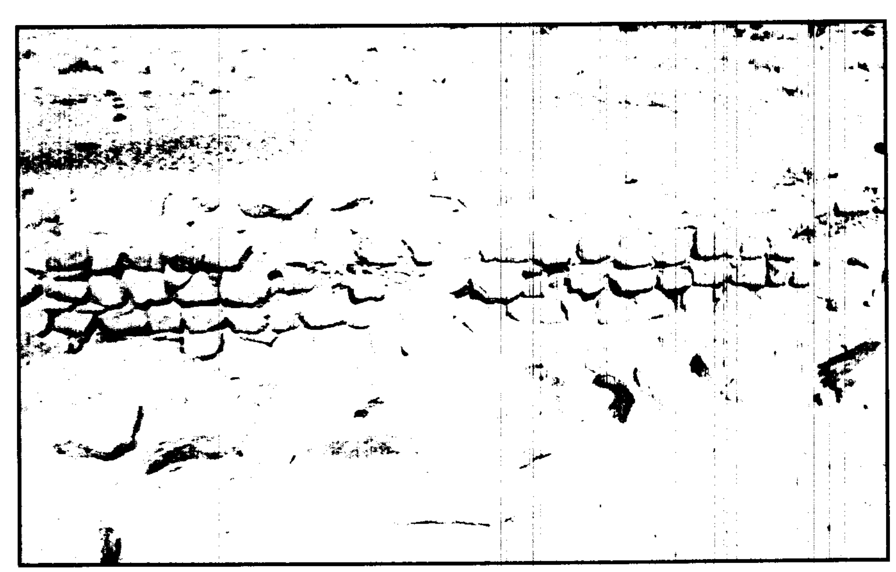


منظر رقم (١٩) منظر آخر لبركة طخفة، ويرى مجراها وقد تدمر

انظر إلى شكل الآبار ومايجاورها الصور رقم: (٢٠) ورقم (٢١) ورقم (٢٢)



منظر رقم (٢٠) أحد الأشكال المربعة حول الآبار في منزل طخفة.



منظر رقم(٢١) منظر لأحد المربعات ويرى المجرى المائي
الذي يربط بينه وبين البئر



منظر رقم (٢٢) إحدى الآبار الست الواقعة في منزل طخفة.

ويبعد منزل طخفة عن منزل «إمَّرة» خمسين كيلاً وثلاثمائة متر، وعن منزل ضرية ستة وثلاثين كيلاً.

يقول أبو اسحاق الحربي عن طخفة:

(ثم طِخْفَة: أخبرني أبو محمد الوراق، عن علي بن سليمان عن أبيه أن طخفة لبني كلاب، لبني جعفر خاصة. وهي التي يقول فيها زهير بن جذيمة حين أنذره أخوه الخيل وحذره هوازن فقال: أما بنو فلان فبمكان كذا وبنو جعفر بالطخفة يصيدون الأراوي. ومن إمَّرة إلى طخفة ستة وعشرون ميلاً وبها آبار كثيرة.

أقول:

زهير بن جذيمة الذي قال هذا الكلام هو: زهير بن جذيمة العبسي سيد بني عبس كان يأخذ الإتاوة من هوازن، وكان معتسفاً لهم فجرى بينه وبين خالد بن جعفر من بني عامر خلاف فتوعده خالدٌ، وقد أدركه بعد عام من تخاصمهما قرب «النَّفْرَاوات» فقتله. وسيكون لنا وقفة إن شاء الله عند النفراوات عندما يمر بنا طريق الحج البصري من خلالها، وهناك سنحقق المكان الذي قتل فيه الملك زهير.

منزل ضرية

ضَرِيَّةُ: غنية عن التعريف نظراً لشهرتها التاريخية فهي قاعدة الحمى «حمى ضرية» وأول من حماها في الإسلام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ويقال: إنه استعمل على الحمى مولى له يُدْعى هنياً فقال له: ياهني اضمم جناحك للناس، واتق دعوة المظلوم، فإن دعوة المظلوم مجابة، وأدخل رب الصُّرَيْمَةِ، ورب الغُنَيْمَةِ، وإياك وإبل ابن عفان ونَعم ابن عوف فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى زرع ونخل، وإن رب الصريمة ورب الغنيمة إن تهلك ماشيته يأتيني فيقول: يا أمير المؤمنين، يا أمير المؤمنين، أفتاركُهم - لا أباً لك - الماء والكلأ أيسر عليَّ من الذهب والورق، وأيْمُ الله إنهم ليرون أن قد ظلمتهم، إنها بلادهم ومياههم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام، والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ماحميت عليهم من بلادهم شبراً.(١)

ويقول الحربي:

(وبضرية بركة، وآبار كثيرة، ونخل. وبها بئر يقال لها الطهمانية طيبة لا يعلم أخف منها ماء إلا «ماويَّة» فإنه قد اختلف فيهما أيهما أطيب.(٢))

كما ذكر أن المسافة من طخفة إلى ضرية ثمانية عشر ميلاً.

إن الكلام ليحلو عن ضرية وحماها، ومرابعها الجميلة، وكان بودي أن أحقق رغبة لشيخنا حمد الجاسر عندما زرته لأول مرة في « دار العرب» ولكني سأحقق له هذه الرغبة في كتاب مستقل إن شاء الله لأن المجال هنا مخصص لتحديد منازل الطريق.

---

(١) المناسك: ص ٥٩٦.

(٢) المناسك: ص ٥٩٧.

وإليك وصف الطريق من منزل طخفة إلى «ضرية» :

نظراً إلى أن الطريق من طخفة إلى ضريـة يعترضها سلسلة جبال هي: جبال «لِيمْ» التي يرى الأستاذ محمد بن ناصر العبودي أنها جبال (الأيْم قديماً) وقد أورد قول الأصفهاني:

وقال: الأَيْمُ: جبل حِذَاء الأكوام.

كما أورد تعليقاً للشيخ حمد الجاسر على كلام الأصفهاني وهو:

(الأيم: ويسمى الآن: ليم ـ بكسر اللام بدل الهمزة، وهو جبل عظيم، يقع شمال «مسكة» ويشاهد منها ومن ضَرِيَّة على البعد[1]).انتهى

أقول: نظراً لاعتراض جبال «الأيـم» للطريق فقد أشكل عَليَّ أياً من فجاج هذه الجبال كان يسلك طريق الحاج البصري إلى ضَرية. ولهذا قررت السير من منزل «طخفة» بمفردي حتى لا أثقل على من يرافقني، وذلك بغية تحسس أعلام الطريق.

والواقع أنني لم أكد أغادر منزل طخفة باتجاه القبلة حتى عثرت على أول علم من أعلام الطريق ويقع شمال هضبة طخفة على خط العرض ٠٠ً ٥٨َ ٢٤ْ وخط الطول ٥٦ً ٠٨َ ٤٣ْ.

وعندما قطعت وادي «الرَّيَّان» ـ مبهل حالياً ـ وجدت علماً آخر مقاماً على مكان مرتفع يشاهد من بُعد وهو يقع على خط العرض ٠٦ً ٥٥َ ٢٤ْ وخط الطول ٥٦ً ٠٢َ ٤٣ْ.

عند ذلك عرفت أن الطريق يسلك مع فج مقابل فسلكته مع طريق ترابي حتى وصلت إلى قرية «لِيْم» وعند آخر مباني القرية باتجاه محراب المسجد الواقع في قبلي القرية شاهدت أحد الأعلام فوق رأس حِشَّة سوداء ويقع هذا العلم على خط العرض ٠٠ً ٥٣َ ٢٤ْ وخط الطول ١٦ً ٠١َ ٤٣ْ.

---

(١) معجم بلاد القصيم : ص٥/ ٢١٦٦.

ويقابلـه من اليسار علم آخـر مقام على حِشَّـة أخرى ممـا يدل على أن الطـريق كان يسلك بينهما.

وفيمـا بين قريـة «ليم» حتى وصلت إلى مشارف «ضـرية» عثـرت على أعلام أخـرى وعندمـا وصلت بالقـرب من «سناف ضريـة» من جهة الشمال تـوقفت لأن المؤشـر يدل على أنني قريب من منزل الحاج في ضرية.

وما كدت أعلـو «ضليع الحاج» الذي لا يفصل بينه وبين سناف ضريـة سوى مجرى واديها عنـدما ينحـرف شمالاً عثـرت على باقي علمين متجـاورين، وهذا يـدلني على أن قافلـة الحجيج كانت تمر من خلالهمـا فواصلت السير تـاركاً «سد ضريـة» على يساري و«السناف» على يميني، وقبل أن أصل إلى ما يعرف أنـه مجرى « عين ضرية» توقفت في مكان خمنت أنه هو موقع المنزل، ومما زاد الأمر وضـوحاً أن المؤشر يدل في هذا الموقع أن المسافـة بينه وبين منـزل طخفة بلغت ستة وثـلاثين كيلاً وهي مـا يعادل ثمانيـة عشر ميلاً التي هي المسافة بين المنزلين طخفة وضرية.

كان الموقع قد طرأ عليه بعض التغيير مع تعاقب السنين، وقد عثرت فيه على كثير من كسر الـزجاج الإسلامي القديم، وكسـر الأواني الفخارية الملـونة مما يدل دلالـة واضحة على أن هذا المكان هو منزل الحاج الذي ينزلونه في ضرية.

في هذه الـزيارة لضرية قـابلت رئيس مركزهـا الأستاذ صالح بن محمد السنـدي، وقد تفضل فصحبني مشكوراً في جولـة على الأماكن الأثرية في ضريـة وعرفني عليها. ولكني كما قلت سـابقاً سيكـون لي كلام قـد يطول عن ضريـة وما حـولها ومـا يهمني الآن هو تحديـد منزل الحج البصـري، وقد بـدا لي أنه مـا يسمى الآن «ضروى» الـواقع على خط العرض ٠٦ً ٤٣َ ٢٤ْ وخط الطول ٠٦ً ٥٦َ ٤٢ْ.

متعشى رميلة اللوى

رُمَيْلَةُ اللِّوى: متعشىً ينزلـه الحاج البصري بعد صـدورهم من منزل «ضَرِيَّة» قـال عنه ياقوت الحموي:

(ورُمَيْلَةُ: تصغير رملة؛ قـال السَّكُوني: هو منزل في طريق البصرة إلى مكـة بعد ضريَّة نحو مكة ومنها إلى الأبرقين....) [1]

وقال أيضاً في رسم «الأبرقين»:

(الأبرقان: هو تثنية الأبرق كما ذكرنا؛ وإذا جاؤا بالأبرقين في شعرهم هكذا مثنى فأكثر ما يريـدون به أبرقي حجر اليمامة وهـو منزل على طريق مكة من البصرة بعـد رميلة اللوى للقاصد مكة ومنها إلى فلجة...)[2]

وقفة عند قول السكوني:

أقول: قول السكوني في النص الأول: (هو منزل في طـريق البصرة إلى مكة بعد ضرية نحو مكة ومنها إلى الأبرقين).

يبدو لي أنه يقصـد بكلمة «منزل» متعشى وليس منزلاً يأتي بعـد ضرية بمرحلـة كاملة حيث أن المسافة بين ضرية ومتعشى «رميلة اللوى» أربعة وعشرون كيلاً.

والمسافة بين كل مرحلة وأخرى تقارب أربعة وأربعين كيلاً.

والصحيح أن المنزل الرئيسي بعد ضرية ومتعشى الـرميلة هو «الجَدِيلة» والمسافة بين ضرية والجديلة هي أربعة وستون كيلاً.

وقـوله: (ومنهـا إلى الأبـرقين) الصحيح أن يقـال ومنهـا إلى الجديلـة؛ لأن الأبـرقين واقعان بين الجديلة ومنزل فلجة وعندهما المتعشى.

(١) معجم بلاد القصيم :ص ٣/ ٧٣.

(٢) معجم البلدان : ص١/ ٦٦.

وهذا الكلام ينطبق على ماورد في رسم الأبرقين حيث قيل عنهما: (وهو منزل على طريق مكة من البصرة بعد رميلة اللوى للقاصد مكة، ومنها إلى فلجة).

ولقد رتب الجهضمي في أرجوزته التي فصل فيها منازل الطريق ترتيباً صائباً حيث عددها هكذا:

(... ضرية، اللوى رمل، الجديلة منزل، أبرقا حجر متعشى، فلجة منزل[1]...) وهذا عندي هو الترتيب الصائب، ويظهر جلياً لمن يتتبع الطريق على واقعه الملموس وليس من واقع اختلاف البلدانيين والمؤرخين في ترتيبها فانتبه لذلك.

تحديد متعشى رميلة اللوى من واقع الرحلة الميدانية:

في رحلة سابقة رافقني فيها أخي أحمد بن محمد الشايع بدأناها من بلدة «ضرية» متتبعين أثر الطريق حيث ذكر أبو علي الهجري ــ رحمه الله تعالى ـ أن طريق الحاج يمر بجبل «وسط» الذي يبعد عن ضرية ستة أميال، وبالتحديد من عند طرفه الأيسر ليكون الجبل على يمين المصعد.

كان وصفه رحمه الله واضحاً حيث مررنا بين جبل وسط وجبل «عَسْعَس». وهل يخفى جبل عسعس بمنظره المتميز حيث وصفه علماء البلدان بقولهم: إنه لايشبهه شيء من جبال الحمى، هيئته كهيئة الرجل فمن رآه من المصعدين حسب خلقته خلقة رجل قاعد، له رأس ومنكبان[2].

لقد تجولنا بدارة عسعس، ولكننا لم نَرَ لصاحبة «ابن شَوْذَب» أثراً هناك حيث يقول عنها:

---

(١) انظر ص ٦٣٤ من كتاب المناسك وطرق الحج.

(٢) انظر أبو علي الهجري وابحاثه : ص٢٥٨.

وكــان محل فــاطمـــة الــروابي — تنمت لــم تكن لتحـل قـــاعـــا
بـــدارة عسعس درجـت عليهـــا — ســوافي الــريح بـدءاً وارتجـاعـا

كما تجولنا بدارة قُنَيْعْ وهي واقعة على الطريـق، لها شهرة تاريخية، ثم واصلنا الطريق منها باتجاه جبل «كُفّ» ـ أَكُف قديماً ـ وقـد شاهدناه يطل برأسه من وراء رمل «العُرَيْق» كان لابد أن نجتاز هذا الرمل، وهو طرف من رمل « عُرَيْقِ الدَّسَم» - رميلة اللوى قديماً ـ وهذا الطرف منه ممتد إلى جهة الشرق فيما بين جبل عَسْعَس، وجبل أكف.

كـان الوقت عصـراً وشمس الأصيل سـاطعة على الـرمـال الحمراء التي لبـدتها ميـاه المطر فبـدت أكثر جمالاً وإغـراء لاجتيازها رغـم صعوبة ذلك، وفي أحـد المنخفضات كـان لنا وقفـة أجبرتنـا عليها خضـرة المكـان وانتشار شجـر أخضر ازدهـر ونما في هـذا الفصل الربيعي، وقد حسبنـاه شجر الغضا الذي كـان الشعراء يصفون حرارة مـا يحسونه من ألم الفراق بحرارة جمره فقلنا نأخذ منه بعض الأغصان حيث لم نشاهده من قبل.

وبعد اجتيـاز الرمل كان نـزولنا منه على قـرية صغيره تسمى «الكُفِّيَّـة» نسبة إلى جبل كُفّ.

فصادفنا أحد سكـانها ومعه ولده الصغير فسألناه عن آبار ماء قـديمة حول هذا الجبل كان ينزلها الحاج قديماً وهم في طريقهم إلى مكة.

فقال: نحن الآن نقف في الطريق الذي كان الحـاج يمرون معه، وكانت أعلام الطريق معروفة في النفود، ولكن مع مرور الزمن غطتها الرمال.

أما عن المنزل الـذي تبحثون عنه فآبـاره واقعة في سفح جبل كف من الناحيـة الغربية عندما يلتقي مع الرمل وأشار إلى مكانه.

أثناء حـديثنا مع الرجل لاحظت أن ولده الصغيـر الواقف بجانبه يتطـاول على أصابع قدميه وينظر في مؤخرة سيارتنا.

وعندما شكرنا للرجل تعاونه معنا وأردنـا التحرك قال الصغير بكل براءة وهو يشير بيده

(علامكم تقطعون الأرطى) فضحك والدي وسقط في أيدينا حيث علمنا أن ما أخذناه

من النفود ماهي إلا أغصان شجر الأرطى وليست أغصان الغضا كما توقعنا.

وهكذا العربي مجبول على حب أرضه وما تحـويه من نبات وحيوان، ولهذا أنكر علينا هذا الصغير قطع الأرطى.

بعد وصـولنا للموقع شـاهدنا بعض الحجـارة المتراكمة في أدنـاه قد تكون بقـايا من أعلام الطريق أوأنها أنقاض مساكن.

وبعد التجول عثـرنا على إحدى الآبار التي لم يَبدُ منها سـوى ثلثي دائرتها العليا وهي مطليـة بمادة بيضـاء وهذه البئـر واقعـة على خط العرض ٢٨ً ٣١َ ٢٤ْ وخط الطـول ٤٢ً ٥٠َ ٤٢ْ.

ويبعـد هذا المتعشـى عن منزل ضـريـة مسافـة أربعـة وعشـرين كيلاً تقـريبـاً. ويقع محصوراً بين جبل «أكف» وبين رمل النفـود. وفي هذه الرحلة حرصـت على برح الطريق مرة أخرى من منزل ضـرية إلى متعشى «رميلة اللوى» وذلك بغية معرفـة سير الطريق بكل دقة بواسطة مشاهدة أعلامه.

وماكدنا نسير من منزل ضرية حتى عثرنا على أول علم على بعد ثلاثة أكيال من ضرية.

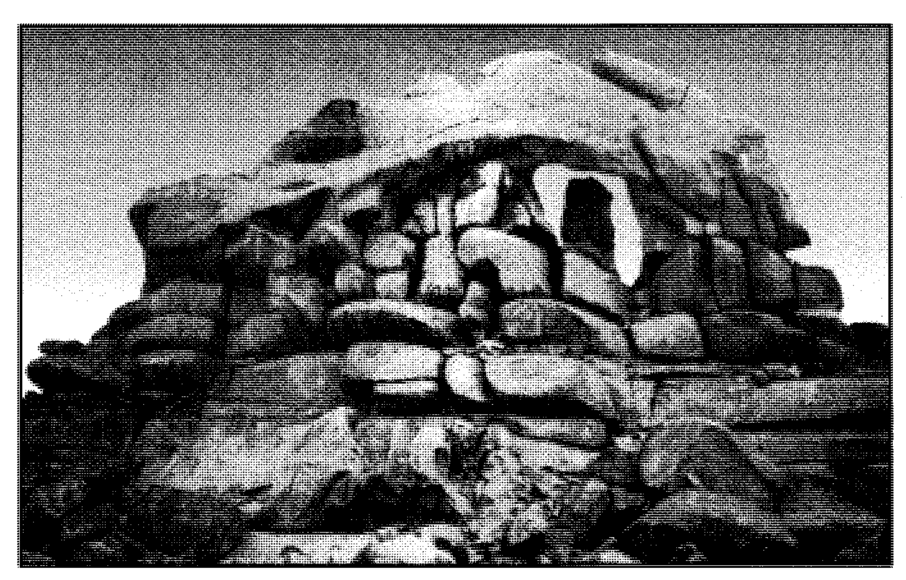
وهذا العلم واقع على خط العرض ٢٧ً ٤١َ ٢٤ْ وخط الطول ٣٨ً ٥٥َ ٤٢ْ.

كمـا عثـرنـا على علمين متقـابلين على أحـد المـرتفعـات على بعـد خمسـة أكيـال وأربعمـائة وخمسين متراً من ضـريـة. وعندمـا اقتـربنا من الهضبـة المخـروقة المسمـاة «البويب» الواقعة بين جبلي وسط وعسعس عثرنا على بقية أحد الأعلام.

وهضبة البويب واقعـة على خط العرض ٢٤ً ٣٧َ ٢٤ْ وخط الطول ٢٣ً ٥٤َ ٤٢ْ

انظر إلى صورتها رقم (٢٣).

وقد تأكد لنا أن الطريق يمر بمحاذاتها عندما عثرنا على علم آخر يقع بعدها على بعد ثمانمائة متر تقريبـاً. ولما كان موقع المتعشى معروفاً من الرحلة السـابقة فقد كان الطريق إليه واضحاً نظـراً لمشاهدة طرف جبل «أَكُفّ» الذي يقع بجانبـه المتعشى لا يحول بيننا وبينه سوى رمل النفود.



المنظر رقم (٢٣) هضبة البويب التي يطؤها الطريق بين جبلي عسعس ووسط

وفي «دارة وسط» الواسعة عثرنا على بقية علم كبير واقع على خط العرض ٥٥ً ٣٥َ ٢٤ْ وخط الطول ٥٩ً ٥٣َ ٤٢ْ يبعد عن ضرية ثلاثة عشر كيلاً وثمانمائة متر.

وعند الوصول إلى أول الرمل عند مدخل الخَلّ عثرنا على باقي أحد الأعلام واقعاً على خط العرض ١١ ٣٤ ٢٤ وخط الطول ٥٣ً ٥٢َ ٤٢ْ يبعد عن ضرية سبعة عشر كيلاً وثلاثمائة متر.

وعندما علونا رمل النفود كان يحكم سيرنا اتجاه رمل النفود وعند الوصول إلى منحدره الأخير كانت قرية «الكُفَيَّة» التي مررنا عليها في الرحلة السابقة باتجاهنا، وقبل النزول إليها شاهدنا بقية حجارة أحد الأعلام في الرمل وهذا العلم واقع شمالي القرية غير بعيد منها على خط العرض ٠٥ً ٣٢َ ٢٤ْ وخط الطول ٥٣ً ٥١َ ٤٢ْ.

يبعد عن ضرية واحداً وعشرين كيلاً وستمائة متر، وعن متعشى «الرميلة» كيلين اثنين ومائتين وخمسين متراً.

وعند الوصول إلى مكـان المتعشى لم نشاهد أي أثر لفوهة البئـر التي شاهدتها ومعي الأخ أحمد في الرحلة السـابقة حيث غطتها الرمال، ومن يأتي لهـذا المكان فلن يجد لها أي أثر إلا إذا كشفتها السيول أو الرياح مرة أخرى.

وقفة حول جبل «كُفّ»

اسم هذا الجبل قديما «أَكفّ» قال عنه صـاحب كتاب «بلاد العرب» وهو يحدد بلاد بني الأضبط:

(.. إلى قُـرانَيْن، إلى شِعـر، إلى أكف إلى البُـزي، إلى شُعَبَـا. إلى حزيـز جَسْـر، إلى البُزيّ[1].

لقد لفت نظري في هذا النص تكرار كلمة «البُزَيّ» ولاشك أن محقق الكتاب لاحظ هذا مما جعله يعلق ذيل الصفحة بقوله:

«في (نج) و (مح): إلى أكف البزى. وفي (مح) النزى.

والبُزَيُّ: أورده (ن) بُزَيّ بضم الباء وفتح الزاي وتشديد الياء، جبل على شط الجريب»

أقول: من هذا الاختلاف الحاصل بين مخطوطات كتاب «بلاد العرب» ما يوحي لنا بشيء.

ولعلي أتساءل وأقـول: هل صحة جملة (إلى أكف إلى البُزي) هي مـاورد في الكتاب المطبوع المحقـق بين أيدينـا، أم أن صحة الجملة (إلى أكـف البُزى) آخر الكلمـة ألف مقصورة وليس ياءً.

حسبما ورد في مخطوطتي: (نج) ، و (مح)؟!

يبدو لي أن الصحة هي ماجاء في نسخة (نج) أي: النسخة النجدية من هذا الكتاب، وماجاء في نسخة (مح) أي محمود شكري.

وهذا الجبل يسمى في زمننـا هذا «كُفّ» بدون إضـافة، وأصل التسمية قـديماً «أَكُفّ» كأنها جمع «كَفّ».

---

(١) ص: ٢١٦.

وإذا مارجعنا إلى كتب اللغـة نجد أن كَفّ: تجمع على «أَكُفّ» ولكن أَكُفُّ ماذا؟ إذا أخذنـا بما جاء في نسختي (نج)و(مح) كمـا رمز لهما حيث وردت الجملة فيهمـا هكذا (إلى أَكُفّ البُـزى) نجد أن هـذه الأكف نسبت إلى «البُـزى» جمع «بـازي» وهو نـوع من الصقور. مما يدل على أن العرب القدمـاء شبهوا أطراف أو قمم هذا الجبل بأكف البُزى. ولكن يبقى عندنا كلمة «البُزَيّ» وهي كلمة أعتبرها متطفلة على «البُزى».

فأقول حولها:

البُزَيٌّ:

لم أقرأ لأحد من مؤلفي عصرنا من تكلم عن «البُزَي» بأكثـر مما قاله القدماء عنه؛ من أنه جبل على شط الجريب.

الأمر الذي يستوجب منا أن نتعرف عليه ونكشف أمره للناس.

إذ يبـدو لي أن هـذا البُزَي خجل من الـوصف الـذي لازمـه طيلة الـدهـر فَلَبَّسَ على الناس أَمْـرَه بتخفيه بأقرب شيء إلى مسمـاه فلم يجد إلا لفظ «البُزَى» جمع بَـاز، أَوْ بَازيّ فتطفل عليها فنجح فأصبح بازاً. وصـدق من قال: «إِنَّ البُغَاثَ بأرضنا يَسْتَنْسِـرُ» إن قدماء العرب غالباً مايطلقون مسميات الجبال والأماكن بأظهر صفة ملازمة لها.

وقد قيل (الاسم يـدل على مسماه) ودليلنـا على «البُزَيّ» هو تحـديدهم لـه بأنه جبل على شاطيء وادي الجـريب ولعلنا نتعرف عليـه من بين الجبال والهضاب الـواقعة على شاطيء الجريب من معرفة وصفه من واقع معاجم اللغة العربية، فماذا ياترى قالوا عنه؟

لعلنا نكتفي بما قاله ابن منظور في كتابه «لسان العرب» حيث يقول:

(البُـزَاء: انحناء الظهـر عند العَجُـزِ في أصل القَطَن، وقيل: إشرافِ وسط الظهـر على الأست، وقيل: هو خروج الصدر ودخول الظهر، وقيل: هو أن يتأخر العَجُزُ ويخرج.

بَزِيَ وَبزَا يَبْزو، وهو أَبْزَى، والأنثى بَزْوَاء: للذي خرج صدره ودخل ظهره قال كُثَيِّرٌ:

رأتني كأشلاء اللِّحام وبعْلُها   من الحيِّ أبْـزى مُنْحَنٍ مُتَباطِنُ

... والبَزْوَاء من النساء: التي تخرج عجيزتها ليراها الناس.

وأَبْزى الرجل يُبْزِي إبْزَاءً إذا رفع عَجُزَهُ؛ قال ابن بري: وشاهد أبزى قول الراجز:

أَقْعس أبْزى في اسْتِهِ تَأْخِيرُ [1]) انتهى باختصار

وقال الأصفهاني عن «البُزَيِّ» وهو يتكلم عن مياه وجبال وأودية بني ربيعة بن الأضبط: (الْمُضَيَّحُ: هو جبل على شاطيء الجريب .. ويليه البُزَيُّ، وهو جبل وفيه أقول: -أي العامري -

يَاصاحِبَيَّ على المنازل عَرِّجا   بين البُزَيّ ومُهْدَة الضَّمْرَان

... وله ماءة يقال لها «الْبُزَةُ» لبني ربيعة.

ويليه مُبْهِلُ قال الشاعر:

أشَاقَتْك دارٌ بالبُزَيِّ ومُبْهِلِ   خَلاءٌ ومَبْدأً بالفريَّين مُقْفِرُ

وماء مبهل الحفير[2]) انتهى

في زيارة سابقة قمت بها إلى وادي «الجريب» ـ الجرير حالياً ـ لم أكد أشاهد الهضاب الكثيرة المنتشرة على شاطئه الشرقي حتى لمحت صاحبنا «البُزَيّ» ينادي على نفسه بعلوه الشامخ ومؤخرته التي أبرزها دون حياء من جيرته.

إنك تشاهده بوضعه الملفت للنظر وأنت على مسافة بعيدة.

انظر إلى صورتيه المنظرين رقم (٢٤) ورقم (٢٥).

لقد سألت بعض القاطنين حوله عن اسمه الحالي فقالوا: إن اسمه «الْجَفْشَرِيَّة» وأن حوله عد ماء قديم يسمى باسمه «الجفشرية».

ويبدو لي أن هذا الماء هو ماء «البُزَة قديماً».

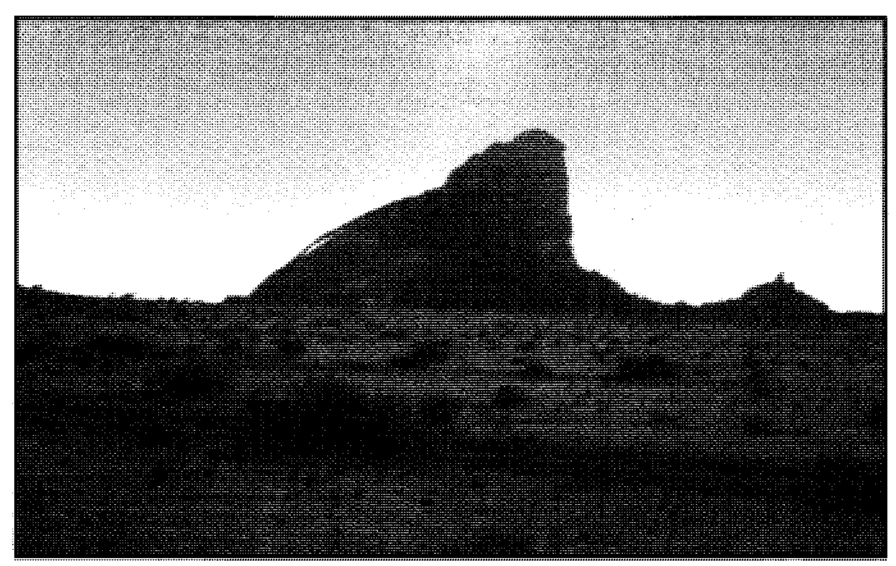
وأن هضبة «الجفشرية» ماهي إلاَّ «البُزَيّ».

---

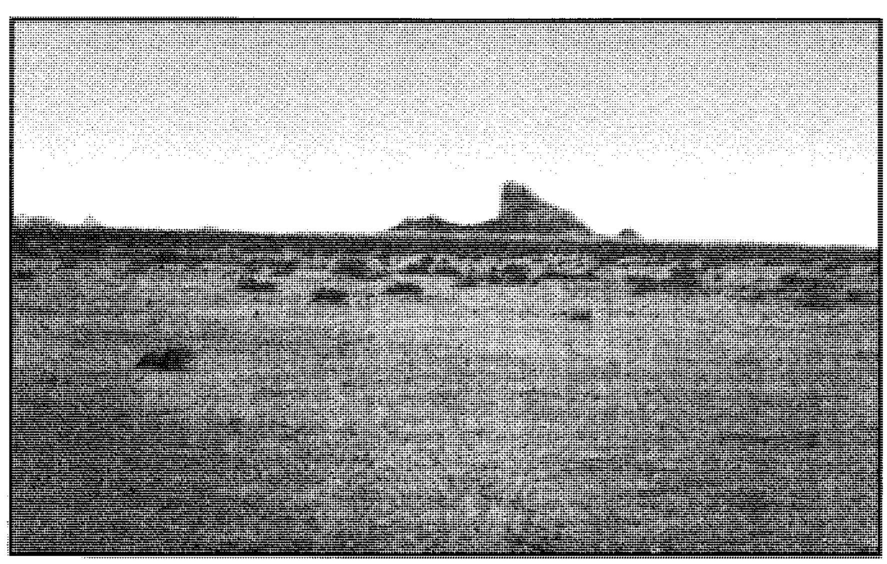
(١) لسان العرب ص ١/ ٢١٠.

(٢) بلاد العرب ص ١٩٠.

وبعد تحقيقنا لجبل البزي دعونا نواصل رحلتنـا إلى منزل « الجديلة» ومن دونه «أَسْوَد العَيْن» فقد أطلنا الوقوف عند «أَكُفِّ البُزَىٰ» !!



المنظر رقم (٢٤) جبل «البُزيّ» من قرب



المنظر رقم (٢٥) جبل البُزَيّ يراه القادم لوادي «الجريب» من الشرق عن بُعد.

الاتجاه إلى أسود العين، ومنزل «الجديلة»:

حاولنا أن يكون سيرنا مع الطريق الذي كان يسلكه الحاج البصري عبر «رميلة اللوى - عريق الدَّسم حالياً - ولكن حال دون ذلك كثبان الرمال العالية وانحدارها بشكل يصعب معه تجاوزها بالسيارة، وقد أدركت صدق قول صاحب ارجوزة الطريق:

حتى إذا مرت على اللّوى [...] تحطُّ في وعث وتعلو في نقا

وعث إذا انحطت كؤود المرتقى

تخب فيه تارة وتشدو يعفو لها الطريق ثم يبدو

وخلفها حاد ملظ يحدو

حتى إذا مرت بأسود العين براكب أروع بين السرجين

عارضها ذو شملة بوطبين

فلم ترده ومضت مزايله قباء تهدي والغروض جائلة

آضت عن البعد انقضاباً ناحله[1]

لهذا آثرت عدم إلْظاظ راحلتنا من أن تحط في وعث وتعلو في نقا، وذلك خشية أن لا تتجاوز كؤود المرتقى. فسلكنا طريقاً يمر بين الرمل وبين جبل «أَكُفّ البُزَى» يضيق تارة ويتسع أخرى حتى أفضى بنا إلى طريق «خط أنابيب الزيت» الممهد سلكناه باتجاه الغرب.

عند انتهاء النفود تركنا هذا الطريق وانحرفنا باتجاه الجنوب لكي نوازي الطريق الذي تركناه متجهاً نحو الجنوب الغربي، ودلنا عليه كوننا نشاهد رأس جبل «أكف».

كانت الشمس على وشك المغيب، وقد شاهدنا أمامنا باتجاه «الجديلة» جبلاً منفرداً طويلاً لونه أسود، وهو أبرز جبل في هذا الاتجاه فقلنا هذا هو «أسود العين» وقد عرفنا مسماه الحالي من موقعه في الخارطة وأنه الجبل المسمى «مخيط».

---

(١) كتاب المناسك: ص ٦٣٤.

ولمـا كانت الشمس قـد غربت فـزادت من سـواد جبلنا: لـذا أنهينا رحلتنـا على أمل مواصلتها في أقرب فرصة إن شاء الله.

بعد ذلك قمت بـرحلة أخرى القصـد منها مـواصلة السير مع طـريق الحج البصري، وكان يصحبني في هذه الرحلة الأستاذ سعد الماضي.

لقد فضلت الـوقوف أولاً على منـزل الجديلـة لأتمكن من معرفـة المسافـة بينه وبين جبل «مخيط» فـاتجهنا إلى بلـدة «الصَّقْرَة» ولم يطل بحثنـا عن آثار المنـزل حيث عثرنـا على «البركة» بجـوار القرية بينها وبين مصلى العيد، وهي بركـة مربعة الشكل لم يبق من درجاتها سوى ثـلاث درجات، تقع على خط العرض ٣٥ً ١٣َ ٢٤ْ وخط الطول ١٤ً ٤٢َ ٤٢ْ **انظر إلى صورة البركة المنظر رقم (٢٦)**



المنظر رقم (٢٦) جانب من بركة منزل «الجديلة» لم يظهر منها سوى درجتين.

ويبعد منزل الجديلة عن منزل «ضرية» بمسافة ستين كيلاً، كما يبعد عن المنزل الذي يليه باتجاه القبلة وهو منزل «فلجـة» بمسافة أربعة وسبعين كيلاً، وعن متعشى «الرميلة» ـ رميلة اللوى ـ ستة وثلاثين كيلاً.

بعد الوقوف على بركة «الجديلة» عدنا مع الطريق باتجاه الشمال الشرقي للبحث عن «أسود العين» الذي قيل: إنه دون الجديلة بخمسة أميال أي: عشرة أكيال فقط.

عندما وصلنا إلى جبل «مخيط» الذي قلنا إنـه قد يكون جبل «أسود العين» اتضح أنه يبعد عن «الجديلة» مسافة أربعة عشر كيلاً أي: بزيادة أربعة أكيال تقريباً.

الأمر الذي جعلني أستقرئ النصوص مرة أخرى. فلنتكلم عن أسود العين هذا:

أَسْوَدُ الْعَيْن

لم أقرأ لأحد ممن كتبوا عن المواضع حدد لناَ بدقة موضع أسود العين، ولذا فقد ركزت عليه عسى أن أهتدي إليه والاهتداء إلى تحديده لايتأتى إلا عن طريق حصر ما قيل بشأنه من أقوال المؤرخين، وعلماء البلدان. واليك ماتمكنت من جمعه من هذه النصوص:

أولاً: يقول أبو إسحاق الحربي وهو يعدد منازل طريق الحج البصري: (ومن ضرية إلى «جديلة»اثنان وثلاثون ميلاً. وقبل جديلة بخمسة أميال موضع يقال له «أسود العين» فيه آبار قريبة الماء.[1])

ثانياً: يقول ياقوت الحموي:(أسود العين: بلفظ العين الباصرة: جبل بنجد يشرف على طريق البصرة إلى مكة، أنشد القالي:عن ابن دُرَيد عن أبي عثمان:

إذا زال عنكم أسوَد العين كنتم ... كراماً وأنتم ما أقام ألائمُ

والجبل لا يغيب؛ يقول: فأنتم لئام أبداً .[2])

ثالثاً: ورد في كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه»:

(أسود العين: جبل بمتعشى الجديلة، للخارج من ضرية، يريد الجديلة، عن يسار الذاهب إلى مكة، قال الفرزدق:

إذا زال عنكم أسود العين كنتمُ ... كراماً وأنتم ما أقام ألائمُ

... أسود العين: قال الهجريُّ: أسود العين في الجنوب من شُعَبى. «التاج».[3])

ويقول الهجري في موضع آخر:

ثم جبل من أجبل الحمى على طريق الحاج للمصعد، جبل أسود يقال له أسود العين، بينه وبين الجديلة من دونها خمسة أميال، وهي أرض بني الأضبط ...[4])

---

(١) كتاب المناسك: ص ٥٩٧.

(٢) معجم البلدان: ص ١/ ١٩٣.

(٣) أبو علي الهجري وأبحاثه: ص ١٩٠ ـ ١٩١

(٤) أبو علي الهجري وأبحاثه: ص ٢٦٢.

من هذه النصوص مجتمعة نعرف أن «أسود العين» يطلق على:

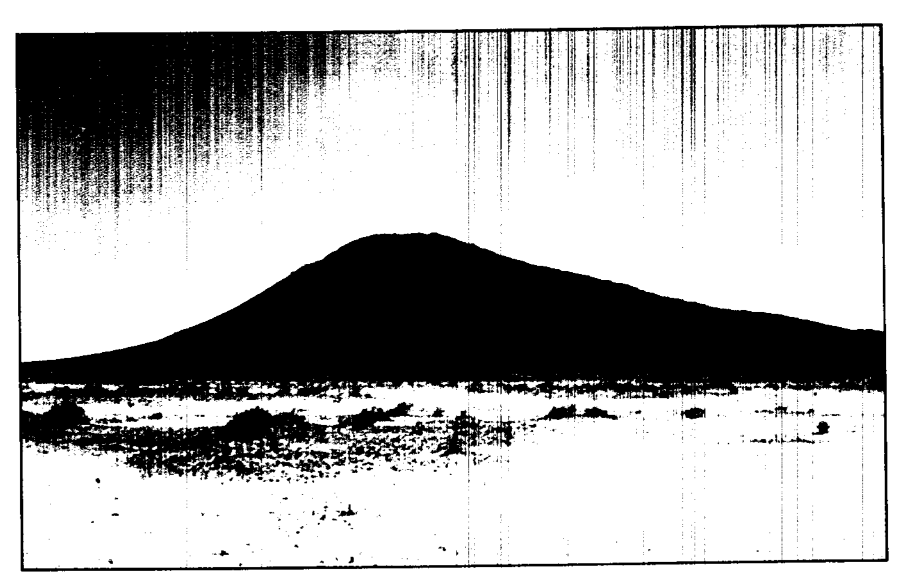
١ـ موضع قبل منـزل الجديلة من جهة الشمال الشرقي على بعـد خمسة أميال فقط، وأن في هذا الموضع آباراً قريبة الماء كما قال أبو إسحاق الحربي.

٢ـ أنه جبل بمتعشى الجـديلة للخارج من ضريـة يريد الجديلة من دونهـا خمسة أميال عن يسار الذاهب إلى مكة، وأنه يقع إلى الجنوب من جبل شُعبى، وأن المسافة بينه وبين «ضرية» سبعة وعشرون ميلاً. كما قال ذلك أبو علي الهجري.

من هذه النصـوص نخرج بنتيجة واضحـة، وهو أن أسـود العين يطلق على موضع أي أرض فيها آبـار قريبـة الماء وقـد حددهـا لنا «الحـربي» وهو من هـو في عنايتـه وضبطه لمنازل الطريق.

كما يطلق على جبل يشرف على طريق البصرة يتركه السائر المتجه إلى مكة على يساره.

من هـذه النتيجة الواضحـة تبين لي أنه جبـل «مخيط» وهو جبل مـذروب لونـه أسود فاحم يرى من بعد. **انظر إلى شكله الصورة رقم (٢٧)**



المنظر رقم (٢٧) جبل أسود العين (مخيط حالياً)

والطريق يتركه بالفعل يساراً غير بعيد.

ولكن أين موضع أسود العين ذي الآبار قريبة الماء؟

عندما وصلنا إلى جبل «مخيط» وتبين لنا أنه يبعد أربعة عشر كيلاً أي: سبعة أميال من الجديلة. فلا بد أن تكون الآبار واقعة على بعد ميلين منه باتجاه «الجديلة» فقفلنا راجعين، وعندما خلفنا جبل «مخيط» والجبال الواقة عنه غرباً توقفنا عند قرية صغيرة في غربي الجبل، فسألنا أحد سكانها عن اسمها فقال هي «مخيط» سميت باسم الجبل.

فسألناه عما إذا كان يوجد بجوارهم آبار جاهلية؟ فأشار إلى شجر يقع عن القرية شمالاً غير بعيد. فقلنا له: إن الآبار التي نسأل عنها تبعد أكثر من ذلك باتجاه الغرب فأشار إلى حشة سوداء متطامنة وقال:

هناك في سفحها الشرقي آبار قديمة مدفونة وبجوارها آبار لازالت عامرة واسم هذه الآبار «ظَفْرَة».

وبعد وقوفنا على تلك الآبار وجدناها عبارة عن عدد من الآبار الضيقة المطوية بالحجارة، وماؤها قريب جداً.

وحولها ثلاث آبار واسعة الفتحات ولكنها مطمورة مع مرور الزمن.

وبقياس المسافة بين الآبار ومنزل «الجديلة» تبين أنها عشرة أكيال بالتمام مما أكد أن ما يسمى الآن آبار «ظفرة» ماهي إلا موضع «أسود العين قديماً».

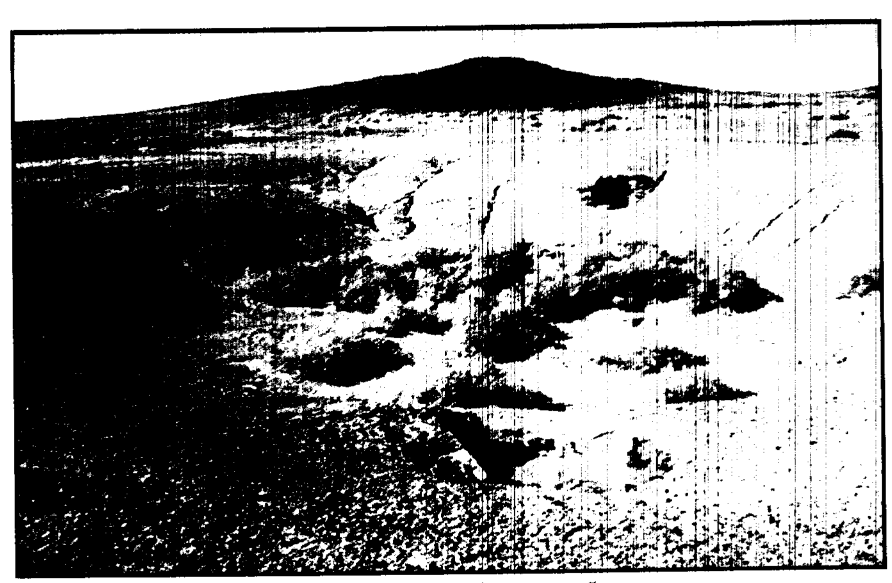
انظر إلى الصورتين رقم (٢٨) ورقم (٢٩).

ومما تعجبت له كثيراً أن إحدى الآبار ذات الفتحات الواسعة يوجد على جنبات فوهتها ثلاثة أحساء مطوية بالحجارة الأمر الذي لم أشاهده من قبل.

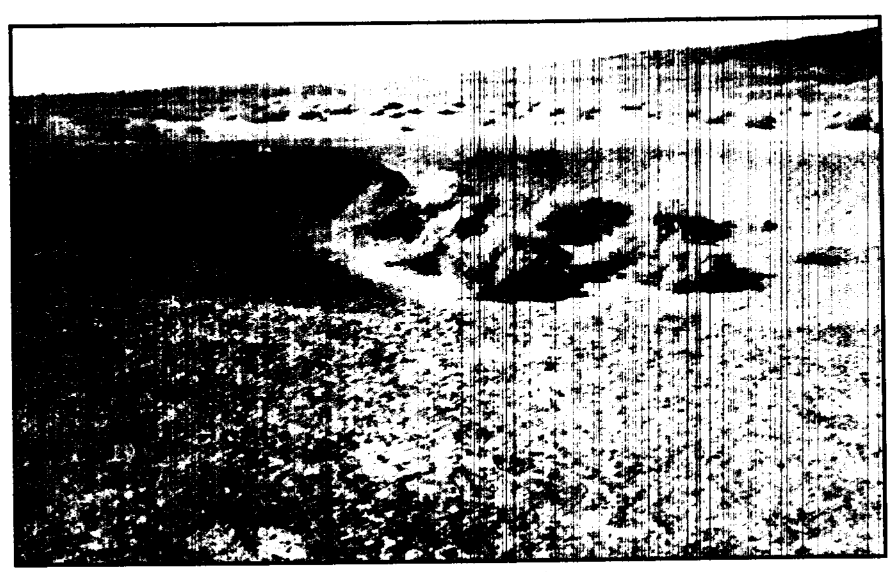
وقد تكون هذه الأحساء من عمل مهندسي طريق الحاج البصري ومشيدي قصوره وبركه. فهل تكون تلك الآبار الواسعة عبارة عن برك صغيرة مدرجة؟ هذا مالا أجزم به.

والذي أجزم به بعد هذا كله أن موضع «أسود العين» هو آبار «ظفرة حالياً» وأن جبلها «أسود العين» أيضاً هو جبل «مخيط حالياً».

ومتعشى أسود العين واقع على خط العرض ١٥ً ١٨َ ٢٤ْ وخط الطول ٢٥ً ٤٤َ ٤٢ْ.



منظر رقم (٢٨) احدى آبار متعشى أسود العين، ويرى على حافتها آبار مطوية بالحجارة



منظر رقم (٢٩) بئر أخرى من آبار متعشى أسود العين، وهي مدفونة وحولها بعض الآبار المطوية بالحجارة وماؤها قريب المنزع

عود إلى الجديلة:

من ضرية إلى الجديلة مرحلة ليست بأطول المراحل حتى يكون فيها استراحتان للحجاج إحداهما «متعشى أكف» والثانية «أسود العين» فأبو علي الهجري قال عن جُبل أسود العين بأنه في متعشى الجديلة مما يدل على أنهم يستريحون فيه أيضاً أمّا «الجْديلة» نفسها فليست بمتعشى وإنما هي من المنازل الرئيسة.

ولا أجد تعليلاً لذلك إلا أن الحاج يلاقون مشقة كبيرة من السير في رمال نفود العريق فعندما يتجاوزون جبل عسعس يركبون هذه الرمال ثم ينزلون منها ويسيرون في أرض مستوية حتى يصلوا إلى غربي جبل «أكف البُزَى»

وبعد استراحتهم في هذا المتعشى يركبون الرمال مرة أخرى باتجاه «الجديلة» وهذا الجزء من النفود متعب للإبل لكثرة المنحدارت والمرتفعات فيه وعندما يتجاوزونه ويبقى على منزل «الجديلة» عشرة أكيال يستريحون ويسقون الإبل في «أسود العين» وقد يكون هذا التعليل مقبولا.

أقول عدنا إلى «الجديلة» مرة أخرى وقد حددت موقعها آنفا، ولكني هنا سأذكر أقوال المؤرخين وعلماء البلدان حولها لأننا سنحدد بموجبها بعض المواضع المهمة مثل: متعشى «أبْرَقَيْ حُجْر» وماء «العكلية» وغيرهما، وإليك بعضاً من هذه النصوص:

أولاً: قال ياقوت في رسم «جَديلَة»:

(...وجديلة اسم مكان في طريق حاج البصرة ... وقال أبو زياد: من مياه بني وبر بن الأضبط بن كلاب. وجديلة منهل من مناهل حاج البصرة ...[١])وقال في رسم «قران» جبل من جبال الجديلة وهي منزل من منازل حاج البصرة .[٢])

ثانياً: أما الأصفهاني فذكرها من بلاد بني وبر بن الأضبط وقال:

---

(١) معجم البلدان: ص ٢/ ١١٥.

(٢) معجم البلدان: ص ٣١٩.

(ومن أجبال الجديلة: قَرْنُ الجوادي، وقرن الثعالب، وقرن سمقة...

والصفرة: جبال حُمرٌ من جبال الجديلة[1].)

ثالثاً: ذكر أبو علي الهجري الجديلة بقوله:

(هضب الرَّدْه: عن يمين الجديلة إلى فلجة، بثلاثة أميال أو أكثر يمين المصعد إلى مكة. وذو سدير عن يسار المصعد قربه[2]).

رابعاً: قال الأصفهاني وهو يحدد بلاد بني الأضبط:

(...إلى العُكْلِيَّةِ وهي من الجديلة مهب اليمانية[3]).

وفيما يلي سأتحدث عما جاء في هذه النصوص من المواضع التي صادفتنا في طريقنا ونحن نتتبع مسار الطريق.

هضب الرَّدْه:

عندما غادرنا «الجديلة» باتجاه القبلة وصلنا بعد أن قطعنا ستة أكيال إلى مايسمى في وقتنا الحاضر «جبال عكلية» فدخلنا من جهتها الشرقية بين هضبتين كبيرتين اليمنى وهي الشمالية حمراء اللون ويسميها القاطنون حولها «عكلية الحمراء» واليسرى وهي الجنوبية لونها أسود فاحم ويسمونها «المحْرَق» لشدة السواد.

ثم دخلنا بين هذه الجبال التي تشكل شبه دائرة ما عدا ناحيتها الجنوبية، وتسمى الآن «دارة عكلية».

في جهتها الغربية أبارق حسبتها أبرقي حجر فتجولنا حولها ولكن الطريق لا يمر من خلالها وقد ذكر أن الطريق يمر بين هذين الأبرقين وهما المتعشى بعد الجديلة.

يضاف إلى ذلك أننا لم نجد أياً من أعلام أو أميال الطريق.

---

(١) بلاد العرب: ص ٢١١.

(٢) أبو علي الهجري وأبحاثه: ص ٣٨٨.

(٣) بلاد العرب: ص ٢١٦.

فخرجنا من هـذه الدارة باتجاه الجنوب الغربـي وعندما ابتعدنا قليلاً عثـرنا على أحد أميـال الطـريق وهـو واقع على خط العـرض ٢٧ ٠٦ ٢٤ وخط الطـول ٢٢ ٣٩ ٤٢ عند ذلك عرفنـا أننا أضعنا الطريق حين دخلنـا بين هذه الجبال، وقد تأكـد لنا ذلك عندما رجعنا حيث عثرنا على علمين آخرين جنوب الهضبة السوداء غير بعيد منها.

لذا صار لي وقفة حول هذا الهضب الواقع شمالاً من الطريق على بعد ستة أكيال من الجديلة أو أكثر كما قال الهجري في النص المتقدم.

وهذا يعني أن هذا الهضب هـو «هضب الرَّدْهِ» وقد نسب في وقتنا الحاضـر بما شكله من دارة إلى «عكلية» وسأرجيء الحـديث عن عكلية؛ المـاء والجبل إلى أن نتحدث عن «أبْرَقَي حُجـرٍ» اللذين لم أقرأ لهمـا تحديـداً لدى علماء البلـدان في زمننا هذا فهمـا غير معروفين.

بعد ذلك اتجهنـا باتجـاه القبلة، فلم نعثـر على أعلام في طـريقنا وعللنـا ذلك بكثرة مجاري الشعاب وكنا نشاهد أمامنـا أبارق واقعة فيما بين جبل «مثلثة» وهضاب الشعب ـ شعب الشموسين ـ.

وعندمـا وصلنا إلى ماحسبناه أبـارق ألفيناها جبيـلات حولها رمال ولا يصـدق عليها مسمى أبرق. ولم نعثر على أثر للأميال وأعلام الطريق فانحرفنا باتجاه الجنوب.

وعنـدما جـاوزنـا جبل «مُثَلَّثَـة» وجبل «غَدِدَة» خلف الظهـر عثـرنـا على أحد أميـال الطريق وبعده بـاتجاه القبلة عثرنـا على علمين آخرين مما أكَّدَ لنـا أن الطريق يسلك إِمَّا بين مثلثة، وغَدِدَة أو أنه يتركهما شمالاً منه ويحف جبل «مثلثة» من جهة الجنوب.

وعنـدما حـاذينا هضـاب «أَجْلَة» جنـوباً منـا كان وقت غـروب الشمس فأنهينا هـذه الرحلـة ليبقى سؤال مهم فرض نفسـه وهو: أين «أبرقـا حُجرْ» اللذان قيل:إن الطـريق يمر بينهما، وأنهما المتعشى بين منزلي «الجديلة» و «فلجة» ؟!

أُبْرُقَا حُجْر

هـذان الأبرقـان أخذ البحث عنهمـا مني وقتـاً وجهداً كبيـرين، وذلك يعود إلى عـدم تحديـد مكانهما بشكل واضح من قبل قـدماء المؤرخين وعلمـاء البلدان. بل إن آراءهم بشأنهما متضاربة.

فمنهم من جعلهمـا متعشى، ومنهم من جعلهمـا منـزلاً، وحتى ترتيبهمـا بين المنـازل اختلفـوا فيـه فمنهم من جعلهما بعـد «رميلـة اللـوى»، ومنهم من قـال: إنهما بعـد منـزل «الجَدِيلة».

يضـاف إلى هذا الاختـلاف أن البـاحثين في وقتنا الحـاضر عنـدمـا تكلموا عن هـذه المنازل لم يتطرقوا إلى تحديد مكانهما، وهذا ماجعل تحديدهما صعبا بالنسبة لي.

ونظراً لغموض مكـانهما فقد استحسنت باديء ذي بـدء أن أحصر الأقوال التي قيلت فيهما قديماً، ومن ثم تحليل هذه الأقوال لعل ذلك يسهم في تسهيل الوقوف عليهما.

وإليك هذه النصوص:

أولاً: قال أبو إسحاق الحربي وهو يتكلم عن منازل طريق الحج البصري:

(ثم جديلـة: عن علي بن محمد الهـاشمي عن أبيه أن أبـرقي حُجْرٍ من جـديلة على أربعة عشـر فرسخـاً، وهما جبـلان يكتنفان الطريق، كـان نزل عليهمـا حُجْر أبـو امرىء القيس الكندي الشاعر، وكان ملكاً، فقتله بنو أسد بذلك الموضع[1]).

التعليق:

نفهم من هذا النص أن أبرقي حُجـر يمر الطريق بينهما، وأنهمـا سميا بهذا الاسم لأن حُجْراً أبا امرىء القيس اعتاد النزول حولهما، وأن بني أسد قتلوه في هذا الموضع.

---

(١) كتاب المناسك: ص ٥٩٧.

ولكن يشوب هذا النص بعض الغمـوض وهو تحديد المسافة بين الأبـرقين والجديلة بأربعة عشر فرسخاً.

فإذا عرفنا أن الفرسخ يعـادل ثلاثة أميال؛ فإن المسافة بينهمـا على هذا الأساس تكون اثنين وأربعين ميلاً، وهذه مسافة غير معقولة.

وممـا يوحي أنـه دخل تحـديد المسـافة شيء من التحـريف: أن المسـافة بين منـزل «ضريـة» ومنزل «الجـديلة» اثنـان وثلاثـون ميلاً فقط، والمسـافة من الجـديلة إلـى منزل «فلْجة» خمسة وثلاثون ميلاً. فلا تقارن مسافة المتعشى بمسافة المنزل.

لهذا فلن أعول على ما يختص بالمسافة في هذا النص.

ثانياً: يقول ياقوت الحموي:

(الأَبْرَقَـان: هو تثنية الأبرق كمـا ذكرنا؛ و إذا جـاؤوا بالأبرقين في شعـرهم هكذا مثنى، فأكثر ما يـريدون به أبرقا حُجر اليمـامة، وهو منزل على طريق مكة من البصـرة بعد رميلة اللوى للقاصد مكة، ومنها إلى فلجة[1] ....)

التعليق:

في هذا النص نسب ياقوت «الأبرقين» إلى حجْر اليمامة.

والأبرقان بعيدان عن «اليمامة» ويبدو لـي أن كلمة «اليمامة» سَبْقَة قلم، وقد أدرك هذا الخطأ الشيخ حمد الجـاسر حينمـا علق على هذا النص ذيل صفحـة (٢١٦) من كتاب «بلاد العرب» قائلاً:

(... الصواب أبرقا حُجْرٍ، وليس حَجْر اليمامة فذاك بفتح الحاء).انتهى

ولي ملاحظة أخرى حول هذا النص وهي: تحديده لمكانهما حيث قال:

(بعد رميلة اللوىَ للقاصد إلى مكة ومنها إلى فلجة)

---

(١) معجم البلدان: ص ١/ ٦٦.

فَالأَولى أن يقال: بعد «الجديلة»، أو بعد رميلة اللوى والجديلة.

وقد أوضح ياقوت هذا كله في رسم «حُجْر» حيث قال:

(... وأبرقا حُجْـرٍ: جبلان على طريق حاج البصـرة بين جديلة وفلجة. كـان حُجْر أبو امرىء القيس يحلهما، وهناك قتله بنو أسد[1]).

ثالثاً: قال صاحب كتاب بلاد العرب:

(وجميع بلاد بني الأضبط مابين الجريب، وهو واد وحموض، ومياه من عند المضيح. إلى الجَوْنِيَّةِ، وهي عند أبرقي حُجْر، إلى العُكلية، وهي من الجديلة مهب اليمانية[2]).

هذا النص سنستفيد منه كثيـراً عندما نزور المنطقة التي يقع فيها أبـرقا حجر، وقد يأتي معنا نصوص أخرى تعضد هذه النصوص لتوصلنا إلى أبرقي حجر.

الرحلة الميدانية إلى أبرقي حجر:

بعد تحليلي للنصوص تأكد لي أن أبرقي حُجْرٍ يقعان بين منزلي الجديلة وفلجة حيث أن هذا هو مكانهما الطبيعي وإن تضاربت النصوص أو هكذا بدت.

لذا قررت السير مع الطريق متتبعاً أعلامـه من منزل «الجديلة» إلى منزل «فلجة» علِّي أعثر على هذين الأبرقين الغامضين.

فضلت أن أقـوم بهذه الـرحلـة بمفـردي حتى لا أثقل على من يـرافقني لأنني سأتأنى بالمسيـر في تتبع آثار الطـريق. عندمـا وصلت إلى مدينـة عفيف تركت الطريـق المزفت واتجهت شمـالاً إلى هضبـة «عكلية» لأقف عنـد العلم الـواضح الـذي عثرنـا عليـه في الرحلة السابقة قرب العكلية لكي أنطلق منه باتجاه القبلة، وهكذا فعلت.

عندما أقبلت على «مثلثـة» احترت هل أتركها يسـاراً كما فعلنا في الرحلـة السابقة أو أدخل بينهـا وبين هضبة «غَـدِدَة» ، أو أتركهـا يمينـاً؟ لقد رجحت من مسـار الطريق أنـه يتركها على يمينه مع ميل إلى الجنوب قليلاً.

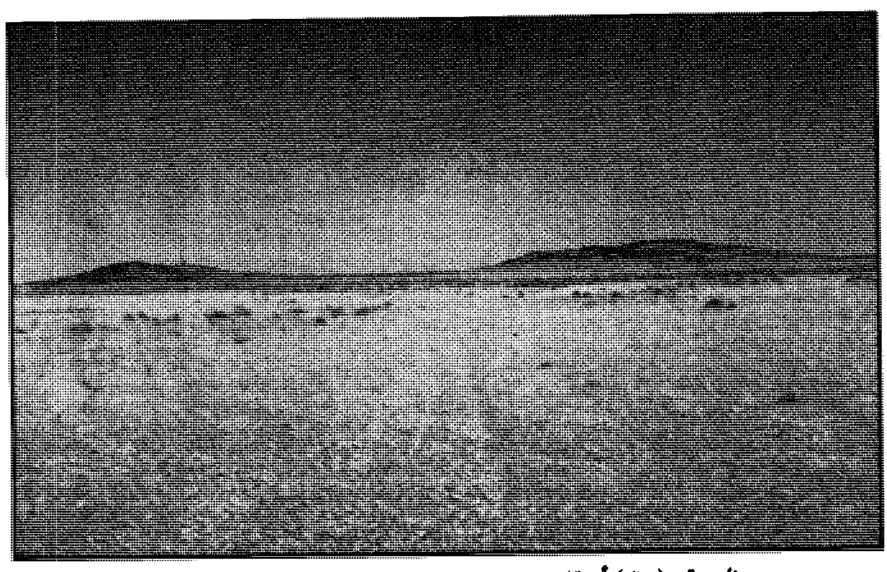
---

(١)معجم البلدان: ص ٢/ ٢٢٣.

(٢) كتاب بلاد العرب: ص ٢١٦.

وعندما حـاذيت «مثلثة» من جهتها الجنوبيـة الشرقية عثرت على علم كبيـر من أعلام الطريق ومن هذاالمكان شاهدت بعض الأبارق بـاتجاه الجنوب الغربي من «مثلثة» قريباً منهـا ومن بين هذه الأبـارق أبرقـان منفصل أحدهمـا عن الآخـر فدخلت من بين هـذين الأبـرقين وعندمـا خلفتهمـا وراء الظهر. وأنـا بـاتجاه القبلـة لاحظت أن الأرض تنخفض تدريجياً، وفي هذا المنخفض مجرى وادي «الشُّبرم».

فأدركت أن هذين الأبرقين همـا «أبرقا حُجْر». **انظر إلى صورتهما المنظر رقم (٣٠).** يبعدان عن منزل الجديلـة بمسافة اثنين وثلاثين كيلاً، وعن مدينـة عفيف باتجاه الشمال الغربي ثلاثين كيلاً.



منظر رقم (٣٠) أبرقا حجر وعندهما المتعشى بين الجديلة وفلجة.

وقفة عند أبرقي حجر:

سأحاول في هذه الـوقفة تطبيق النصوص الواردة بشأن هذين الأبـرقين قدر المستطاع فأقول:

أولاً: ورد ضمن النصوص التي تقدمت معنا قول الحربي:

(وهمـا جبلان يكتنفـان الطريـق كان نـزل عليهما حجـر أبـو امرىء القيس الكنـدي الشاعر وكان ملكاً فقتله بنو أسد بذلك الموضع).

وكذا قول ياقوت:

(وأبرقـا حُجرْ : جبلان على طـريق البصرة بين جديلة وفلجـة، كان حجر أبـو امرىء القيس يحلهما، وهناك قتله بنو أسد.)

من هذيـن النصين عرفنا أن هـذين الأبرقين نسبـا لحُجْر والـد امرىء القيس الشـاعر لكونه نزل عندهما فقتله بنو أسد.

فما هي ياترى حكاية بني أسد مع حجر الكندي؟.

تحكي لنا الروايات التاريخية: أن «حُجْـراً بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المُرَار» كان ملكاً على بني أسد فأساء ولايتهم، وعندما مات أبوه تجرأ بنو أسد للانتقام منه.

وقد أفادت رواية صاحب «الأغاني»:

(أنه لمـا بلغ حُجْراً أمرهم، أقبل نحوهم فلمـا غشيهم ناهضوه القتـال وهم بين أبرقين من الرمل في بلادهم يدعيان اليوم أبرقي حُجْر [1]).

ولست هنا بصدد سرد الروايات التاريخيـة، والاختلافات الحاصلة بينها عن سبب مقتل «حجر» فهذه الروايات كثيرة ومتضاربة، وما يهمنا هنا هو تحديد «الأبرقين» ليس إلاَّ.

ولكن قـد يفهم من يقرأ هـذا النص أن «الأبرقيـن» يقعان في بـلاد بني أسد التي سـاد الانطباع عند الكثيرين أنها في جهـات منطقة القصيم، بينما نحن الآن نتكلم عن موضع في وسط عالية نجد.

---

(١) كتاب الأغاني: ص ٩/ ٨٥ «الثقافة».

فأقول:

من المحتمل أن تكون بلاد بني أسد، أو أحد أفخاذها ـ وقت هـذه الحادثة ـ قريبة من مكان هذين الأبرقين. فمساكن القبائل العربية تتغير من جهة إلى أخرى مع مَرّ التاريخ.

فإذا عرفنا أن أبرقي حجر يقعان شرقاً من: الذنائب، وحِبرّ، وواهب.

فهذا عَبيد بن الأبرص ـ وهو أسدي ـ يقول:

لمَنْ طَلَلٌ لم تَعفُ منه المَـذَانبُ   فَجَنْبَـا حبـرٍّ قـد تَعَفّى فَـوَاهبُ

ديـــار بني سَعْد بن ثعلبة الأولى   أذاعَ بهم دَهْــرٌ على النــاس رَائبُ

فبنو سعد بن ثعلبة الذين ذكرهم من بني أسد.

والمواضع المذكورة جميعها واقعة في أعالى وادي «الجريب» ـ الجرير حالياً ـ وهذه الناحية من أفضل أراضي الجزيرة العربية مرعىً ومسكنا.

لـذا كثرت فيهـا المعـارك الطاحنـة بين القبـائل؛ فكم من قبيلـة أزاحت قبيلة أخـرى وحلت مكانها.

وهذا شاعر آخر من بني أسد يقول:

سكنوا شبيثاً والأحص وأصبحت   نــزلت منــازلهم بنــو ذبيــان

وفي هـذه الناحيـة اشتعلت بـداية حـرب البسـوس الطاحنـة بين بكـر وتغلب حيث استمرت المعـارك بين القبيلتين في جهات أخرى مـن الجزيرة. فَحَلَّ محلهم بنـو ذبيان، ثم دارت حرب داحس والغبـراء بينهم وبين بني عبس، وعندمـا جاء الإسـلام كان يسكن هذه البلاد: بنو سُلَيْم، وبنو عامر. فسبحان من يرث الأرض ومن عليها.

- **ثانياً**: حيث لازلنا في سيرة حُجْرٍ ومقتله فهناك بيت من الشعر ذكر مقتله:

يقول ياقوت الحموي: (دارة مَلْحُوبِ: قال الشاعر:

إن تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت   حُجْـراً بدارة ملحـوب بنو أسـد[1]

(١) معجم البلدان: ص ٢/ ٤٣٠.

أقول:

مـادمنا عـرفنا أن حجـراً قتل عنـد الأبرقين، فـلاشك أن ملحـوباً ودارتـه قرب هـذين الأبرقين.

ودارة ملحوب، ليست من دارات العـرب المشهورة حيث لم يتكـرر ذكرها مثل غيـرها من الدارات المعروفة.

فأين يقع ملحوب ودارته؟

يبدو لي أن ملحوباً اسم جبل، لأن الدارات لا تكون إلا بجانب الجبال.

فإذا ألقينا نظرة على المكان الذي يقع فيه الأبرقان؛ نشاهد من الجبال بقربهما جبلين هما: «مُثَلَّثة» و «غـدِدَة» وهما مع مـاحولهمـا من أبيرقـات ليست عاليـة يشكلان مـا يشبه الدَّارة لأن مابينهما أرض منخفضة ترتفع تدريجياً باتجاه الأبارق جهة الجنوب الشرقي.

فإذا قلنا تجوزاً إن هذه هي «دارة ملحوب» فأين ملحوب الذي نسبت له الدارة؟

أقول: من المستبعد أن يكـون المسمى القديم لمثلثـة هو ملحوب؛ لأن هضبـة مثلثة غنية بـوصفها من شكلها عن أي اسم آخـر رغم أنه لم يـرد لها ذكر مثل تلك الـواقعة في بلاد محارب.

مع أن لي كلامـاً قد يطول حول «مثلثـــة» سأقــوله عند الكلام عـن منزل « فلجة» إن شاء الله.

أما هضبة «غددة» جارتها من الغرب فـلا أستبعد أن يكون مسماها القديم ملحوب إذْ أن مسماها الحالي مستحدث.

ومسمى «ملحوب» يطلق على مـواضع متعددة ذكـر منها ياقـوت في رسم «ملحوب» عدة مواضع هي:

ـ اسم موضع: سمي ملحوب ومليحيب بابني تريم بن طسم.

---

(١) معجم البلدان: ص ٢/ ٤٣٠.

ـ وملحوب ومليحيب قريتان لبني عبد الله بن الدئل بن حنيفة باليمامة.

ـ ملحوب اسم ماء لبني أسد.

ـ وفي رسم برقة ملحوب قال ابن مقبل:

عشية قالت لي وقالت لصاحبي ببرقة ملحوب ألا تلجان

ـ وفي رسم دارة ملحوب: النص المتقدم.

أقول:

الواقع أنه يصعب تحديد هذه المواضع التي مر ذكرها بشكل دقيق، ولكن ما يهمنا هنا منها هو:

أبرقا حجر، وملحوب ودارته التي قتل عندها والد امرىء القيس الشاعر.

ثالثاً: قال الحربي وهو يعدد منازل طريق الحج البصري:

(١٧ـ الأبرقان، قال الشاعر:

أشاقتك بين الأبرقين المنازل محتها السوافي والهمِيُّ الهواطلُ

★★★

سقى الله بين الأبرقين منازلاً لنجوى ترعَّاها الظباء الخواذلُ

قال: والأبرقان بين بلاد كلاب، وسليم، وفزارة، وعامر بن ربيعة لا تسكنها القبائل، وكل مشرد يلجأ اليها[1]).

حول هذا النص أقول:

إن المكان الذي حَدَّدتُ فيه أبرقي حجر واقع بالفعل بين بلاد هذه القبائل، إذ أن بلادهم تحدها من جميع الجهات، ولا ينطبق هذا الوصف إلا على الناحية التي يقع فيها كل من: مثلثة، وغددة، والأبرقين.

(١)كتاب المناسك: ص ٦١٣.

ولعل الأمر يتضح أكثر من خلال النص الآتي:

رابعاً: قال صاحب كتاب «بلاد العرب» وهو يحدد بلاد بني الأضبط:

(وجميع بلاد بني الأضبط: مابين الجريب، وهو وا د وحموض، ومياه من عند المُضيَّح إلى الْجَوْنِيَّة وهي عند أبرقي حجر. إلى العكلية وهي من الجديلة مهب اليمانية [1]...).

هذا النص ذكر فيه أن من بين المواضع التي تحد بني الأضبط «الجونية» عند الأبرقين وأحسب أن الجونية مورد ماء قد يكون منسوباً إلى «الجَوْن» وهذا الاسم يكثر في قبيلة كندة، وأحد ملوكهم يسمى بهذا الاسم.

وبما أن هذا الماء غير معروف في الوقت الحاضر بهذا الاسم؛ فاني لا أستبعد أن يكون هو الماء المسمى حالياً «صُوَيَّة» وهو ماء قديم عثر عليه وسمي بهذا الاسم وهو لا يبعد كثيراً عن جبل «غددة» ملحوب كما بدا لي ـ وعن أبرقي حجر، إذ أن هذا الماء يقع عنهما غرباً غير بعيد.

وهذه المنطقة هي التي تقع بالفعل بين بلاد بني سليم، وبني كلاب، وعامر بن ربيعة، وفزارة وبما أن هذه القبائل لا تسكنها صارت ملجأ لكل مشرد لا ينتمي إلى أي من هذه القبائل. وإذا ما أردنا أن نسير مع خط حدود بلاد بني الأضبط فإنا نأتي من عند جبل المضيح محاذين لمجرى وادي «الجريب» باتجاه الجنوب، ثم نعرج باتجاه الشرق لنمر بماء الجونية تاركين مثلثة، وغددة، وأبرقي حجر على اليمين، ثم نستمر باتجاه الشمال الشرقي لنمر بماء «العكلية» ثم المواضع المذكورة في النص المتقدم معنا.

وهنا لي وقفة حول ماء العكلية حيث وعدت بأنني سأتكلم عنها عند الكلام عن أبرقي حجر فأقول:

---

(١) بلاد العرب: ص ٢١٦.

العكلية

هذا الماء من أهم موارد العرب وأكثرها شهرة قديماً وحديثاً، ولكنني بعد الوقوف على ماء «دارة عكلية» وهي مايسمى في وقتنا الحاضر «عكلية» ، وكذا التجول في المنطقة المحيطة بها تبين لي أن ماء العكلية القديم غير هذا، وأن مايسمى الآن «جبال عكلية» ليست كلها تابعة لها. ولكن قبل أن أقول رأيي في تحديد ماء عكلية القديم دعونا نلقي نظرة على ما قاله قدماء علماء البلدان حولها:

١ـ يقول ياقوت الحموي:

(العُكْلِيَّة ... اسم ماء لبني أبي بكر بن كلاب؛ قال الأصمعي وهو يذكر منازل قيس بنجد فقال: وأما أبو بكر بن كلاب فمن أدنى بلادها إلى آخرها مما يلي بني الأضبط العكلية، وهي ماءة عليها خمسون بئراً وجبلها أسود يقال له أسود النَّسَا[1]).

٢ـ يقول الزمخشري:

(العُكْلِيَّةُ: ماء لأبي بكر خمسون بئراً[2]).

٣ـ النص المتقدم معنا الذي قاله صاحب كتاب بلاد العرب، جعل هذا الماء «العكلية» في حد بلاد بني الأضبط فهل هي من مياههم أم لغيرهم؟ هذا ما سنلقي عليه الضوء فيما يأتي.

هذه من أقوال علماء البلدان قديماً بشأن العكلية. فماذا قال عنها مؤلفو عصرنا الحاضر؟

لنلق نظرة على ما قالوه:

---

(١) معجم البلدان: ص ٤/ ١٤٣.

(٢) الأمكنة والمياه والجبال: ص ١٥٨.

العكلية عند مؤلف «معجم عالية نجد»:

يقـول: (العُكْلِيَّةُ ... مـاء قـديم، في دارة تدعى دارة عكليـة، والبعض يقـولون للمـاء أيضاً دارة عكليـة لوقـوعه في بطـن الدارة، والدارة محفـوفة بهضـاب سود كبـار وهي في ناحيتها الغـربية، يقال لهذه الهضـاب السود عكليَّات جمع عكلية، واقعـة شمال عفيف على بعد خمسة وثلاثين كيلاً ...وذكر الأصفهاني أنها واقعة في بلاد بني الأضبط،

قال: وجميع بلاد بني الأضبط: ما بين الجريب ... ـ إلى آخر النص ـ

قلت: القول لمؤلف معجم عالية نجد:

هذه المواضع التي ذكرها: الجريب، المضيح، قُرَانين، شِعْر، أكف، شعبا.

كلها لا تزال معروفة بأسمائها.

أما العكلية التي ذكر الأصفهاني أنها لبني أبي بكـر وحددها في بلادهم فإنها لاتعرف باسمها في هذا العهد [1]...)

تعليقي على هذا القول:

إن تحديد مكان «العُكْلِيَّةِ» بشكل دقيق يفيدنـا كثيراً ويفيد الباحثين المهتمين بتاريخ الجزيرة العربية و جغرافيتها القديمة والحديثة.

وأستاذنـا سَعْد بحكم معرفته التـامة للمواضع في عاليـة نجد قربنا من العُكْلِيَّـةُ كثيراً، ولكن لي بعض الملاحظات حول ماقاله هنا:

الملاحظة الأولى:

قوله: (ماء قديم في دارة تدعى دارة العكليـة، والبعض يقولون للماء أيضاً دارة عكلية لوقوعه في بطن الدارة)

أقول: يفهم من قوله هذا أن ماء العكلية القديم هو هذا الماء المسمى «الدارة».

---

(١) معجم عالية نجد: ص٣/ ٩٧٩.

وما أراه أن هذا الماء الواقع غربي الدارة ليس هو ماء «العكلية» الذي تحدثت عنه النصوص فماء الدارة واقع داخل بلاد بني الأضبط بينما ماء«العكلية» واقع في بلاد بني أبي بكر غير بعيد من هذا المكان.

ويبدو لي أن هذه الدارة سميت بهذا الاسم حديثاً، ولم أقرأ لها ذكراً بين دارات العرب في المراجع القديمة، فهذه الجبال التي تحدها من جهة الشمال قلت عنها: أنها هضب الرَّدْه كما حددها لنا الهجري ونسبتها إلى العكلية حديثة.

الثانية:

قوله (وذكر الأصفهاني أنهاـ أي العكلية –واقعة في بلاد بني الأضبط).

ومثل هذا القول قال به محقق كتاب «بلاد العرب» حيث قال في هاش صفحة (٢١٦) تعليقاً على كلمة «العكلية»: (تقدمت، وهناك عكلية لبني أبي بكر تقدم ذكرها).

أقول: لم يقل الأصفهاني صراحة: إن «العكلية» واقعة في بلاد بني الأضبط.

وإنما أفادنا أن بلاد بني الأضبط واقعة «بَيْنَ» المواضع التي عددها، ومن بينها العكلية.

ولا يشترط أن يكون الموضع المحدد به سواء كان جبلاً، أو مورد ماء داخلاً في البلاد التي حددها بين تلك المواضع، فقد تشترك معهم فيه قبيلة أخرى. فانتبه لكلمة «بين».

الثالثة:

يقول المؤلف: (أما العكلية التي ذكر الأصفاني أنها لبني أبي بكر، وحددها في بلادهم فإنها لا تعرف باسمها في هذا العهد).

أقول: إن الأصفهاني لم يذكر إلاَّ عكلية واحدة هي التي لبني أبي بكر بن كلاب ولا عكلية سواها في هذه الناحية. وهناك «عكلية» في بلاد محارب، ولكنها بعيدة عن هذه حيث اقترن ذكرها مع مواضع في بلاد بني محارب مثل «السُّخَيْرَة» التي ذكر الأصفهاني أن لها جبيلاً أُحَيْمِر[1]. كما أن هناك ماء اسمه «السُّخَيْرِة» لبني ربيعة بن الأضبط قرب

(١)انظر صفحة ١٨٠ في كتاب بلاد العرب.

شبكة اللوى ليس بعيداً عن عكليتنا التي نتحدث عنها. فلا تشتبه علينا المواضع بسبب تعدد المسميات.

الرابعة:

أجد مؤلف «معجم عالية نجد» يقول في رسم «الجديلة»:

(ومن هنا يبدو لي أن صقرة هي ماء الجديلة، وأن جبال عكلية هي جبال الجديلة التي عددها، وأن ماء عكلية القديم هو المعروف في هذا العهد بالدارة، ويقع شمال عكلية على بعد خمسة أكيال وهو بطن دارة وبراق.

وقد ذكر الأصفهاني عكلية وقال : إنها لاجبل لها إلا براق صغار). انتهى كلامه.

أقول:

قوله:(إن جبال عكلية هي جبال الجديلة التي عددها ـ يعني الأصفهاني ـ)

فلست معه في هذا الرأي حيث أسلفت أن الجبال الواقعة شمال الدارة ليست من جبال الجديلة، وإنما هي «هضب الرَّده» الذي حدده لنا أبو علي الهجري بكل وضوح. وقد تقدم.

أما قول المؤلف:

(إن ماء عكلية القديم هو المعروف في هذا العهد بالدارة ... وهو بطن دارة وبراق.

وقد ذكر الأصفهاني عكلية، وقال إنها لاجبل لها إلابراق صغار).

أقول:

لعل مسمى العكلية هنا التبس على المؤلف مع العكلية الواقعة في بلاد محارب التي قال عنها الأصفهاني: إنها ماءة لاجبل لها إلا براق صغار.

فحاول المؤلف إبعاد الجبال الواقعة حول الدارة بقوله: إنها جبال «الجديلة» لتبقى البراق.

ولكني أقول: إن عكلية لها جبل سنتكلم عنه.

أما قول الأصفهاني عن عكلية بأنها لاجبل لها إلابراق صغار. **فهذا الوصف ليس له علاقة بعكلية التي نتحدث عنها، وإنما هو خاص بعكلية الواقعة فى بلاد محارب.**

أسود النسا

لا أُخْفِي أن أمر «أسـود النَّسَا» أشكل عَلَيَّ فحسبته « أسود العين» الـذي سبق الكلام عنـه، ولـم أدرك أن في الساحـة أسودين إلا بعـد مراجعـة النصوص وتحليلهـا والمقارنـة بينها. عند ذلك اتضح لي أن الأسودين جبلان مختلفان؛ كما اختلف الأسودان:

التمر، والماء!!.

فأسود العين: هـو جبل ماء «أسود العين» المـوضع الذي يمر به الحـاج البصري قبل أن يصلوا إلى منزل «الجديلة» بعشرة أكيال. وقد تكلمت عنه وحددت موضعه.

أمـا أسـود النَّسَـا: فهـو جبل مـاء «العكليـة» الـذي نحن في سبيـل الحـديث عنهـا وتحقيقها.

فأين ياترى! جبل أسود النَّسَا ؟

أقول إجـابة عن هذا التسـاؤل: إن الأمر يتطلب منا معرفـة ماء العكلية قـديماً لنتمكن من معرفة جبلها أسود النسا.

تحديدي لماء العكلية:

من النصوص التي تقدمت معنا اتضح لي أن العكليـة: عِدٌّ ماء قديم لبني أبي بكر بن كلاب واقع في حَدّ بلادهم مع بلاد بني الأضبط:

وقد حَدد لنـا الأصفهاني حد بلاد بني الأضبط بقوله:(إلى العكليـة وهي من الجديلة مهب اليمانيـة) ومن هذا نعـرف أن «العكلية» تقع نـاحية الجنـوب من منزل «الجـديلة» الذي حددناه وعرفنا موقعه بكل دقة.

فقول الأصفهـاني: مهب اليمانية، يعني أنهـا واقعة من الجديلـة في الجهة التي تهب منها الريح اليمانية.

فإذا رجعنا إلى مسميات هبوب الرياح عند العرب نجد أن «الهمداني» يعرف لنا مسميات هبوب الرياح بقوله:

(صفة رياح الأقطار والزوايا: رياح المشرق القبول وهي الصبا، ويقابلها من الغرب الدبور، والجنوب تهب من اليمن، ويقابلها الشمال من قصد الشام...[1]) .

من هذا عرفنا أن مهب اليمانية تأتي من جهة الجنوب، الأمر الذي حدد لنا أن «العكلية» واقعة جنوباً من «الجديلة» ـ ماء الصَّقرة حالياً ـ .

وفي رحلتنا السابقة عندما وصل بنا الطريق بين الجديلة، وبين ما يسمى بجبال عكلية حالياً مررنا على مضارب بدو فسألنا أحدهم وهو رجل كبير السن عن ماء عِدٍّ قديم بالقرب من منزلهم، فقال: أقدم ماء في هذه المنطقة هو ماء «الصقرة» وماء «الدارة».

قلت له: ماء الصقرة معروف واسمه القديم «الجديلة» أمَّا ماء الدارة فهو مائل نحو الغرب من الجديلة.

والماء الذي نسأل عنه واقع باتجاه الجنوب العادل من «الصَّقرة» الجديلة قديماً.

فقال: لا يوجد في هذا الاتجاه إلا آبار قديمة جاهلية اسمها «الغُبَيْوِيَّة» وهي غير بعيدة من هنا.

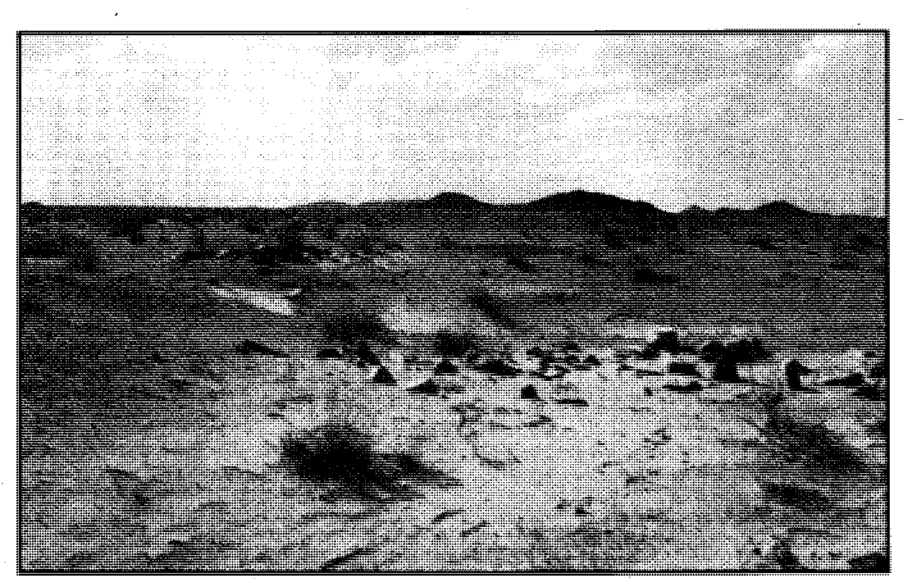
عندما وصلنا إلى «الغبيوية» وجدناها عبارة عن بعض الآبار المستحدثة، وبعد تفحص المكان عثرنا بجوارها على عدد من الآبار القديمة المطمورة. حولها ركام من الحجارة قد يكون أثراً لمبنى قديم، ومن بين هذه الآبار المطمورة بئر واسعة جداً وتقع هذه الآبار جنوباً عادلاً من الجديلة كما قال النص.

وتبعد عنها مسافة ثلاثة عشر كيلاً. انظر إلى صورتي بئرين منها المنظرين رقم (٣١) ورقم (٣٢). وهي واقعة على خط العرض ٣٥َ ٠٦َ ٢٤ْ وخط الطول ٤١ً ٤١َ ٤٢ْ.

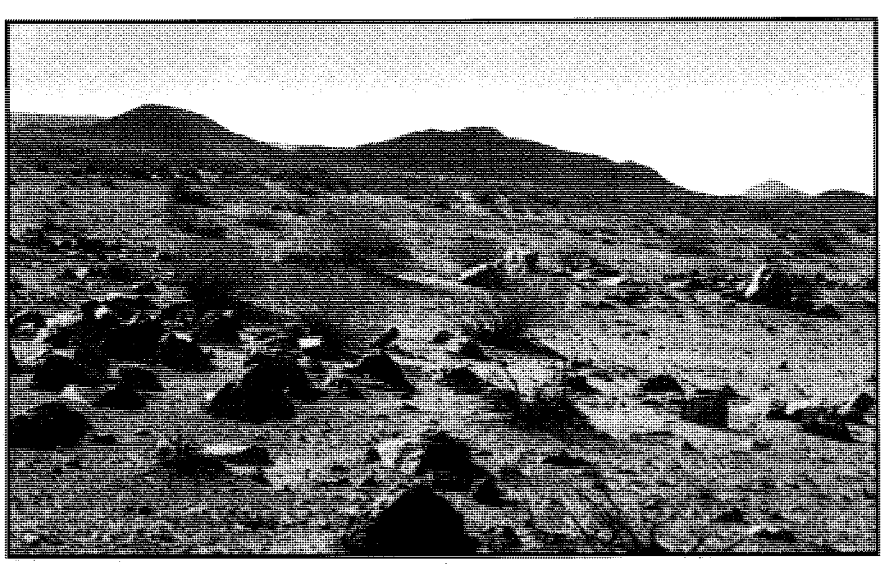
وتبعد عن ماء دارة عكلية خمسة أكيال تقريباً باتجاه الجنوب الشرقي.

---

(١)صفة جزيرة العرب: ص ٣٠٠.



منظر رقم (٣١) احدى آبار « العكلية» مطمورة يبدو عليها القدم
كما يبدو جبل أسود النسا من خلفها



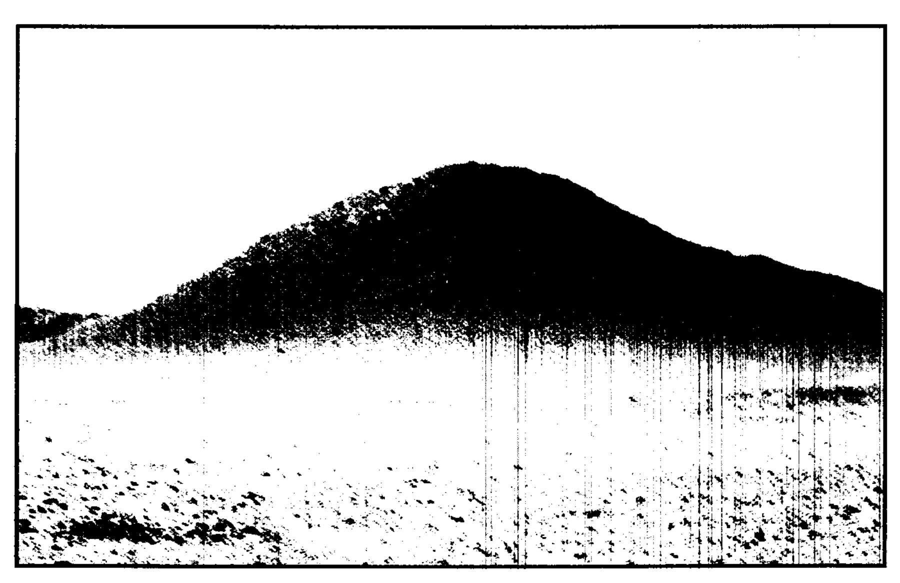
منظر رقم (٣٢) آثار بئر أخرى من آبار «العكلية قديماً» ويبدو جبل أسود النسا
من خلفها مقربا.

وطريق الحاج البصري يمر بينهما.لهذا كله فإني أرجح أن ماء «الغبيوية» هو ماء «العكلية قديماً» لانطباق النصوص عليه. **انظر إلى موقع ماء العكلية قديماً على الخارطة رقم(٣).**

أما جبل العكلية الـذي قيل: إنه أسود النَّسَا، فهو الجبل الأسود الفـاحم السَّواد الواقع عنها شمـالاً غير بعيـد وهو الجبل الأطـرف من ناحيـة الجنوب الشرقي مـن الجبال التي يطلق عليها في الوقت الحاضر «جبال عكليـة»وهذا الجبل الأسود يبعد من الآبار خمسة أكيـال وسبعمـائة متـر.ويطلق على هــذا الجبل الآن هضبـة عكليـة، ويسميهـا البعض «المحرق» أو المحرقـة لشدة سوادها انظـر إلى صورة الطرف الشرقي لجبـل أسود النَّسَا **المنظر رقم (٣٣).**

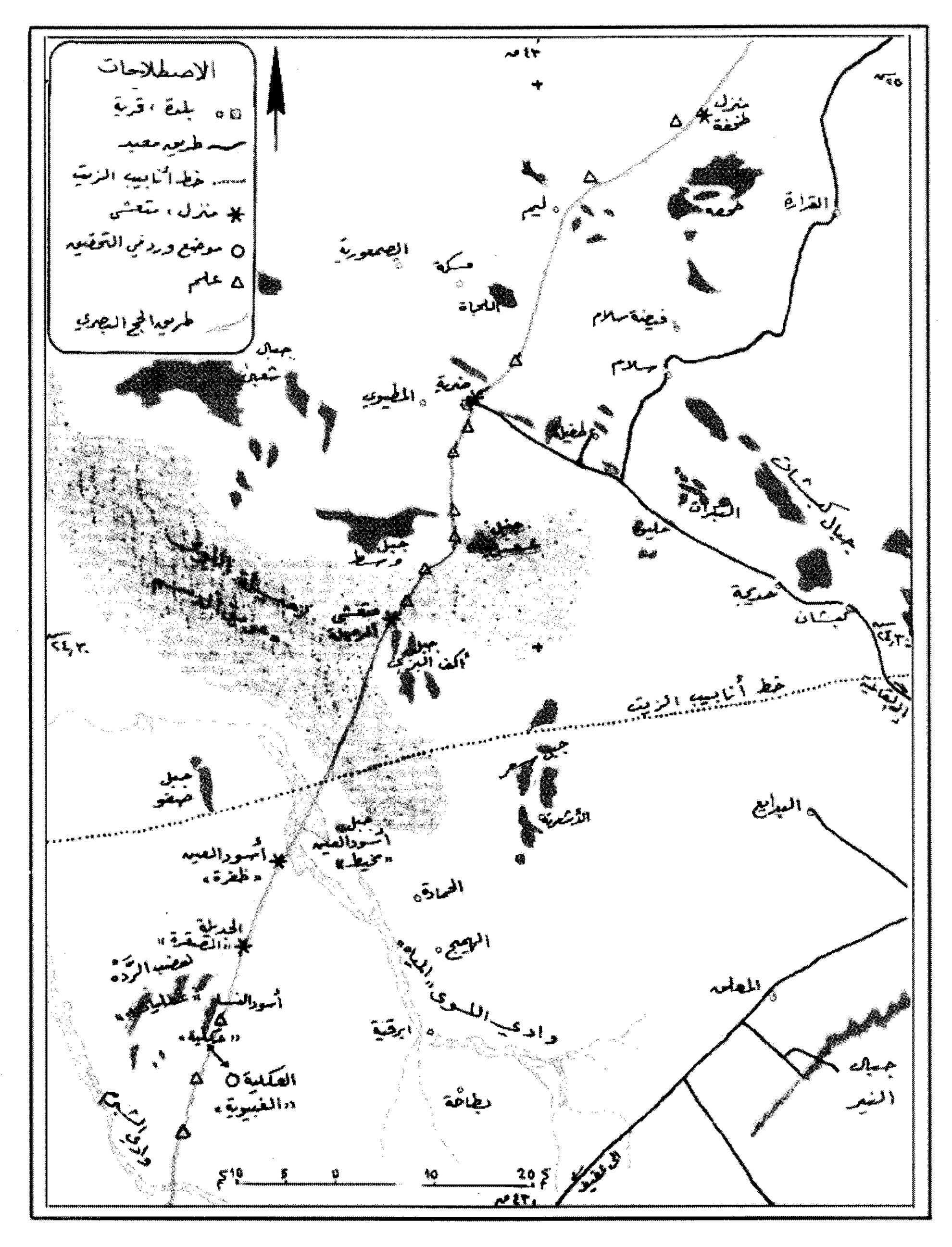
ذكرها الشاعر الشعبي بقوله:

مُرّ الدّفينَةْ ودَرْبكْ خَشْم عكْلّيَّهْ	والا شْعَـريَّــهْ ونَشِّـدْ وردْ كَبْشَــان
دَوِّرْ وليف غَـدَا بالقلب عَـاريَّةْ	راعي قــرون مغطِّيــة الامْتَــان[1]



منظر رقم(٣٣) الطرف الشرقي من جبل أسود النَّسا المسمى حالياً (طرف عكلية)

(١)انظر معجم عالية نجد: ص ٩٨٠.



خارطة رقم (٣)

أقول: إن الحاج البصري عندما يمرون «الدفينة» وهم عائدون من حجهم قاصدين البصرة يطأون خشم عكلية هذا الذي أوصى الشاعر الشعبي من أرسله بعد مرور «الدفينة» أن يكون دربه خشم عكلية.

والخشم المشار إليه مقابل بالفعل لآبار «الغبيوية» العكلية قديماً.

فعكلية هذه هي جبل العكلية «أسود النَّسَا».

وقد أطلق الناس اليوم على هذه الهضبة السوداء اسم «عكلية»دون سواها.

والشيخ محمد بن بليهد عندما تكلم عن عكلية أورد قول ياقوت الحموي عن ماء عكلية.

قال:

(... قال المؤلف (العكلية) تحمل هذا الاسم إلى هذا العهد ولكن المتأخرين أسقطوا من الاسم (ألف ولام) فيعرفونها (عكلية) وموقها في مفيض وادي الشبرم في وادي المياه يراها السالك طريق مكة ــ يقصد الطريق الترابي القديم ـ إذا نكب عفيف وهضابه إذا التفت على يمينه يرى رأسها كأنها قطعة غيم وهي هضبة سوداء.[1])

أقول:

لقد أطلنا الوقفة عند أبرقي حُجر، وعند العكلية، ولكنها وقفة لابد منها.

فلنعد الآن إلى مواصلة رحلتنا مع طريق الحاج البصري.

عودة إلى الطريق:

من الأبرقين اتجهت قاصداً «فلجة» ولما كنا عثرنا في الرحلة السابقة على ثلاثة أعلام باتجاه القبلة غرباً من مثلثة، وغددة فقد اتجهت إليها، وأماكن هذه الأعلام على التوالي:

(١) صحيح الأخبار، ص ٣/ ٢٤٠.

١ــ العلم المـوالي للأبـرقين: واقع على خط العـرض ٤٠ً ٥ ٥َ ٢٣ْ وخط الطـول ٠٤ً ٣٧َ ٤٢ْ

٢ــ العلم الـذي يليـه بـاتجـاه القبلـة: واقع على خط العـرض ٢١ً ١ ٥َ ٢٣ْ وخط الطول ٥١ً ٣٣َ ٤٢ْ.

٣- العلم الثالث محاذ لهضاب «أَجْلَة» من جهة الشمال وهو أكبرها وأوضحها.

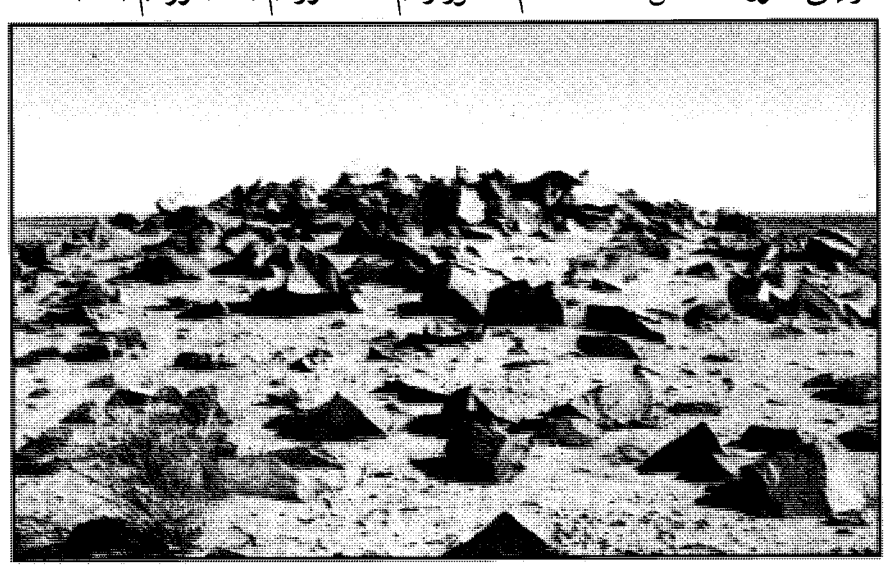
وهذا العلم واقع على خط العرض ٠٠ً ٥٠َ ٢٣ْ وخط الطول ٠٠ً ٣٢َ ٤٢ْ.

وهو يبعد عن «فلجة» ثلاثين كيلاً ونصف الكيل.

وفيما بين هذا العلم وفلجـة عثرت على علمين أحدهما وهو المـوالي لفلجة يرى من بعد لكبـره ولكونه على مـرتفع عال وهـو واقع على خط العرض ١٥ً ٤٣َ ٢٣ْ وخط الطول ١١ً ٢٣َ ٤٢ْ.

يبعد هذا العلم عن فلجة أحد عشر كيلاً.

انظر إلى صور ثلاثة من هذه الأعلام الصور رقم (٣٤) ورقم (٣٥) ورقم (٣٦).



منظر رقم (٣٤) أحد أعلام الطريق يقع قبلة من مثلثة وأبرقي حجر.



منظر رقم (٣٥) علم ثان من أعلام الطريق قبلة أبرقي حجر.



منظر رقم (٣٦) علم ثالث يقع قبلة من سابقيه محاذ لهضبة «أجلى» المشهورة كما تبدو في الصورة.

منزل فلجة

فَلْجةُ: أحد منازل طريق الحج البصري القديم، يقع بين منزلي الْجَدِيلَة، والدَّفِينة.

وهذا المنـزل تكلم عنه قدمـاء المؤرخين، وعلمـاء البلدان كثيراً، ومع هـذا التبس أمر تحديده على الباحثين في وقتنا الحاضر.

وقبل ذكر ما قالوه حوله دعونا نلقي نظرة على ما قاله العلماء قديماً عن فلجة:

أولاً: يقول أبو إسحاق الحربي:

(ثم فلجـة: أخبرني ابن أبـي سعد عن النـوفلي عن أبيـه، أن فلجة لبني البَكَّـاء. وهي منزل خرقاء صاحبة ذي الرمة.

مروا بفلجة منصرفين من الحج، فوقفوا على خرقاء وهم لا يعرفونها ، قالت:

من الركب؟ قالوا: من بني عَدِيّ الرباب. قالت: رهط ذي الرُّمة؟ قالوا نعم.

قـالت:قد تركتم منسكـاً بقي عليكم من مناسك الحج. قالوا وماهو؟ قالت أو ماسمعتم ذا الرُّمة يقول:

تمـام الحج أن تقف المطــايا ... على خــرقـاء واضعــة اللثـام

قالوا: وإنك لخرقاء؟ قالت نعم. فأناخوا عندها.

ومن جديلـة إلى فلجة خمسـة وثلاثـون ميلاً، وفلجـة ماؤهـا مالح، يستعـذب لأهلها ولمن مَرَّ بها من القُطَّبِيَّات وهي ثلاثة أميال منها [1] ...)

ثانياً: قال ياقوت الحموي في رسم «فلجة»:

(...قال أبـو عبيد الله السَّكـوني: فلجة منـزل على طريق مكـة من البصرة بعـد أَبْرَقَيْ حُجْر، وهـو لبني البَكَّـاء، وقال أبو الفتـح: فلجة منـزل لحاج البصرة بعـد الزجيـج وماؤه ملح [2]).

---

(١) كتاب المناسك: ص ٥٩٨.

(٢) معجم البلدان: ص ٤/ ٢٧٢.

أقول:

وا ضح من قول أبي عبيد السكـوني أن فلجة بعد أبرقي حجر وذلك لمن كـان قاصداً مكة.

أما قول أبي الفتح: إنها بعد الزجيج. فإنه يقصد بذلك لمن كان عائداً من مكة قاصداً البصرة. وهذا واقع الحال.

وأرى أنـه إذا أراد باحـث تحقيق موضع مـن المواضع مختلف بشـأنه أن يتعـرف أولاً على المواضع التي اقترن ذكرها معه، وقد اقترن مع «فلجة» ذكر مواضع منها:

أبرقا حجر، والزجيج، والقطبيَّات. وغير ذلك من المواضع.

وقد تعرفنا على أبرقي حجر، أما الزجيج، والقطبيات فسأتكلم عنهما إن شاء الله.

أقوال مؤرخي وقتنا الحاضر:

أولاً: فلجة عند الشيخ حمد الجاسر:

في الجزء السادس من كتاب «تاج العروس» ورد نص مفاده:

(فَلْجُ: موضع بيـن البصرة وحمى ضريـة، وفلجة مـوضع بين مكة والبصـرة، وقيل هو الفَلْج المتقدم ذكره).

وقد علق الشيخ حمد الجاسر على ذلك بقوله:

(ما أوسع الشقة بين البصـرة وضرية، وبين البصرة ومكة!!أمـا الأول وهو فلج فهو واد يعرف الآن بـالباطن، وفيـه الحفر حفـر أبي موسـى الذي أصبح الآن قـرية، وهـذا بقرب البصرة، بينهما ما يقرب من مئة وثلاثين ميلاً.

وأما فَلْجَةُ فهي من منـازل طريق البصرة إلى مكة ولكنهـا في عالية نجد شـرق الدفينة المعروفـة الآن، وغرب الجديلـة، المعروفة الآن بـاسم الأَشْعَرِيَّـة، ويغلب على الظن أنها

المنهل المعروف الآن باسم الخضارة، إذ أوصاف فلجة التي ذكرها المتقدمون تنطبق على الخضارة[1]. انتهى

التعليق:

مايهمنا هنا هو الكلام عن منزل فلجة، ولي حول ماورد في قول الشيخ حمد ملاحظتان هما:

الأولى: قوله وهو يحدد فلجة: إنها شرق الدفينة وغرب الجديلة المعروفة الآن باسم الأَشْعَرِيَّة.

أقول: إن فلجة واقعة بالفعل بين منزلي الدفينة والجديلة.

ولكن تعريفه للجديلة بأنها المعروفة الآن باسم الأشعرية فهذا غير صحيح. إذ أن الجديلة هي ما يعرف الآن باسم «الصَّقْرة» وهذه واقعة غرب رميلة اللوى - عريق الدسم حالياً - بينما «الأشعرية» واقعة شرقي هذه الرميلة.

والأشعرية لايمر بها طريق الحاج البصرى حيث يتركونها مع جبلها المنسوبة اليه «شِعْر» على يسارهم.

الملاحظة الثانية: قوله عن فلجة:

(ويغلب على الظن أنها المنهل المعروف الآن باسم «الخُضَارة» إذ أوصاف فلجة التي ذكرها المتقدمون تنطبق على الخضارة).

أقول:

لقد غَلَّب الشِيخ ظنه بأن منزل «فَلْجَة» هو مايسمى في وقتنا الحاضر ماء «الخضارة».

ويفهم من قوله أنه قول غير جازم. وهذه عادة شيخنا حمد الجاسر حيث يترك الباب مفتوحاً أمام الباحثين من بعده فيما لم يكن متأكداً منه.

---

(١) كتاب: نظرات في تاج العروس من جواهر القاموس: ص ١٤٠.

ولكني بعد البحث والتقصي تأكد لي أن منهل «الخضارة» ليس هو منزل «فلجة» الذي تحدثت عنه النصوص. لأن الخضارة لاتقع على سمت الطريق حيث تبعد عن منزل «فلجة» أربعة عشر كيلاً جهة الجنوب الشرقي. وسأوضح موقع «فلجة» بالتحديد لاحقاً إن شاء الله تعالى.

ثانياً: فلجة عند الأستاذ عبد الله بن خميس:

يقول الأستاذ عبد الله وهو يعرف لنا المواضع والجبال التي اجتازها في طريقه من اليمامة إلى الحجاز:

(الخُضَارَة ... والخضارة ذكرها ابن بليهد فقال:(ثم تطلع على «جذيب الخضارة» وهي جبال سود صغار يقال لها «سمر الخضارة» في هذا العهد وإذا كنت على تلك الجبال فانظر فما كان سيله منها مشرقاً فهو يصب في وادي الجريب، وما كان مغرباً فهو يصب في الشُّعبَةِ ويتجه إلى جهة المدينة ثم تأتي وادي الخضارة وهو واد كثير الشجر يصب سيله في الجريب)

ثم استطرد الأستاذ عبد الله بن خميس قائلاً:

وقد ذكر صاحب كتاب «بلاد العرب» الخضارة باسم «الخُضْرِيَّة» فقال:

(والخِضرية ماءة) ثم قال: (وللخضرية جبل أحمر يقال له مُثَلَّثَة) ذكرها في بلاد محارب. وقد مر ذكر مثلثة قريباً، وما أقرب «الخضارة» من «مثلثة».

الجَديلة: ويلي الخضارة هضاب حولها بركة وآثار ومعالم هي ما عرف قديماً باسم «الجديلة» منزل من منازل حاج البصرة بعد «ضرية» على مسافة اثنين وثلاثين ميلاً منها.

قال في كتاب «المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة» لأبي إسحاق الحربي:

(ثم جديلة عن علي بن محمد الهاشمي عن أبيه أن أبرقي حجر من جديلة أربعة عشر فرسخا ...)

ـ إلى آخر النص الذي تقدم معنا ـ

وبعد أن أورد أبياتا من أرجوزة الطريق قال:

أما هذه الأسماء الآن (الجديلة) و (أبرقا حجر) و (أسود العين) فلا وجود لها ولولا (البِرْكة) والآثار وتحديد المسافة بالأميال لما علمنا أن هذا المكان اسمه (جديلة) بل هو الآن يسمى «الّدريْعُوّات» [1]). انتهى قوله.

التعليق:

لي على قول الأستاذ عبد الله بن خميس عدد من الملاحظات وهي:

الملاحظة الأولى:

يقول مؤلف كتاب « المجاز بين اليمامة والحجاز» من قوله المتقدم: (إن صاحب كتاب «بلاد العرب» ذكر «الخُضَارَة» باسم «الخُضْرِيَّة» وأن لها جبلاً أحمر يقال له «مثلثة» ذكرها في بلاد محارب ... وما أقرب «الخضارة» من «مثلثة»).

أقول:

لم يقل صاحب كتاب «بلاد العرب» أن «الخُضَارة» هي «الخُضْريَّة» كما قال المؤلف، وإنما قال:(والخضرية: ماءة ... وللخضرية جبل أحمر يقال له مُثلَّثة)

قال ذلك وهو يعدد مواضع في بلاد قبيلة «محارب»، وقد قرن الأصفهاني«الخُضْريَّة» مع مواضع أخرى في بلاد محارب، مثل :السُّخَيْبِرة، وعمود المُحْدَث، وغير ذلك.

أما «الخضارة» التي نتحدث عنها فليست في بلاد محارب، وإنما هي في بلاد بني قوالة

الملاحظة الثانية:

قوله: (وما أقرب الخضارة من مثلثة)

أقول: إن مثلثة ليست قريبة من «الخضارة» حيث تبعد عنها ما يقرب من خمسة وأربعين كيلاً جهة الشمال الشرقي. بينما نجد هضبة أكثر منها شهرة أقرب إلى الخضارة من هضبة مثلثة.

---

(١) كتاب المجاز بين اليمامة والحجاز: ١٥٧ ـ ١٥٨.

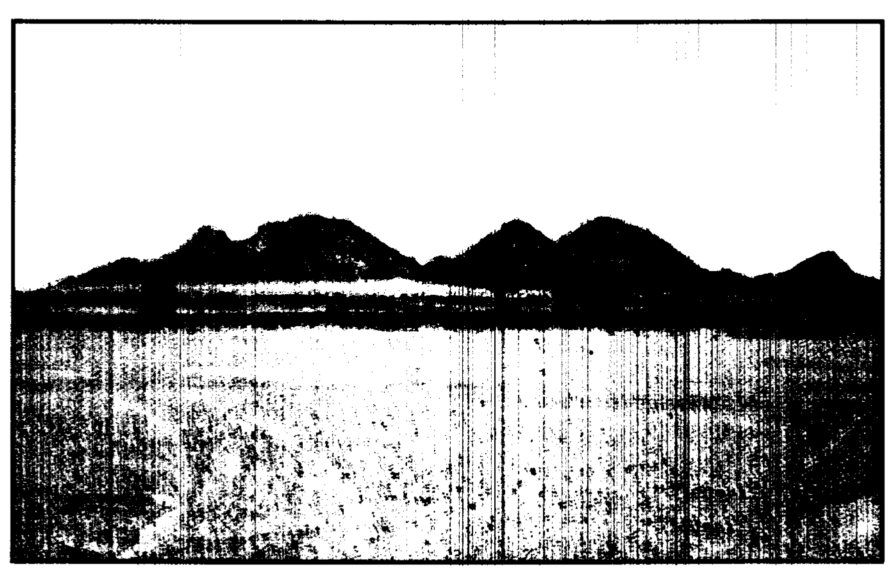
هذه الهضبة هي «أَجَلَى» تلفظ في وقتنا بإسكان الجيم؛ فيقال «أَجْلَى».

كما يـوجد قرب الخضـارة هضاب «الذَّنَـائب» ذات الشهرة التاريخيـة، وهي لا تبعد عنها بأكثر من عشرين كيلاً، وهناك هضاب «الدُّرَيْعُوَّات».

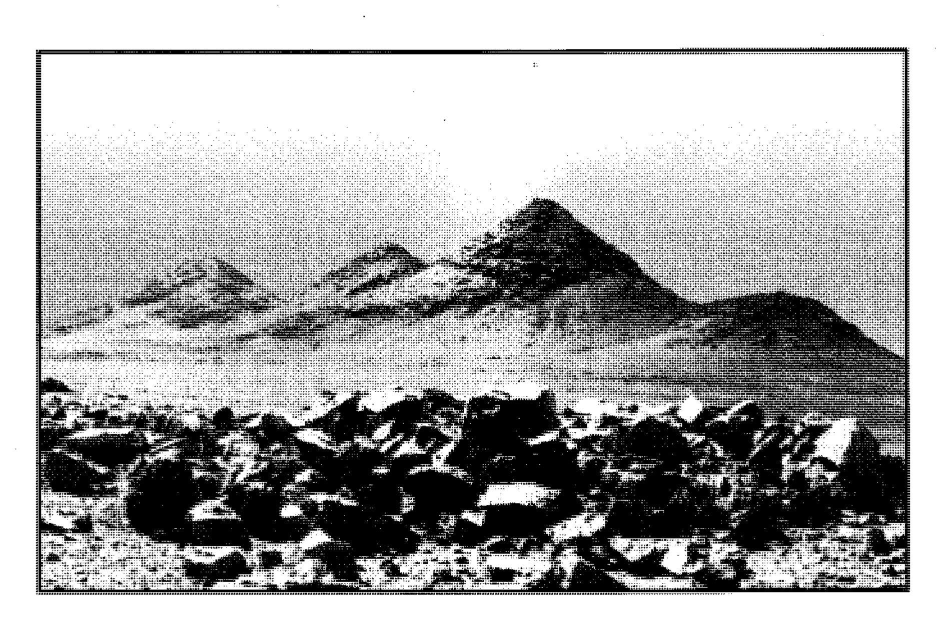
فكيف نتعدى هذه الهضاب المشهورة، ونقول: إن جبل الخضارة هو «مثلثة»؟!

ولكن حقيقة « مثلثـة» هذه أشكلت على بعض البـاحثين فظنوهـا تلك الواقعـة جهة الشمـال الغـربي من مدينـة «عفيف» على بعـد ثـلاثين كيـلاً. بينما التي تحـدث عنهـا الأصفهاني هي مثلثـة الواقعـة في بلاد محارب، وتبعـد كثيراً عن «الخضـارة» وتتميز بأن لونها أحمر.

انظـر إلى مثلثة محـارب الصورة رقم (٣٧)، وانظـر الى مثلثة الـواقعة قـرب «عفيف» الصورة رقم (٣٨). وقـارن بين المثلثتين. كما يـلاحظ وجـود علم من أعلام الطـريق في سفحها الجنوبي الشرقي.



المنظر رقم (٣٧) جبل مثلثة الواقعة في بلاد محارب، غربي بلدة «حسو عليا» (ذو حسى قديماً).



منظر رقم (٣٨) جبل مثلثة الواقعة بين الجديلة وفلجة شمال غربي عفيف ويبدو بالقرب منها أحد أعلام طريق الحج البصري وحجارته من المرو الأبيض

الملاحظة الثالثة:

قال الأستاذ عبد الله بن خميس عن البركة والآثار الواقعة حول الهضاب الموالية للخضارة: بأنها ما عرف قديماً باسم «الجَدِيلَة» منزل من منازل حاج البصرة بعد «ضرية» على مسافة اثنين وثلاثين ميلاً منها.

أقول:

إن هذا يحمل في طياته خطأين:

الخطأ الأول: أنه سمى هذا المنزل «الجديلة» بينما الصحيح أنه منزل «فلجة» وليس الجديلة.

الثاني: أنه بقوله عن البركة والآثار إنها «الجـديلة» فقد أبعد منزل الجديلة عن مكانه الصحيح إلى جهة الغرب بمسافة سبعين كيلاً.

علماً بأن هذا القول يناقض أقوال جميع المؤرخين في ترتيبهم لمنازل الطريق.

والمؤلف أفادنا أن «الجديلة» تبعد عن «ضرية» بمسافة اثنين وثلاثين ميلاً.

فإذا اعتبرنـا البـركة والآثـار الـواقعـة حـول هضـاب «الـدريعوات» المـواليـة لمـاء «الخضارة» هي «الجديلـة» فقد أبعدناهـا عن «ضَرِيَّة» سبعة وستين ميـلاً، وهذه بلاشك مرحلة طويلة على راكبي الإبل.

ومن قـال: إن ماء «الخضـارة» هـو منـزل «فلجة» فإنـه لم يبعـد النجعـة كثيراً لقـرب الخضارة من فلجة حيث لا تبعد عنها سوى أربعة عشر كيلا فقط.

الملاحظة الرابعة:

مما يؤكد أن مؤلف كتاب «المجاز بين اليمـامة والحجاز» يقصد أن البركة وآثارها هي «الجديلة» قوله بعد ذلك:

(ولولا «البـركة» والآثـار وتحديد المسـافة بـالأميال لما علمنـا أن هذا المكـان اسمه «جديلة» بل هو الآن يسمى «الدّريعُوَّات»)

أقول:

لـو استقرأنـا المسافـات التي أوضحها المـؤرخـون بشكل صائب لمـا وقعنا في هـذا الخطأ.

ثم إن هذه البركة وآثارها لا تسمى «الدّريعُوَّات» وإنما تسمى «البُرَيْكَةِ» تصغير بِرْكة، أما الدريعوات: فاسم يطلق على الهضاب الواقعة حول «البريكة» منزل «فلجة قديماً».

ثالثاً: فلجة عند مؤلف «معجم عالية نجد»:

أـ يقول المؤلف: (الخُضَـارة... عِدٌّ قـديم يقع غرباً من عفيـف على بعد سبعين كيلاً وقد تأسست فيه هجرة حديثة ... وهي واقعة على طريق الحاج القديم من نجد...

ويرى الشيخ حمد الجاسر أن الخضارة هي الماء المعروف قديماً باسم فَلْجة، ورأيه هذا على جانب من الصواب، لأن التحديد والوصف الجغرافي لفلجة في كتب المعاجم الجغرافية ينطبق على ماء الخضارة.

بعد أن أورد المؤلف قول «الحربي» المار ذكره، استطرد قائلاً:

قلت: ذكر الحربي أن ماء فلجة مالح، وأنه يستعذب لأهلها الماء، وكذلك ماء الخضارة مالح، وذكر أنها هي المنزل الثالث لحاج البصرة بعد ضرية، وكذلك الخضارة فنحن حينما نتبع طريق الحاج من البصرة نجد أنها هي الثالثة بعد ضرية، ففيها بركة من برك طريق الحج، وبينها وبين ضرية ثلاثة منازل، في كل واحد منها بركة واضحة المعالم، والمسافة بين كل منزل وآخر متقاربة.

ويقول أبو علي الهجري: الخارج من ضرية يريد مكة يشرب: بالجديلة ثم فلجة، ثم الدثينة، ثم قبا.

وقد أسقط الهجري ذكر المنزل الأول بعد ضرية.

وقال ياقوت: فلجة: بالفتح ثم السكون، والجيم: قال أبو عبيد الله السَّكُوني: فلجة منزل على طريق مكة من البصرة بعد أبرقي حجر، وهو لبني البَكَّاء. قال أبو الفتح: فلجة منزل لحاج البصرة بعد الزجيج وماؤها ملح.

وما ذكره أصحاب المعاجم في تحديد فلجة لا اختلاف فيه فيما بينهم، وبه يتضح أنها من منازل حاج البصرة، وفي المنزل الثالث بعد منزل ضرية.

ولست أعرف سبباً لتسميتها بالخضارة، ولها ذكر في الشعر الشعبي بهذا الاسم ....[1]) انتهى قوله باختصار.

التعليق:

١ ـ يقول الأستاذ سَعْد، بعد إيراده لرأي الشيخ حمد الجاسر المتضمن أن الخضارة

---

(١) معجم عالية نجد: ص ٤٥٧ ـ ٤٥٩.

هي الماء المعروف قديماً باسم فلجة: (ورأيـه هذا على جانب من الصواب لأن التحديد والوصف الجغرافي لفلجة في كتب المعاجم الجغرافية ينطبق على ماء الخضارة).

أقول:

تقدم مـاقلته بشأن رأي الشيخ حمد، ولست معهمـا في أن ماء «الخضارة» هـو الماء المعروف قديمـاً باسم «فلجة» وإنما فلجـة ماء آخر يقع من الخضارة إلـى جهة الشمال الغربي على بعد أربعة عشر كيلاً، وهو الواقع بالفعل على طريق الحج البصري.

٢ـ ويقـول: (حينما نتتبع طـريق الحاج من البصرة نجـد أنها هي الثـالثة بعد ضـرية، ففيها بركـة من برك طريق الحج، وبينها وبين ضريـة ثلاثة منازل في كل واحد منهـا بركة واضحة المعالم، والمسافة بين كل منزل وآخر متقاربة.

ثم أورد قول الهجري وترتيبه للمنازل من ضرية إلى مكة. وأنه أسقط أحد المنازل.

أقول:

إن الهجري ــ رحمه الله ــ لم يسقط المنزل الأول بعد ضـرية فتسلسل منـازل الطريق مطـابق لما ذكـره الهجري. ولعل مـؤلف «معجم عاليـة نجد» أخـذ بالتسلسل «الثـاني» الموجود في كتاب «المناسك» حيث قال الحربي فيه وهو يعدد منازل الطريق:

(السادس عشر: ضرية ...

السابع عشر : الأبرقان ...

الثامن عشر: الجديلة.

التاسع عشر: فلجة .[1])

فإذا كان المؤلف أخذ بهذا الترتيب فهو في نظري ترتيب دخله شيء من الاضطراب.

فقـد ذكر «الأبـرقين» بعـد منزل ضـريـة، بينما الـواقع: أن الأبـرقين ليسا من المنـازل

---

(١) كتاب المناسك: ص ٦١٢ ـ ٦١٣ .

الأساسية للطريق، وإنما هو متعشى وترتيبه يأتي بعد منزل «الجديلة» وليس بعد ضرية.

ولو أعدنا النظر على هذا الترتيب للمنازل لوجدنا المنزل الخامس عشر «الرَّائغة» بينما هي أيضاً متعشى واقع بين منزل «إمَّرَة» ومنزل «طِخْفَة».

وهذا يدلنا على أن هذا الترتيب للمنازل لا يعتمد عليه لأنه يناقض ترتيب المنازل الذي ذكره المؤرخون والجغرافيون ومنهم أبو إسحاق الحربي بذاته حيث نجده رتب منازل الطريق في مكان آخر من نفس المرجع «المناسك» بقوله:

(... ثم ضَرِيَّة...

ثم جديلة ...

ثم فلجة ...[1])

فارجع إلى ما قاله حيث ذكر المنازل والمتعشيات وما بينها من مسافات.

وإذا رجعنا إلى أرجوزة الطريق وجدنا «الجهضمي» يرتب لنا المنازل كما يلي:

ـ ضرية منزل: بعدها «اللوى» متعشى.

ـ الجديلة منزل: بعدها «أبرقا حجر» متعشى.

ـ فلجة منزل : بعدها «الزُّجيج» متعشى.[2])

وهذا هو الترتيب الصائب.

وقد تتبعت هذه المنازل في الرحلات الميدانية فوجدتها مطابقة لما ذكر.

فلهذا أقول: إن الهجري ـ رحمه الله ـ لم يسقط شيئاً من المنازل كما قال المؤلف؛ بل هو يتفق مع غيره في ذلك.

وعلى هذا الأساس تكون «فلجة» هي المنزل «الثاني» بعد ضرية، وليس «الثالث».

(١) المناسك: ص ٥٩٧.

(٢) المناسك: ص ٦٣٤ ـ ٦٣٥.

وفيما لو اعتبرنا أماكن المتعشيات منازل لأصبح ترتيب منزل فلجة المنزل «الرابع» بعد ضرية، حيث يكون الترتيب هكذا:

ضرية، ثم رميلة اللوى، ثم الجديلة، ثم أبرقا حجر، ثم فلجة.

ولكن واقع الأمر غير هذا حيث أن أغلب المؤرخين لا يعدون إلاَّ المنازل الأساسية فقط. فانتبه لذلك رحمني الله و إياك!!

ب ـ لقد قربنا مؤلف «معجم عالية نجد» من منزل «فلجة» في كلامه في رسم «البُرَيْكَة» حيث قال:

(البُرَيْكَة ... تصغير بركة: ماء قديم، يقع غرباً من بلدة عفيف على بعد تسعين كيلاً، وشمال غرب ماء الخضارة بالقرب منه، وعنده بركة قديمة من برك طريق حاج البصرة، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى البركة بعد تصغيره، وفي ذلك ما يؤيد القول أن الخضارة هي الماء القديم الذي يمر به حاج البصرة ويدعونه فلجة.

وقد ذكر الأصفهاني أن لمحارب في وضحها ماء يسمى البركة، وهو قريب من هذه الناحية.

وقد ورد ذكر البُريكة في قصيدة من الشعر الشعبي لمحمد بن بليهد، قال:

الصَّيد يَمّ أجْلَهْ تذكرَّ مَرَاميهْ   *وحنَّا بطرَّاف البرَيْكه لقَيْنَاهْ*

.. قلت ـ القول لمؤلف «معجم عالية نجد»: البريكة قريبة من أعالي الجرير وهي في بلاد الروقة من عتيبة التابعة لإمارة عفيف في هذا العهد، وهذا الماء واقع في هضبات حمر، وعنده خباري ـ جمع خبراء ـ وعنده برك من برك طريق حاج البصرة بادية المعالم، ولا يبعد أنه هو ماء فلجة المعروف في طريق الحاج إن لم يكن ماء الخضارة هو ماء فلجة وهما متقاربان[1]).

---

(١) معجم عالية نجد: ص ٢٣٠.

أقول:

قول المؤلف بعد وصفه لموقع «البريكـة»: (وفي ذلك ما يؤيد القول أن الخضارة هي الماء القديم الذي يمر به حاج البصرة ويدعونه فلجة).

هذا القـول يدل على أنه مازال يميل إلى الـرأي القائل: بأن ماء «الخضارة» هـو منزل «فلجة».

ولكني أجده في النهـاية في حيرة بيـن القول بأن ماء البـريكة هو منـزل «فلجة» أو أن المنزل ماء «الخضارة». يدل على ذلك قوله:

(ولا يبعد أنه هو ماء فلجة المعروف في طريق الحاج إن لم يكن ماء الخضارة هو ماء فلجة وهما متقاربان).

نحن هنـا نحرص كل الحـرص على تحديـد منـازل الطريق بشكل جـازم ودقيق متى أمكننا ذلك.

وأقول جـازماً بعد أن اتضحت لي الأمور بأن مـا يسمى الآن «البريكة» ماهـو إلا منزل «فلجة» بعينه دون سواه.

وعنـدي أنه لاوجـه للقول بأنـه هو مـاء «الخضـارة» لأن هذا المـاء لا تمر بـه قافلـة الحجيج لوقوعه جهـة مطلع الشمس من ماء «فلجة» البريكة حاليـاً على بعد أربعة عشر كيلاً، وهذه المسافة تعادل المسافـة بين فلجة والمتعشى الذي يليها وهو «الزُّجَيْجُ» حيث ذُكر أنه يبعد سبعة أميال فقط. أي أربعة عشر كيلاً.

فالأمر واضح لا غبار عليه وسيتضح لنا أكثر عنـدما نسير مع الطريق متتبعين لأعلامه ومنازله إن شاء الله.

عود إلى تشابه المثلثات:

يقول مؤلف «معجم عالية نجد» في رسم «مُثَلَّثة»:

(مُثَلَّثة ... هضبة سوداء لها رؤوس ثلاثة متناوحة، واقعة على ضفة وادي «الشبرم» اليمنى غرب بلدة عفيف على بعد خمسة وثلاثين كيلاً تقريباً ... وهي من أعلام بلاد محارب واقعة في شربتهم، قال الأصفهاني:

فمن شربتها ـ يعني محارب ـ: العكلية، والسخيبرة ماءة، والخضرية ماءة وللخضرية جبل أحمر يقال له مثلثة.

قلت ـ القول له ـ العكلية لاتزال معروفة باسمها واقعة شمالاً من مثلثة[1]).

التعليق:

كما التبس أمر مثلثة هذه على الأستاذ عبد الله بن خميس فيما أوضحناه آنفاً، التبس أمرها هنا على أستاذنا سعد بن جنيدل؛ فعدها من أعلام «محارب».

وحيث أرجأت الكلام عن مثلثة عند المرور عليها في الرحلة الميدانية فلعلي ألقي عليها الضوء هنا أكثر فأقول:

١ ـ إن وصف المؤلف لمثلثة، وتحديده لمكانها صائب ولكن قوله:

(وهي من أعلام بلاد محارب واقعة في شربتهم.) فهذا القول غير صائب، حيث أن مثلثة التي حددها المؤلف ليست في بلاد محارب، وإنما هي واقعة بين بلاد بني كلاب، وبني سُلَيمْ، وبني فزارة، وبني ربيعة.

فلو ألقينا نظرة على الأعلام المحيطة بمثلثة؛ لوجدناها كلها واقعة خارج بلاد بني محارب لأن بلادهم واقعة إلى جهة الشمال الغربي من هذا المكان.

فإذا كنت بجوار «مثلثة» والْتَفَتَّ جهة الشمال والشمال الغربي فإنك ترى جبال

---

(١) معجم عالية نجد: ص ٣/ ١١٤٤.

وهضاب: الجثوم، والستار، والشموسين، وهضاب الشِّعْب، ومن وراء ذلك «المُضَيَّح».

وجميع هذه الأعلام واقعة في بلاد بين الأضبط.

أمـا إذا نظرنـا إلى جهة الغـرب؛ فسنرى: جبل «حِبِـرّ» على بعد أربعين كيـلاً تقريبـاً، ومعروف أن جبل حِبِرّ واقع في بلاد بني سليم.

وحتى لو أوغلنا بـاتجاه الشمال الغربي جهـة بلاد محارب لوجدنـا هناك غربي وادي الجريب أعلامـاً واقعة في بلاد بني الأضبط منها «طخفة» الواقعـة غرب هضاب الشعب، فهي واقعة في بلاد ربيعة بن الأضبط.

مما تقدم يتضح لنا أن مثلثة التي نتحدث عنها ليست واقعة في بلاد محارب.

أما مثلثة محـارب فهي الواقعة قرب بلـدة «حسُو عَلْيا» ـ ذو حسيً قـديماً ـ لا يفصل بينها وبين البلدة إلا الوادي.

٢ـ حول قول الأصفهـاني: (فمن شربتها ـ يعني محارب ـــ العُكلية ، والسُّخيبرة ماءة، والخضرية ماءة، وللخضرية جبل أحمر يقال له مثلثة).

علق مؤلف معجم العالية على أحد هذه المواضع وهو « العكلية» حيث قال:

(قلت: العكلية لا تزال معروفة باسمها واقعة شمالاً من مثلثة). انتهى

أقول:

لقد تأكـد لنا أن مثلثة التي نتحدث عنهـا ليست في بلاد محارب، والعكليـة التي ذكر المؤلف أنهـا واقعة شمالاً من مثلثـة ليست هي التي أشار اليهـا الأصفهاني لكونهـا غير واقعة في بلاد محارب.

وقـد بسطت الكلام عنهـا فيمـا سبق بما فيـه الكفايـة، والكـلام عن المثلثات يطـول ولاداعي للإطالة ـ فالأمر واضح لاغبار عليه.

القطبيات

مجال الكلام مخصص لتحقيق منازل طريق الحج البصري من «النباج» إلى «ميقات ذات عرق»، ولكني أخذت على نفسي تحقيق المواضع التي ورد ذكرها مرتبطاً مع هذه المنازل في النصوص، وخاصة منها ما اختلف العلماء في تحديده، أو تلك التي لم تحقق تحقيقاً صائباً.

ومن بين هذه المواضع «القُطَّبِيَّاتُ» التي ورد ذكرها مع منزل «فَلْجَة».

ومادمنا لم نرحل بعد من هذا المنزل؛ فإنه من المفيد تحقيق «القطبيات» التي كانت محل إشكال بين علماء البلدان قديماً وحديثاً.

ولعل أهم نص يقر بنا إلى «القطبيات» هو قول أبي إسحاق الحربي:

(وفلجة ماؤها مالح، يُستعذب لأهلها ولمن مَرَّ بها من «القُطَّبِيَّاتُ» وهي ثلاثة أميال منها.

ويكتنف فلجة المواضع والجبال التي ذكرها عَبِيدٌ قال:

أَقْفَـرَ مِـن أهلـه مَلْحُـوبُ	فـالقُطّبِيَّـاتُ فـالـذَّنُـوبُ
فَـرَاكِسٌ فَثُعَـالِـيَـاتٌ	فَـذات فِـرْقَيْـن فـالْقَلِيبُ
فَعَـرْدَةٌ فَقَفَـا حِبِـرٍّ	ليس بهـا مَن أهلهـا عَـرِيبُ[1])

من هذا النص نعرف أن «القُطَّبِيَّاتُ» قريبة من فلجة حيث أنها لاتبعد عنها إلا ثلاثة أميال فقط. ولكن إذا أردنا أن نعرف مكانها بالتحديد، وهل هي آبار مياه أو جبال؟ فإننا لانحصل على إجابة مقنعة.

ولعلنا نلقي نظرة على ماقاله الباحثون في وقتنا الحاضر عن القطبيات:

---

(١) كتاب المناسك: ص ٥٩٨.

أولاً: عند مؤلف «صحيح الأخبار»:

يقول الشيخ محمد بن بليهد وهو يحدد المواضع الواردة في أبيات عبيد بن الأبرص:

(القطبيات: ذكر أهل اللغة وأصحاب المعاجم أن القطبيات، أو القطبية، في جبل سواج أو قريب منه، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم في هذا العهد، ولكني أعرف في عالية نجد الجنوبية ثلاث هضبات حمر يقال لها «الحصيات» وهناك ملازم مياه قريب جبل الينوفي يقال لها «الربقيات» فهذا الذي أعرفه مقارباً للفظ القطبيات[1]).

ثانياً: القطّبيات عند مؤلف «معجم عالية نجد»:

يقول الأستاذ سعد بن جنيدل في رسم «أُمّ المشاعيب» وهو يحقق هضاب «قُطَيّات»:

(ومما ينبغي الإشارة إليه أن أبا علي الهجري ذكر بلاد الوضح وحددها تحديداً واضحاً ووصف أعلامها وجغرافيتها، وذكر قُطَيّات باسم «القُطَّبِيَّاتُ» ، وتبعه في ذلك أبو عبيد البكري فيما نقله عنه وهذا خطأ من الهجري رحمه الله أو أنه وقع تصحيفاً من النساخ.

قلت ـ القول له ـ: اشتملت عبارة الهجري على وصف جغرافي دقيق لبلاد الوضح وللأعلام القريبة من هضبات أم المشاعيب، وتحدث عنها باسم «القُطَّبِيَّاتُ» ولم يختلف في تحديده أو وصفه مع ماذكره الأصفهاني وياقوت، وإنما اختلف معهما في الاسم «القطبيات»:

قال عبيد بن الأبرص الأسدي:

أقفر من أهله ملحوب فالقُطَّبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ

... قلت ـ القول لمؤلف معجم العالية:

ذكر عبيد القطبيات مع مواضع كلها بعيدة عن وضح الحمى فذكر ملحوباً والذنوب وراكساً وثعيلبات وذات فرقين وعردة وحِبرّاً.

---

(١) صحيح الأخبار: ٢/ ٧٧.

قال البكري: قُطَّبِيَّات ... قال أبو الحسن الأخفش:

إنما القطبيــة بئر معــروفة، فضم عبيــد إليها ماحــولها فقــال «القُطَّبِيَّاتُ» وكــذلك قول الآخر «عويرضات» إنما هو عويرضة.

وقال الأصفهاني: القطبية لبني زنباع، وكانت القطبية ردهة في جوف سواج.

وقا ل يـاقوت: القطبيات: بـالضم ثم التشديـد وبعده ياء مـوحدة وياء مشـددة، أظنه جمع قطبية، من القطب وهو المزج اسم جبل في شعر عبيد.

والقطبية واحدة الذي قبله: ماءٌ لبني زنباع، وكانت القطبية ردهة في جوف سواج.

وبما ذكرته يتضح تحديد كل من قطيات ـ التي قلنا إنها أم المشاعيب ـ و«القُطَّبِيَّاتُ» التي ذكرها عبيد في شعره، وحددها أصحاب المعاجم [1]) انتهى قوله باختصار.

التعليق:

لقد أحسن مؤلف «معجم عالية نجد» فـي حصره لهذه النصوص، ولذا حرصت على إيرادها ، وإن كان لي من تعليق فهو حول قوله بعد إيراده لهذه النصوص:

(وبما ذكرته يتضح تحديد كل من قطيـات ـ التي قلنا إنها أم المشاعيب ـ والقطبيات التي ذكرها عبيد في شعره، وحددها أصحاب المعاجم).

وتعليقي على ذلك:

١ـ ما يهمنا تحقيقه هنا هو القُطَّبِيَّاتُ، أما «قُطَيَّاتُ» فهذه سبق أن ناقشت رأي المؤلف بشأنهـا ضمن بحث مستقل مطول في كتابي «الأول» وحددت مكـانها تحديداً واضحاً، وقلت إنها ليست «أم المشـاعيب» كما تراءى للمؤلف، وإنما هي هضاب واقعة عنها غرباً.

فارجع لهذا البحث إن شئت.

---

(١) معجم عالية نجد: ص١/ ١٦٧ ـ ١٦٩.

أما «القُطَّبِيَّات» فإن تحـديدها لم يتضح لنا بَعْدُ. سواء من واقع مـاذكره مؤلف معجم عالية نجد أو ما ورد في النصوص القديمة.

ورغم ماقرأناه في هذه الأقوال فإن السـؤال لازال قائماً وهو: أين تقع القُطَّبِيَّات؟ وهل هي آبار مياه، أو جبال؟.

هذا مـانود معرفة الإجـابة عليه بشكل واضح. وسأحـاول التعرف عليها وتحديـدها إن شاء الله فأقول:

تشابك النصوص:

من واقع النصوص التي مرت معنا حصل تشابه وتشابك بين المواضع التالية: القُطَّبِيَّات، وقُطَيَّات، والقُطَّبِيَّة.

ويمكنني التميز بين هذه المسميات حسب مايلي:

١ - قُطَيَّـــات هضاب حمر ملس واقعة في وضح الحمى ـ حمى ضرية ـ بعيدة عن «فلجـة» وعن المـواضـع التي ذكـرهـا عبيـد بن الأبـرص، وتسمى حـاليـاً «الخنفسيَّات»

٢ـ القُطُّبِيَّة عبارة عن ردهة في جوف سـواج، وهي لبني زنباع كما حددها الأصفهاني، وسواج هذا هـو سواج المردمة الـواقع غرب جبل «النير» ، وليس سواجـاً الواقع بالقرب من «فلجة» و «الزجيج»، ولا ذاك الواقع غرب بلدتي: دخنة، والشبيكية.

٣ـ القُطَّبِيَّات: وهي مانسعى إلى معرفتها خيث لم يتضح لنا مكانها، ولا ماهي؛ فأمرها ما زال بحاجة إلى بحث وتمحيص رغم ماقيل عنها.

ولعل أوضح نص يقربنا إليها هو قول أبي إسحـاق الحربي: إنها على بعد ثلاثة أميال من فلجة لأن أهلها يستعذبون الماء من هذه القطبيات.

رأيي حول القُطَّبِيَّات:

لعل أسلم طريق يوصلنا إلى القطبيات هو معرفة صفاتها التي تتميز بها وهذه الصفات لا يتسنى لنا معرفتها إلا من واقع النصوص القديمة التي ذكرتها.

وباستقراء النصوص تبينت لي الأمور التالية:

١ـ ماء القطبيات ماء حلو بدليل أن أهل «فلجة» ومن يمر بها يستعذبون الماء منها.

٢ـ تبعد عن فلجة ثلاثة أميال فقط.

٣ـ القطبيات ليست آبار مياه لأن جميع الآبار الموجودة في هذه الناحية مياهها مالحة.

٤ـ قال عنها ياقوت الحموي: إنها اسم جبل في شعر عبيد بن الأبرص.

أقول: هذه الصفات تدل على أن «القطبيات» جبالاً وليست جبلاً واحداً كما قال ياقوت.

فما دامت ليست آبار مياه فإن الماء لا يستعذب في هذه الحالة إلاَّ من القِلاَتِ، والأَوشَالِ الموجودة في الجبال حيث تتجمع فيها مياه الأمطار.

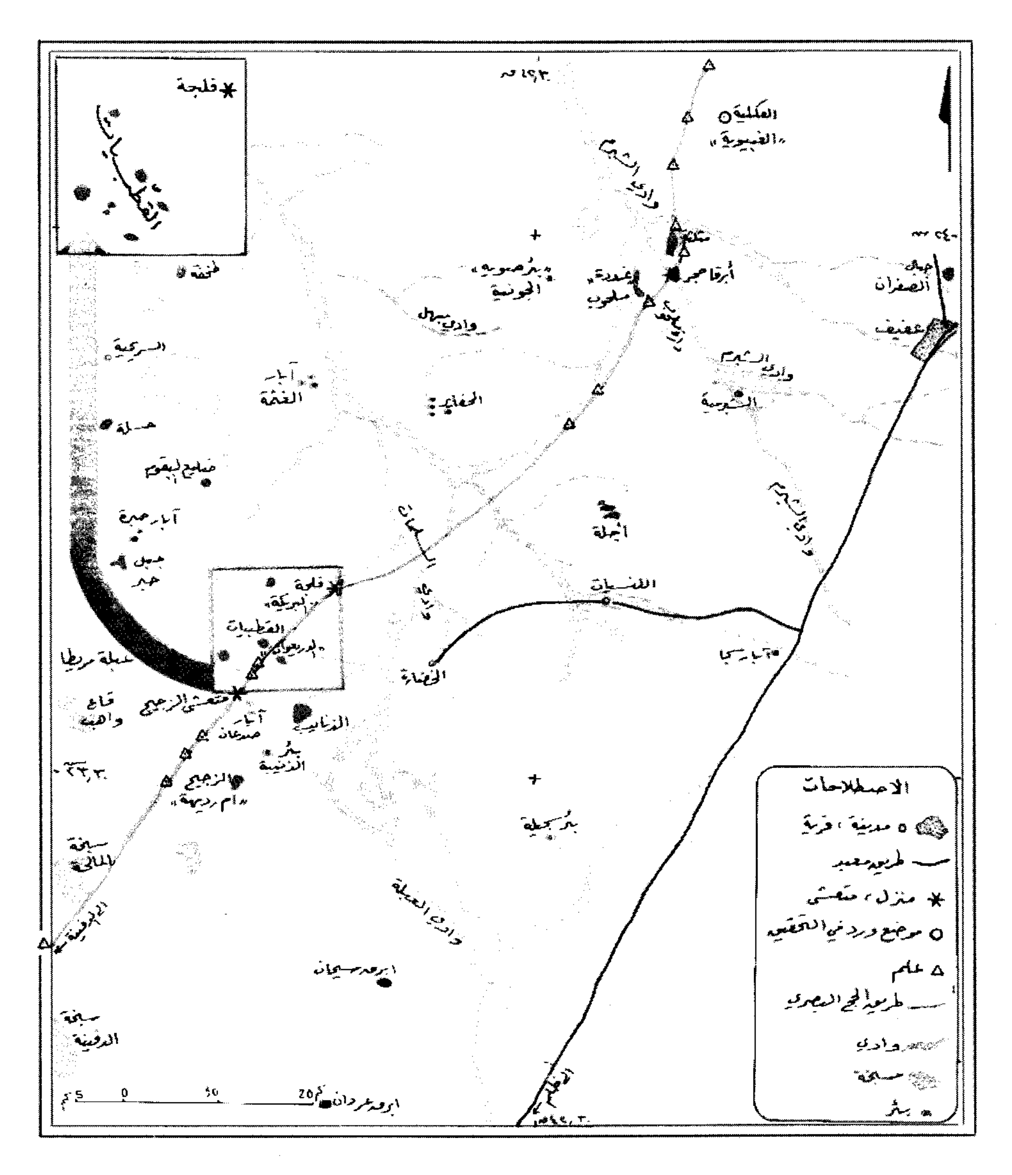
لهذا صوبت النظر إلى الجبال القريبة من منزل «فَلْجَة» فلم أشاهد إلا الهضاب المسماة في وقتنا الحاضر «الدّرَيْعوَّات» وهي ست هضاب متفرقة ترى من بعد مستدقة عالية. **انظر إلى مواقعها على الخارطة رقم(٤)**

فتساءلت: ألا تكون هذه الهضاب هي «القطبيات قديماً» ؟

لقد سألت بعض القاطنين حولها عما إذا كان يوجد في هذه الهضاب مُجَمَّعَات مياه يستعذبون منها الماء؟ ولكنهم أجابوني بالنفي.

فقلت: إذا لم تكن هذه الهضاب هي « القطبيات» فأين تكون إذاً؟!

لذا قررت الوقوف على الهضاب وتفحصها، فاتجهت مع الطريق الذي كان يسلكه الحاج قديماً من «فلجة» إلى «الزجيج» باتجاه «الدَّفِينَـةِ»، وعندما قطعت من المسافة ستة أكيال أي ثلاثة أميال كنت بين هضبتين من هذه الهضاب وهما أطرف الهضاب من جهة الجنوب.



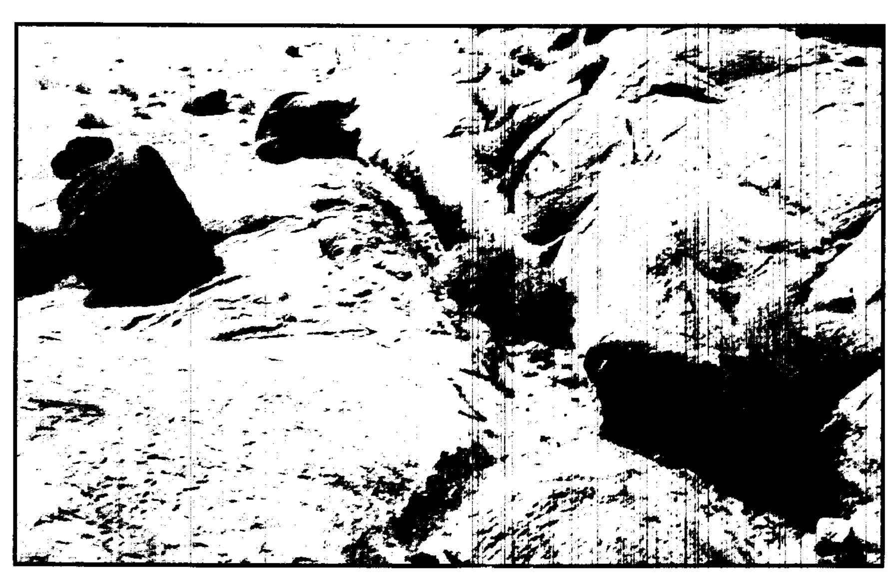
الاصطلاحات
مدينة ، قرية
طريق معبد
منزل ، منعشى
موضع ورد في التحقيق
علم
طريق الحج المصري
وادي
سبخة
بئر
فلجة
عفيف
الصفران
أبرقا حجر
الثورية
أجلة
آبار الغثة
الحفاير
السركية
حسلة
منعشى الزجيجي
الزجيجي
الزبابية
القطبيات
قلوة
وادي الشبرم
وادي العيلة
أبو عرادان
أبرق سيحان
بئر جيلة
سبخة الدفينة
الدفينة

خارطة رقم (٤)

فقلت هذه هي المسافة التي وردت في النص.

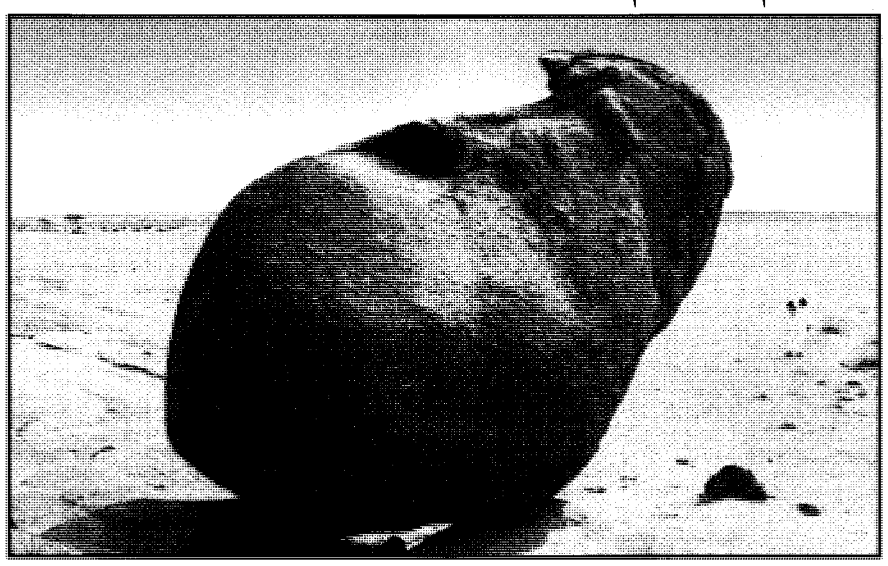
عندما درت حول الهضبة الأولى الموالية لفلجة وجـدت في ناحيتها الجنوبية مايشبه التلعة ينحدر منها الماء عند نزول الأمطـار، ويوجد بين الصخور حيِّز مستطيل يمتد حتى يصل إلى الأرض قد دفنته الرمال ونبتت فيه بعض الشجيرات.

وهذا بـلاشك أحد المـواضع التي تتجمع فيهـا المياه قبل أن تمـلأه الرمال مـع مرور الزمن. والعرب القدماء يحرصون على نظافتها من الأتربة والشوائب الأخرى، أما في زمننا هذا فـالقاطنون حولهـا ليسوا بحاجة إليهـا حيث يجلبون الماء العذب من أمـاكن أخرى وإن نأت. **انظر إلى هذا الحيز من الهضبة الصورة رقم (٣٩).**

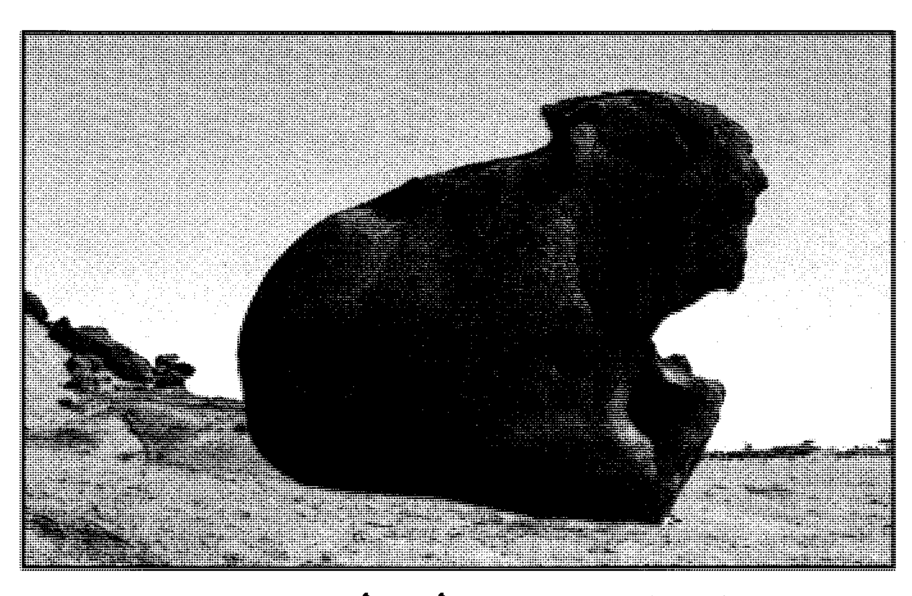


منظر رقم (٣٩) تلعة في الهضبة الجنوبية من هضاب القُطَبِيَّات الموالية لمنزل فلجة ويرى الحيِّز الذي تجتمع فيه مياه السيول.

وانظـر إلى صورة هـذا الحجر الـذي يشبه حيـواناً كأنمـا جاء يستعـذب الماء أيضـاً الصورتين رقم (٤٠) ورقم (٤١).



منظر رقم (٤٠) منظر حجر يشبه حيواناً قد يكون جاء لاستعذاب الماء.

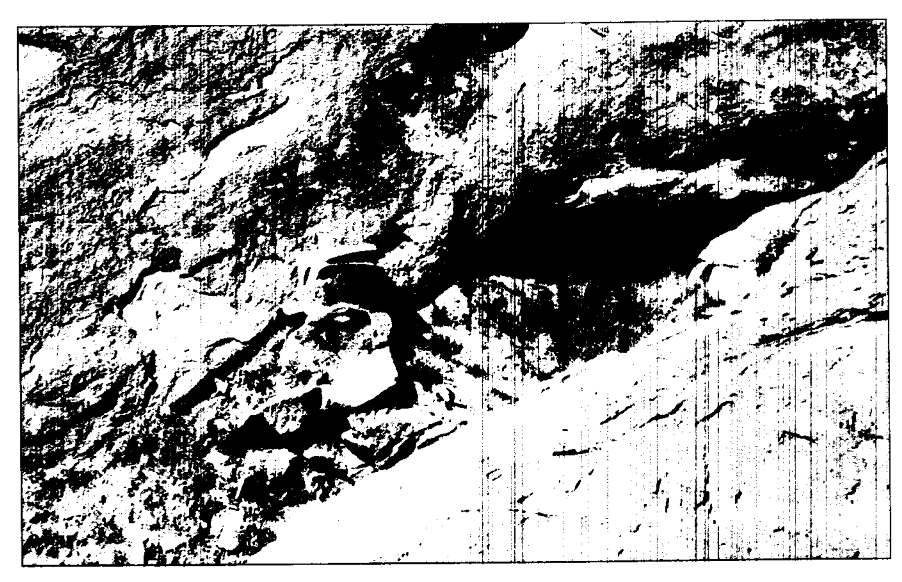


منظر رقم (٤١) الحجر من زاوية أخرى وأترك تشبيهه للقارىء

وبمـا أن «القُطَّبِيَّات» من الأمـاكن التي ورد فيها نصـوص كثيرة منهـا ما ورد في شعـر «عبيد بن الأبرص» ورغـم ذلك أصبح تحديد موقعهـا محل إشكال لدى الباحثين؛ الأمر الـذي جعلني أحرص كثيـراً على الدقـة في تحقيقهـا. لذا لم أكتف بمـا عثرت عليـه في الهضبة الجنـوبية وإنما طفت على جميع الهضـاب المتفرقـة فوجدت في إحـداها وهي من الهضاب الشمـالية الشـرقية مجمعات ميـاه عبارة عن عـدد من الجباوة التي تمسك الماء، وكـذلك «قلتة» كبيـرة بني في وسطها حـاجز للماء مَبْنِيٌّ بـالحجارة المثبتـة بمادة تشبة الإسمنت.

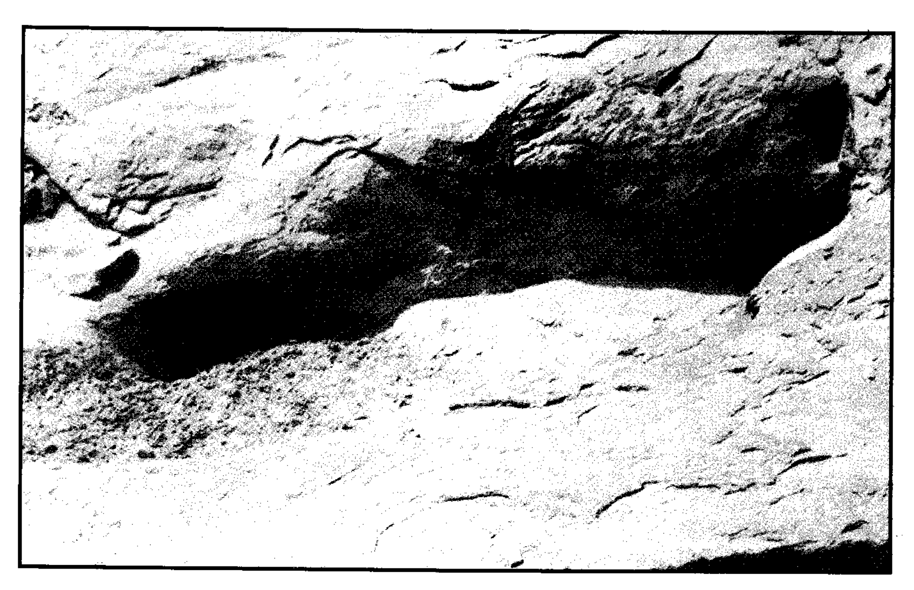
انظر إلى صـورة «القَلْتَة» المنظر رقم (٤٢) وكذا صـور ما يجاورهـا من أماكن تجمع المياه الصورتين رقم (٤٣) ورقم (٤٤).

وجميعها مـوجودة في الصفحـة الشرقية للهضبـة الواقعـة على خط العرض ٥٥ً ٤٠َ ٢٣ْ وخط الطـول ٣٥ً ١٤َ ٤٢ْ. وتبعـد هـذه الهضبة عن «فلجـة» خمسـة أكيـال.

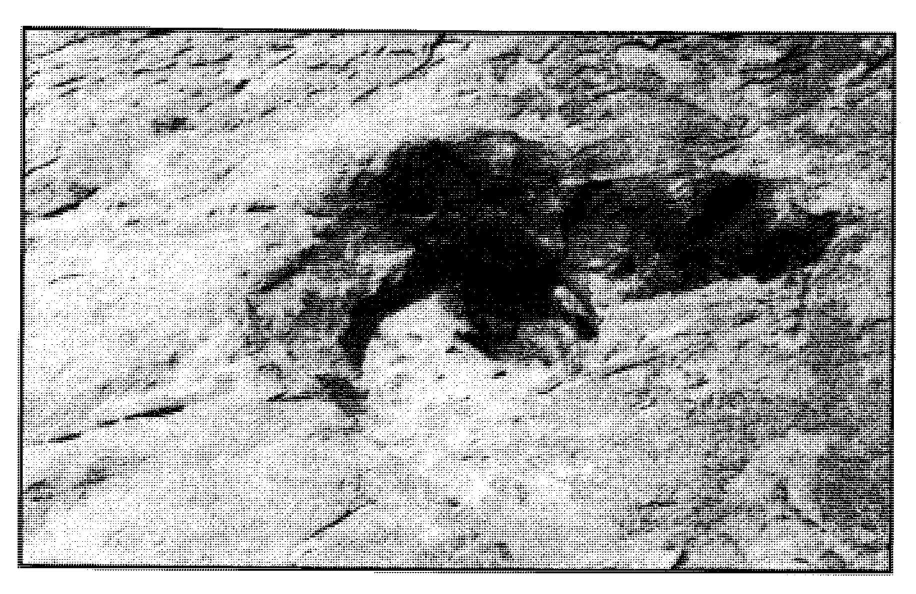


المنظر رقم (٤٢) قلتة كبيرة يتجمع فيها ماء المطر في احدى هضاب القطبيات.

من جهة الشمال الشرقي، وقد حجز الماء بحجارة بنيت بمادة تشبه الإسمنت



منظر رقم (٤٣) لقلتة أخرى في الهضبة نفسها بالقرب من سابقتها وهي مدفونة بالرمل يدل على عمقها هذا الحفر الذي حفره الحيوان للبحث عن الماء.



منظر رقم (٤٤) جبو دفنه الرمل غير بعيد من القلتتين وحوله غيره.

هل هضاب «الدريعوات» هي القطبيّات؟

ذكر أبو إسحاق الحربي أن «فَلْجةَ» يكتنفها المواضع والجبال التي ذكرها عبيد بن الأبرص بقوله:

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

إلى آخر الأبيات المتقدمة.

وبعض المواضع التي ذكرها عبيد لا تبعد عن فلجة كثيراً وهي:

١ـ ملحوب: وهو كما يبدو لي الجبل المسمى حالياً «غددة» واقع جهة الشرق من فلجة على بعد خمسة وأربعين كيلاً.

٢ـ القُطَّبِيَّاتُ: وهي فيما أرى هضاب « الدريعوات» ولا أشك أنها أقرب المواضع والجبال التي ذكرها عبيد إلى فلجة.

٣ـ الذَّنُوبُ: وقد قيل إنه قصد «الذَّنَائب» التي تقع إلى الجنوب الغربي من فلجة غير بعيد منها على بعد عشرين كيلاً تقريباً وهي هضاب مشهورة غنية عن التعريف.

٤ـ جبل حِبِرٍّ واقع إلى جهة مغرب الشمس من فلجة لا يبعد عنها كثيراً.

أما بقية المواضع التي ذكرها عبيد وهي:

راكس، وثعاليات، وفرقين، والقليب. فهذه واقعة إلى جهة الشمال الغربي من فلجة ولكنها تبعد عنها.

ولست هنا بصدد تحقيق هذه المواضع التي ذكرها ابن الأبرص في قصيدته إذ يكفينا ما نحن بصدده، وتحقيقها بدقة يحتاج إلى الإطالة في القول، وقد استغرق مني تحقيق موضع واحد منها وهو « القَلِيبُ» أي هضب القليب زهاء تسعين صفحة من كتابي «الأول» حيث قمت بتحقيق هذا الموضع بشكل دقيق وواضح.

فإذا قلنا إن «القطبيات» هي هضاب «الدريعوات حالياً» فهل يطابق الاسم المسمى؟

لن أبحث عن سبب التسمية الحالية لهذه الهضاب لأنه كما يبدو لي اسم مستحدث.

وإذا قلنا إنها هي هضاب القطبيات قديماً، فما هي الصفة التي تميزت بها هذه الهضاب حتى أطلق عليها العرب قديماً اسم «القطبيات»؟

يقول ياقوت الحموي في رسم «القطبيات» :

(أظنه جمع قطبية، من القطب وهو المزج اسم جبل في شعر عبيد).

وقد حاولت أن أجد علاقة بين المزج والجبل فلم أتوصل إلى شيء مقنع، ومما قاله صاحب لسان العرب حول القطب، والقطبيات:

(القَطْبُ المزج، وذلك الخَلْطُ وكذلك إذا اجتمع القوم وكانوا أضيافاً أي جميعاً مختلط بعضهم ببعض .... ـ وقال :ـ

القُطْبُ والقَطْبُ والقِطْبُ والقُطُب: الحديدة القائمة التي تدور عليها الرَّحى.

وفي التهذيب: القُطْبُ القائم الذي تدور عليه الرحى، فلم يذكر الحديدة.

وفي الصحاح: قُطْبُ الرحى التي تدور حولها العُلْيا.

وفي حديث فاطمة رضي الله عنها: وفي يدها أَثر قُطْبِ الرَّحى؛ قال ابن الأثير: هي الحديدة المركبة في وسط حجر الرحى السفلى، والجمع أقطاب وقطوب...

ابن سيده: القُطْبَة نَصْلٌ قصير مربع في طرف سهم يُغْلى به في الأهداف قال أبو حنيفة وهو من المرامي. قال ثعلب: هو طرف السهم الذي يرمى به في الغرض ...

والقُطبية: ماء بعينه؛ فأما قول عَبيد في الشعر الذي كَسَّرَ بعضه:

أقفر من أهله ملحوب — فالقطبيات فالذنوب

إنما أراد القُطبية هذا الماء فجمعه بما حوله.) انتهى قوله.

قد يقول قائل: لم نكد نخلص من أقوال البلدانيين وخلافاتهم حتى نخوض في تداخلات أقوال علماء اللغة وهذا مما يزيد الطين بلّة.

فأجيبه: إننا أمام مواضع أشكلت على علماء البلدان قديماً وحديثاً فتضاربت الآراء حول تحديد أماكنها، ومادمنا لم نحصل من أقوال البلدانيين بنتيجة واضحة تحدد لنا «القُطَّبِيَّات» فليس لنا مندوحة من غربلة النصوص سواء تلك التي أوردها المؤرخون أو هذه التي قالها علماء اللغة. فقد نستخلص من تلك الأقوال ما يرشدنا إلى مانبتغيه.

١ـ قيل إن من معاني القَطْب: المزج، والخلط، والاجتماع.

فإذا قلنا إن «القطبيات» سميت بهذا الاسم لأنها هضاب مجتمعة وقد اختلط بعضها ببعض فقد يكون هذا تعليلاً مقبولاً، وعلى هذا تكون القطبيات ليست جبلاً واحداً كما قال ياقوت وإنما هي عدة جبال.

٢ـ أما إذا قلنا إن تلك الهضاب شبهت بالسهام التي زودت رؤوسها بنصل «القُطْبِية».

فمعنى ذلك أنهم شبهوها بالسهام لأن رؤوسها مستدقة، وهذا أيضاً معنى مقبول.

٣ـ ولكن أقرب من ذا وذاك أنهم شبهوا الواحدة من هذه الهضاب بقطب الرحى لانتصابها وشخوصها.

وقد اختلف علماء اللغة حول تعريف قطب الرحى؛ فقال بعضهم: إنه القائم الذي تدور عليه الرحى سواء حديدة أو غير ذلك.

وأصح من هذا التعريف من قال: إنه العود المثبت في الحجر الأعلى من طبقتي الرحى، وهو عود من الخشب تمسك به المرأة فتدير به الرحى.

وهذا القطب هو الذي أثر في يد فاطمة رضي الله عنها من كثرة الطحن فجاءت إلى أبيها عليه الصلاة والسلام تطلب خادماً.

وقد كنا قبل قرابة أربعين عاماً نشاهد الرحى في كثير من البيوت قبل أن تتوفر المطاحن الآلية.

وأجزاء الرحى معروفة عند الناس لم تتغير وهي:

١ـ المنخاس: وهو القائم الذي تركب عليه طبقة الرحى السفلى.

٢ـ البكرة: وهي قطعة من خشب مثقوبة الوسط تثبت في وسط الشق الموجود في الطبقة العليا ليدخل المنخاس فيها ليسهل دوران الرحى، ويوزن طوله أو قصره حسب الحاجة.

٣ـ قطب الرحى: وهو عود مثبت في حافة الطبقة العليا وهو الذي تمسك به المرأة لتدير به الرحى. وهذا هو القطب الذي أثر في يد فاطمة الزهراء.

وهناك مثل يقول: (مَنْ مَسك قُطْب الرَّحى دَقَّ) وعليك شرح هذا المثل!

ولعلنا بذلك دققنا البحث عن معنى «القطب» لنصل بالتالي إلى سبب تسمية هضابنا بالقطبيات.

ولا أستبعد أن يكون مسماها مأخوذا من هذا المعنى، فهي بالفعل هضاب متقاربة حول بعضها ترى رؤوسها شاخصة من بعد. ولذا أقول:

إن «القطبيات» هي تلك الهضاب الواقعة شمالاً غربياً من بلدة «الخضارة» على بعد خمسة عشر كيلاً تقريباً بالقرب من منزل «فلجة» وشمالاً شرقياً من هضاب «الذنائب» المشهورة غير بعيد منها.

الزجيج

الزُّجَيْج : هو المتعشى بين منزلي «فلجـة» و «الدفينة» وهو لايبعـد أكثر من أربعة عشر كيلاً من فلجة.

لقـد زرت المنطقـة التي قيل إن الـزجيج يقـع فيهـا غير مـرة مع بعض الإخـوان، وقـد تحريت عنـه ولكن البحث عنـه لم يسفـر عن نتيجة، ويعـود سبب ذلك إلى عـدم تحديـده بـدقة من قبل علماء البلـدان قـديماً وحديثـاً. يضـاف إلى ذلك تـداخل النصوص الـواردة بشأنه وعدم وضوحها.

لـذا قـررت في رحلتي التي خصصتها لتحقيـق «أبرقي حُجْـر» و «القطبيـات» أن أتتبع أعلام الطريق لعلي أعثر على الزجيج.

وتمهيـداً للعثور عليـه قمت بحصر النصوص التـي تكلمت عنه. وإليك مـا تمكنت من جمعه منها:

النصوص والتعليق عليها:

أولاً: قال ياقوت الحموي:

(الزُّج: بضم أوله، وتشديد ثانيه، بلفظ الرمح: موضع ذكره المرقش...

وقـال نصر: زُجّ لاوة، مـوضع نجـدي؛ وفي المغـازي: بعث رسـول الله ﷺ، الأصيـد بن سلمـة بن قـرط مع الضحـاك بن سفيـان بـن عـوف بن كعب بن أبي بكـر بن كـلاب إلى القرطـاء، وهم: قُرْط وقَريط وقُـرَيط بنو عبد بن أبي بكـر بن كلاب، ولهم يقول معـاوية بن مالك بن جعفر:

تُفَـاخِـرُني بكثـرتها قُـرَيْطٌ وقتلك والـدم الخَجَل الصُّقُـور

يدعوهم إلى الإسـلام فأبوا، فقاتلوهم فهـزموهم فلحق الأصيد أباه سلمـة على فرس له إلى غدير بزُجّ بناحية ضرية، وذكر القصة.

والزج أيضاً: ماء يذكر مع لواثة أقطعه رسول الله ﷺ العَدَّاء بن خالد من بني ربيعة بن عامر.

زُجَيْجٌ: منقول عن لفظ تصغير الزُّج للرمح: منزل للحاج بين البصرة ومكة قرب سُواج؛ عن نصر؛ وقرأته في قول عدي بن الرقاع:

أَطَرِبْتَ أم رُفِعَتْ لعينك غُدْوَةً بين المكيمن والزُّجيج حُمُولُ[1]

التعليق على هذا النص:

استفدنا من هذا النص أن الزجيج تصغير الزُّج للرمح، وأنه منزل للحاج قرب سُواج حسبما رواه ياقوت عن نصر.

أما زُجُّ لاوة: بالتكبير فلم يزد نَصْرٌ عن قوله: إنه موضع نجدي.

ويبدو لي أنه الزُّج الذي لحق الأصيد أباه سلمة عنده، وهو بناحية «ضَرِيَّة» وضرية بعيدة عن المكان الذي نبحث فيه عن الزجيج؛ يضاف إلى ذلك أن ما نبحث عنه مُصَغَّر من هذا اللفظ.

أما الزُّجيج الذي اقترن ذكره مع «المكيمن» فمعروف أن المكيمن تصغير مكمن يقال له مكيمن الجَمَّا في عقيق المدينة.

فلهذا يبقى لدينا من هذه الأزجة «الزجيج» الواقع على طريق الحج البصري قرب «سُوَاج».

وكما تعددت المواضع المسماة بالزجيج تعددت المواضع التي تسمى سُوَاجاً وهي:

١ـ سواج الخيل، وقد ينسب إلى طخفة، وهو واقع بين منزل «إمرَة» و «طخفة» والمتعشى بين هذين المنزلين واقع عند طرف سواج الجنوبي ويسمى «الرَّائغة».

٢ـ سواج المردمة: وقد يسمى «سواج اللَّعْبَاء» وهذا واقع شرقي مدينة عفيف، وغرب جبل « النِّير».

---

(١)معجم البلدان: ص٣/ ١٣٣.

٣ـ سواج الواقع قرب الزجيج وسأتكلم عنه لاحقاً.

وقد ورد في هـذا النص بيت الشعر الذي قالـه معاوية بن مالك بن جعفـر الذي أورد ياقوت عجزه هكذا (وقَتْلَكَ وَالَّدم الخجل الصقور) وهذا كلام لا معنى له.

وصحة هذا البيت ماأورده الكلبي ونصه:

تفـاخـرنـي بكثـرتهـا قُـرَيْطٌ وقَبْلَك وَالَـدَ الْحَجَـلَ الصُّقُـورُ[1].

ثانياً: قال أبو إسحاق الحربي:

(وعلى سبعـة أميـال من فلجة مـوضع يقـال لـه سـواج والزجيج. الـزجيج: عن عبـد الحميد بن أبي يزيد قال: لما كان زمن يزيد بن المهلب خرجنا إلى مكة فمررنا بماء يقال له الزجيج، فقالوا:

ها هنا رجل رأى النبي ﷺ فأتيناه فقلنا : رأيت رسول الله ﷺ ؟

قال نعم، وكتب لي بهذا الماء كتاباً، قال: قلنا: مااسمك؟ قال: العداء بن خالد بن هوذة.

والزجيج فيما أخبرني ابن جميع عن علي بن محمـد عن أبيه ـ جبل رأسه محدد، كأن رأسه زج وفيه يقول الشعراء:

وقـربنـا الأعنـة سلهبـات فأوردنـا زجيجـاً أو سواجـاً ...[2])

وجاء في أرجوزة الطريق:

الزجيج متعشى

حتى مضـوا ونـزلـوا بـالـزُّج عن الـوجـوه عمـدوا للحج ...[3])

ثالثاً: قال الشيخ حمد الجاسر وهو يعلق على الأقوال الواردة حول الزج والزجيج وما وقع فيها من تصحيف واضطراب:

---

(١) جمهرة النسب: ص ٣٤٣.

(٢) المناسك: ص ٥٩٨.

(٣) المناسك: ص ٦٣٥.

(ومنشأ هـذا الاضطراب، وقوع التصحيـف في صورة الاسم. ولكن كتـابنا هذا ــ يعني «المناسك» - أوضح الإسم بما لايدع للاختلاف سبيلاً حيث ذكر اشتقاقه[1]).

رابعاً: من المواضع التي اقترن ذكـرهـا مع الـزجيج الموضع المسمى «سـواجاً» فماذا قـالـوا عنه:

في نص تقدم ذكر ياقوت الحموي: أن الزجيج منزل للحاج قرب سواج.

وقال في رسم «سواج»:

(... وسواج: موضع على طريق الحاج من البصرة بين فلجة والزجيج.)

ومثل هذا القول أورده في كتابة «المشترك وضعاً والمفترق صقعاً».

وقد قـربه لنا أبـو إسحاق الحربي أكثر حينما قـال: (وعلى سبعة أميال من فلجـة موضع يقال له سواج والزجيج.)

ممـا تقـدم تعـرفنـا على المكـان التقـريبي للـزجيج وسـواج، وكـذا صفـة الـزجيج ومن المؤشرات التي تدلنا عليهما:

١ـ أنهما قبلة منزل «فلجة» على بعد سبعة أميال أي: مايقارب أربعة عشر كيلاً.

٢ـ قيل عن الزجيج: إنه جبل رأسه محدد يشبه الزّج.

٣ـ وقيل عن سواج: إنه موضع، وقيل ماء.

المسير إلى الزجيج:

في رحلة سابقـة عندما سرنا من منزل فلجـة باتجاه الدفينة وحاذينا هضـاب «الذنائب» من جهتهـا الشمـاليـة، وصلنـا إلى هضبة منفـردة فقلت: لعل هـذه الهضبـة هي «الـزجيج» وعندما سألنا عنها قيل: إن اسمها «أم الصُّقور».

وهي تبعـد عن فلجـة اثني عشر كيـلاً ونصف الكيل وهي مسـافـة تقل كيـلاً واحـداً

---

(١) كتاب المناسك: هامش صفحة ٥٩٩.

ونصف الكيل عن المكان المحدد للزجيج الأمر الذي جعلني أتردد في إطلاق مسمى الزجيج عليها. يضاف إلى ذلك أنها هضبة عادية كغيرها من الهضاب، وقد سماها لنا أحدهم « أم رقيبة».

وقد شاهدنا هضبة تقع إلى اليسار قليلاً، وبعد التطلع اليها بالمنظار المقرب لفت نظري رأسها المحدد. فاتجهنا إليها.

إنها بالفعل هضبة ليست كالهضاب الاخرى لوجود صخور ناتئة في أعلاها مكونة شكلاً ملفتاً للنظر، وخاصة الحجر الكبير المرتكز فوق قمتها.

قيل لنا إن اسم هذه الهضبة «الذُّنَيِّبَة» وهي واقعة على شاطيء وادي «الذُّنَيِّبَة» الغربي وبسؤال شخص آخر قال: إن اسمها هضبة «أم رُدَيْهة» لوجود ردهة يجتمع فيها ماء المطر.

وهذه الهضبة تبعد عن «فلجة» واحداً وعشرين كيلاً؛ تقع على خط العرض ٤٩ً ٢٩َ ٢٣ْ وسط الطول ٢٢ً ١٢َ ٤٢ْ.

لقد سألنا من صادفناهم في المكان عَمَّا إذا كان يوجد في هذا الوادي مورد ماء قديم فدلونا على بئر على شاطىء الوادي الشرقي اسمها «الذُّنَيِّبَة» أيضاً.

وتبعد هذه البئر عن فلجة ثمانية عشر كيلاً، وهي مائلة عن الطريق. كما دلنا رجل مُسِنٌّ يسكن حول المكان على عدد من الآبار القديمة المدفونة وهي متجاورة تقع في شعيب صدعان على خط العرض ٢٧ً ٣٣َ ٢٣ْ وخط الطول ٢٥ً ١٢َ ٤٢ْ

وقال الرجل: إنه لا يعرف عن هذه الآبار شيئاً رغم كبر سنه إلا كونها آبار قديمة مطمورة. وهذه الآبار قريبة من مسار الطريق ولا أستبعد أن تكون هي آبار مورد الزجيج قديماً الذي قال عنه الشاعر:

وقـربنا الأعنة سلهبات ... فأوردنا زجيجاً أو سواجا

أما المنـزل نفسه فهـو بالقرب من الأعـلام الواقعة على بعـد أربعة عشر كيـلاً من فلجة لأنني لا أحبذ الخروج عن تحديد النص الوارد.

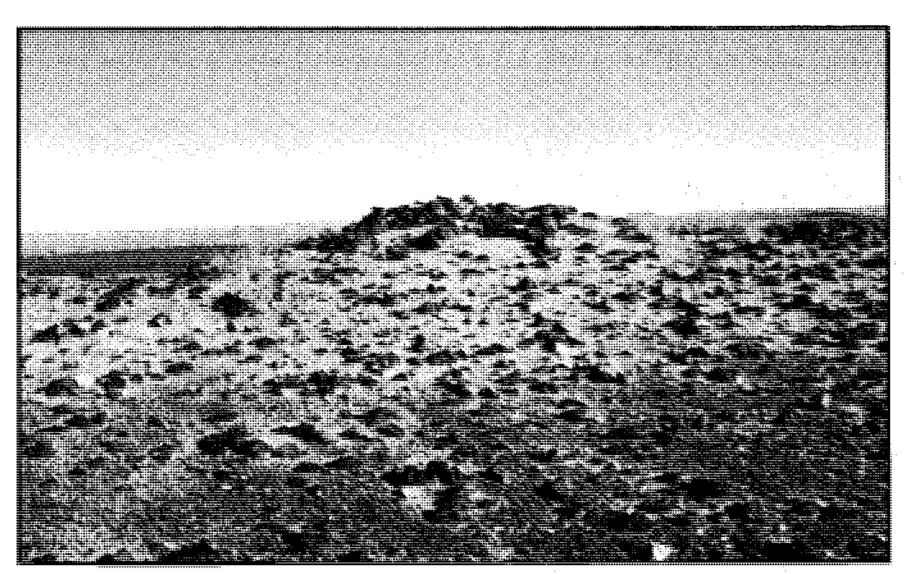
الـواقع أنني احترت كثيراً في معـرفة هـذا المتعشى، ولم يبق في كنـانتي من سهم أوجهـه لتحديده إلا البحث عنه عن طريق تتبع أعلام طريق الحج القديم.

وقـد تسنى لي تتبـع تلك الأعـلام في الـزيـارة التي قمت بها منفـرداً حيـث تـريثت في محاولـة العثـور على أعـلام الطـريق بكل صبر وأنـاة رغم مـا في الطـريق من العـوائق الطبيعية.

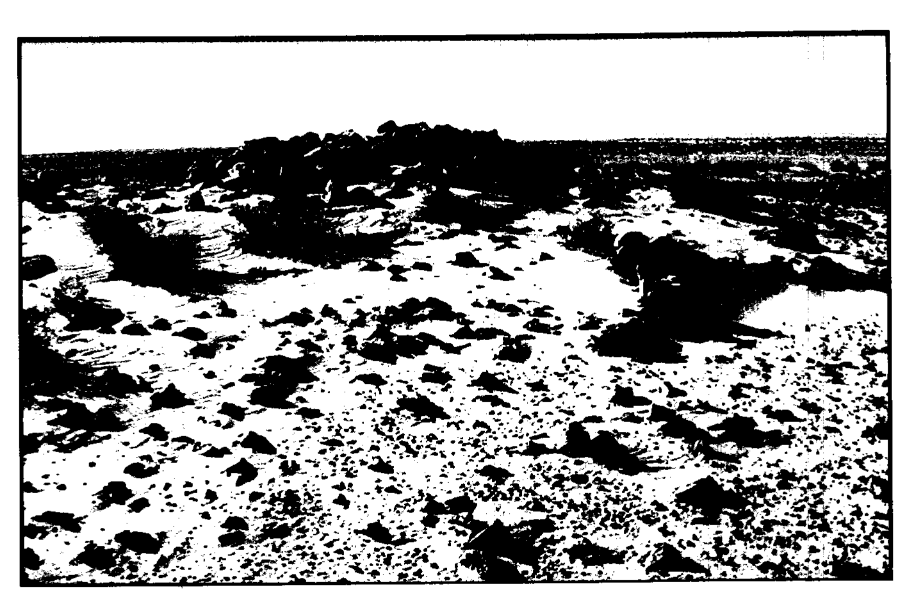
وقـد عثرت على أول علم من الأعـلام بعـد فلجة، وهـذا العلم واقع على خط العـرض ٢٨ً ٣٤َ ٢٣ْ وخط الطول ٣٠ً ١١َ ٤٢ْ.

ثم عثـرت على علم آخر يقـع على خط العرض ٠٩ً ٣١َ ٢٣ْ وخط الطـول ٣٠ً ٠٨َ ٤٢ْ.

انظر إلى هذين العلمين الصورتين رقم (٤٥) ورقم (٤٦).



المنظر رقم (٤٥) أحد أعلام الطريق قرب متعشى الزجيج بعد منزل فلجة



المنظر رقم (٤٦) علم آخر يقع قبلة من سابقه، حوله مصلى وتكثر المصليات عند الأعلام

كـان لي وقفة عنـد الأول منهما لأنه واقع على بعـد أربعة عشر كيـلاً من منزل «فلجـة»، وهـذه المسـافـة تعـادل سبعـة أميـال كما ذكـر الحربي ــ رحمه الله ـــ مما يعني أن متعشى الزجيج عند هـذا العلم الذي وضع على مرتفع ليرى من بعد، وقد رأيته من مسـافة بعيدة، فكيف به قبل أن يتهدم مع مرور الزمن !

لقـد تسـاءلت؛ إذا كان هـذا هـو متعشى الـزجيج، فأين الـزجيج المنسوب إليـه هـذا الموضع؟ يبـدو لي أن الـزجيج يحمل هـذا الاسم قبـل أن يمـر بـه الطـريق البصري فأطلق الاسم على ماحوله.

وعندما حدد مكان هذا المتعشى سمي باسم أشهر علم بالقرب منه.

قيل عن الـزجيج: إنه جبل رأسـه محدد. وبالنظـر إلى الهضاب القـريبة من هـذا المكان شاهـدت إلى الجنوب منه هضبـة «أم الصقور» الواقعة شمال غـرب «الذنائب» وهي قـريبة من الموقع. وإلى جهـة الجنـوب الغـربي شاهـدت رأس الهضبـة المسماة حـالياً «الـذُّنيبَـة» أو «أم رديهة» وتبعد عن المكان أكثر من أم الصقور.

وقد رجحت أن إحدى هاتين الهضبتين هي ما يسمى قديماً «الزجيج».

ولكن قبل أن نـرشح إحداهما دعونـا أولاً نعرف مـاذا تعني كلمة «الـزجيج» عند علماء اللغة ليكون ترشيحنا مبنيّاً على أساس من لغة العرب.

معنى الزجيج:

قال ياقوت في رسم «زِجَاج»:

(... كأنه جمع زُجّ الرمح، وهو الحديدة التي في أسفل الرمح).

وقال صاحب كتاب «تاج العروس»:

(الـزُّجُّ: زُجُّ الـرُّمح والسهـم. قـال ابن سِيـدة: الـزُّجُّ: الحديـدة التـي تُـرَكَّبُ في أسفل الرمح، والسنـان يركب عاليتـه. والزج يركـز به الرمح في الأرض، والسنـان يطعن فيه ..[1])

وأقوال علماء اللغة حول معاني الزُّج كثيرة هذا أظهرها.

ولكن جميع مــاقــالــوه لايعطينـا الحق في إطــلاق مسمى الــزجيج على هضبــة «أم الصقور» القريبة من الموقع حيث أن شكلها بعيد من هذا المعنى.

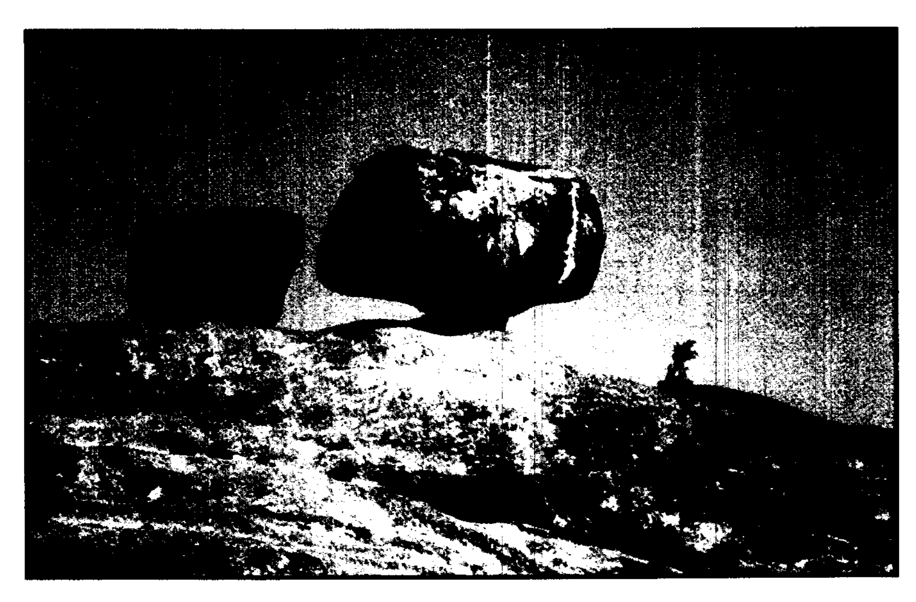
وأجد وصف «الزجيج» ينطبق على الهضبة المسماة «أم رُدَيهَة» بالتصغير.

لأن الحجـر الكبير المرتكز على قمتهـا يشكل مايشبـه الحربـة، وهو مـرتكز على حجـر دائري الشكل ينـدر أن يشاهـد مثله في الهضـاب الأخرى، ولعل هـذا هو سبب تسميتهـا قديماً بالزجيج ثم نسب اليه الموضع القريب منه، فسمي هذا المتعشى بالزجيج.

انظر إلى الهضبة والزجيج فوقها الصورتين رقم (٤٧) ورقم (٤٨).

---

(١) تاج العروس: ص ٦/٦ (كويت).



صورة رقم (٤٧) أعلى هضبة «أم رُدَيْهة» من الغرب (الزجيج قديماً) كما أرى



صورة رقم (٤٨) أعلى «أم رديهة» من الشرق، وقد يكون هذا الحجر شبه بالزُّج

سُوَاج:

اقترن ذكر سواج مع الزجيج، وقد حدده لنا ياقوت الحموي في معجمه، وكذا في كتابه المشترك وضعاً بقوله: إنه واقع بين فلجة والزجيج.

ولم أجد في المواضع بينهما سوى مجاري أودية رغيبة تكثر فيها الأشجار. لذا فإنه ليس من المستبعد أنه كان يطلق على مجاري تلك الأودية، أما مورد ماء سواج فلي مندوحة من الاجتهاد فيه تقيداً بالنص الوارد بشأن تحديد سواج.

لقد أطلنا الوقوف حول هضاب «القطبيات» و «الذنائب» ولكن من يمر بهذه الناحية تشده روعة مناظر هذه الهضاب وما حولها فالتجول بينها يبعث في النفس الارتياح ويبدد عنها عناء السير المتواصل.

إنها أماكن تاريخية ومَنْ منا لا يتذكر ما وقع من أحداث حول هضاب الذنائب فعلى غديرها قتل «كُلَيْبٌ» فكان قتله بداية لأحداث دامية استمرت أربعين عاماً وذكر أخوه «مهلهل» الذنائب بقوله:

فإن يك بالذنائب طال ليلي ... فقد أبكي من الليل القصير.

منزل الدفينة

من متعشى الـزجيج واصلت المسير بـاتجاه «الـدفينـة» وعلى بعد أربعـة وعشرين كيـلاً ونصف الكيل عثـرت على علم كبير من أعـلام الطريق، وهـو واقع على خط العـرض ٢٩ ٢٣ ٢٩ وخط الطول ٠٩ ٠٧ ٤٢.

وقبل أن أصل الـدفينة بأربعـة أكيال وجـدت علماً آخر في مكان مـرتفع يرى مـن بعد يقع على خط العرض ٠٩ ٢٠ ٢٣ وخط الطول ٢٧ ٥٩ ٤١.

انظر إلى صورة هذا العلم رقم (٤٩).



منظر رقم (٤٩) أحد الأعلام الواضحة يقع قبل «الدفينة بأربعة أكيال، والأعلام هناك متتابعة

لن نتـوقف في هـذا المنـزل من منـازل الطـريق لأنـه من المنـازل التي لم يطـرأ على أسمائها تغيير، وقـد أصبحت «الـدفينـة» بلـدة، وكـانت من الاستراحـات القـائمـة على الطـريق القـديم بين الـريـاض والحجـاز قبل أن يزفت الطريـق الذي تـركهـا عنـه شمالاً بالنسبة للذاهب إلى مكة.

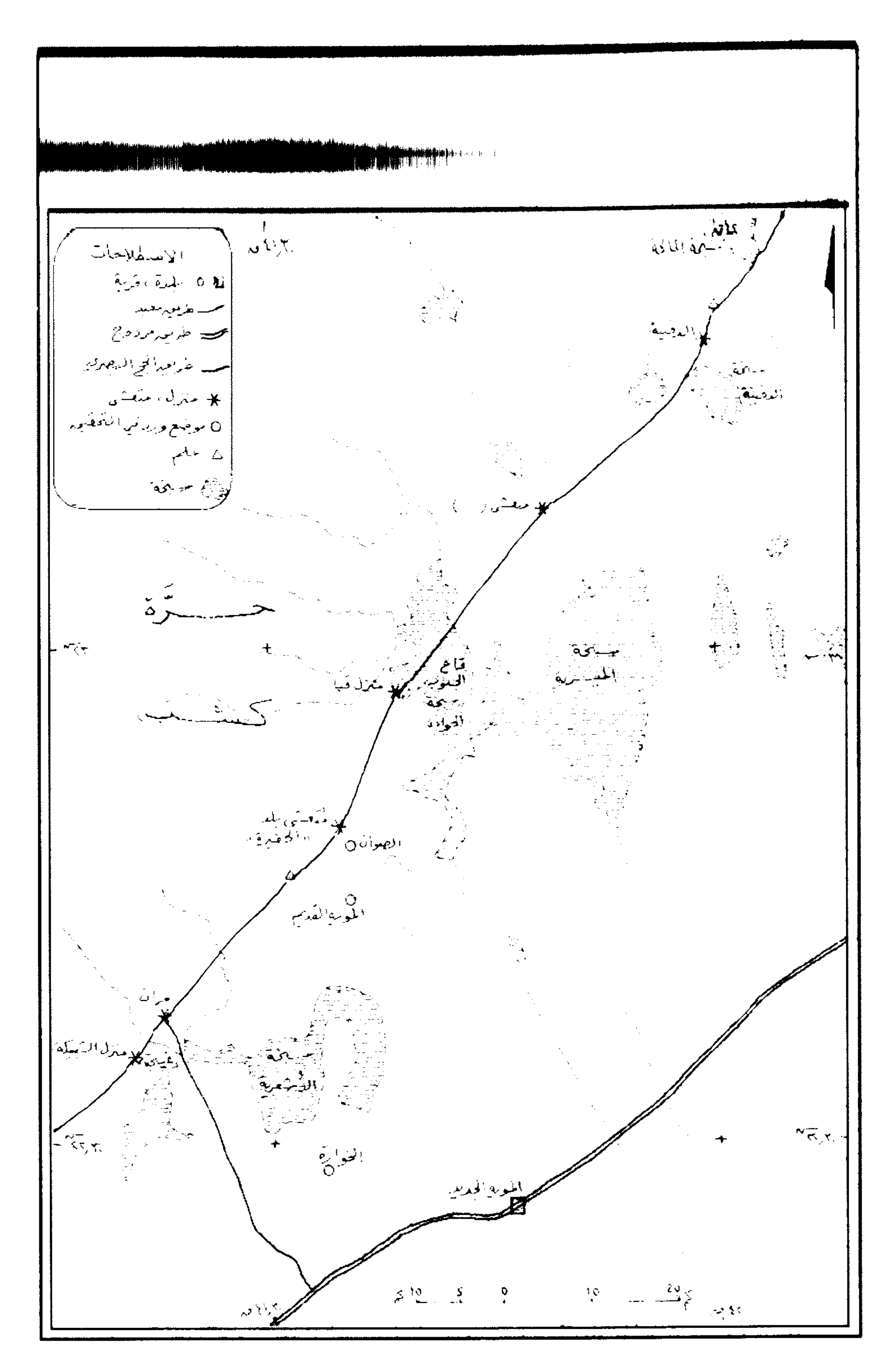
والدفينة وقد تسمى «الدثينة» بإبدال الفاء ثاء؛ من الموارد المشهورة في الجاهلية والإسلام.

المتعشى بعد الدفينة:

لم أقـرأ لأحد من علماء البلـدان والمؤرخين قـديماً وحديثـاً مَنْ ذكـر متعشى بين الدفينـة ومنـزل «قبـاء» وقـد ذكـرت هـذا لـلأخ عبـد العـزيـز الشـائع ونحن في مجال الحديث عن منـازل الطـريق في هـذه الناحيـة حيث أبـديت لـه تعجبي من هـذه المرحلـة من مـراحل الطريق التي لم يذكر فيها متعشى.

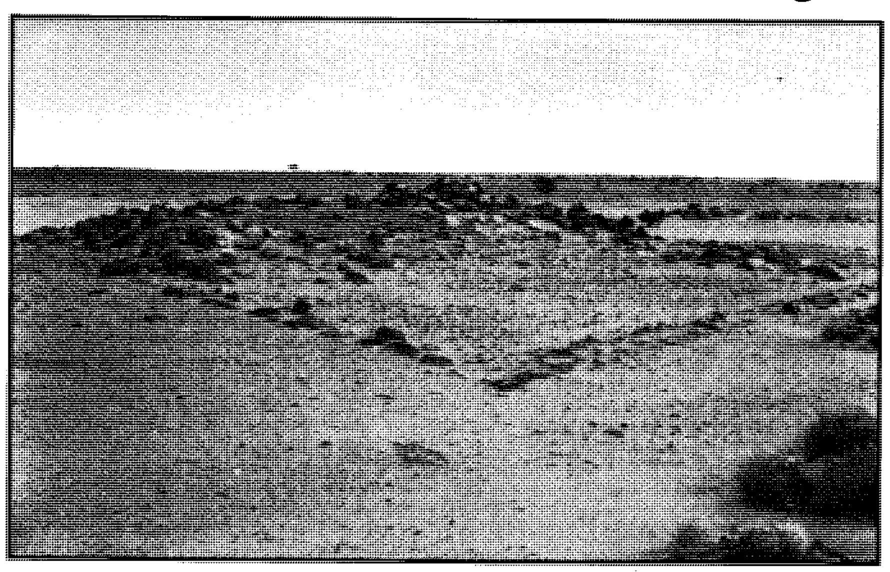
فأفادني أن أحـد سكان هـذه الجهة ذكر لـه بأن هناك محل آثار واقعـاً بين الدفينـة وقباء ويسمى المكـان «البُرَيْكـة». فقلت إذاً هـذا هــو المتعشى بعـد الـدفينــة. وفي رحلـة إلى «المُوَيْه القـديم» كان يـرافقني فيها الأخ سعـد الماضي مررنا على منـزل «الدفينـة» سالكين طريق الحاج القديم، وعنـدما حاذينا جبيل « المُرَيْبيخ» سألنـا بعض من يقطنون هناك من الباديـة عن «البريكة» وقليل هم الـذين يعرفـونها، ولكن أحد كبار السن أفـادنا أنهاقـريبة منهم وأنهاواقعـة على الطـريق القـديم للحــاج، وقـد رافقنـا مشكــوراً حتى أوقفنـا على المكان.

وقـد وجدنـا فيه عـدداً من المباني الحجـرية المتهـدمة؛ أمـا البركة فلم يبق لها أي أثـر فقـد انطمرت مع مـرور الـزمن، وهذه الآثـار واقعـة في واد يسمى «المَمْلوُهَـة» على خط العـرض ٢٥ْ ٠٨َ ٢٣ً وخـط الطـول ٤١ْ ٤٨َ ١٩ً وهــذا المتعشى يقع في المنتصف تمامـاً بين منـزلي الـدفينـة وقبـا؛حيث يبعـد عن الـدفينـة ستـة وعشرين كيـلاً ونصف الكيل، وعن «قُبَـا» البعد نفسـه بـدون زيادة أو نقصـان !! **انظـر إلى مكانـه على الخارطة رقم (٥).**



خارطة رقم (٥)

ولاشك عندي بأن هـذا الموضع هو المتعشى بين هـذين المنزلين و إن لم يرد لـه ذكر في المراجع القديمة مما قرأت. **انظر إلى صورة أحد أطلال هذا المنزل رقم (٥٠).**



المنظر رقم (٥٠) أطلال مايبدو أنه قصر في المتعشى بين منزلي الدفينة وقبا

كان الـوقت عصراً وقد بقي من المسافـة حتى نصل « المويه القـديم» خمسين كيلاً، والجو ملبـد بالغيوم الممطـرة باتجاه القبلـة فخشينا من مغبـة مواصلة السيـر مع الطريق لأنه يمر عبر سبخة واسعة تجتمع فيها مياه السيول.

فقررنـا الاتجاه جنوباً حيـث سرنا بمحاذاة هـذه القيعان حتى وصلنا الطـريق المزفت طريق (الرياض - الطائف) ومن بلدة المحازة ـ المويه الجديد ـ اتجهنا شمالاً قاصدين (المويه القـديم) حيث وصلناه بعد العشاء وكـان الجو ممطراً فحمدنـا الله على السلامة من وحل القيعـان والسباخ، وصـدق من قال:(عَلَيْكَ بِسَهْلِ الـدُّرُوبِ ولَوْطَـالَتْ) وأكمل المثل. كان الغـرض من هذه الـرحلة هو الـوقوف على المتعشى بين الـدفينة وقبـا ، وكـذا زيـارة منزل « قبـا » حيث لم أزره من قبل، وكـذا البحث عن المتعشى الـواقع بينـه وبين «مَرَّان» واسمه «بَلَد».

عندما وصلنا المويه القديم وجدنا الأخ عبد العزيز بن صالح الشائع مع بعض الإخوان حيث كنا على موعد معهم، وقد قدموا من مدينة الطائف في رحلة إلى هذه البلدة المهجورة لاستعادة البعض منهم ذكريات الطفولة، وقد اتخذوا من مبنى المطار مقراً للمبيت، وهو مبنى مسلح جيد البنيان، ولكنه بدون أبواب حيث نزعت مع الشبابيك بعد الرحيل عن البلدة إلى «المويه الجديد».

في صباح اليوم التالي كان لنا جولة على أطلال تلك البلدة المهجورة التي كانت في زمن قريب تعج بساكنيهاوبمن يمر بها من سالكي الطريق حيث كانت إحدى المحطات الهامة في الطريق الترابي بين الرياض والحجاز، وأشهر تلك الأطلال هو «قصر المويه».

إن هذا القصر عبارة عن قلعة واسعة الأرجاء مبنية بالحجارة المهذبة وتمت عمارته على أحسن طراز مما يجعل المرء يقف مشدوهاً أمام تلك الآزاج البديعة.

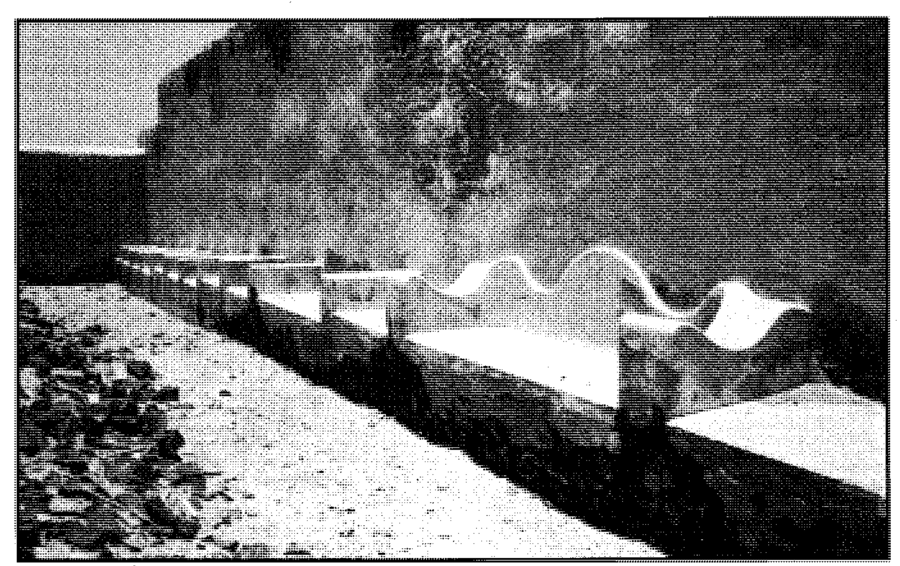
لقد تجولت في جميع أرجاء هذا القصر حيث لم أدخله من قبل.

عندما وقفنا على أطلال البلدة القديمة الواقعة بجوار القصر سمعت أحد الإخوان يقول:

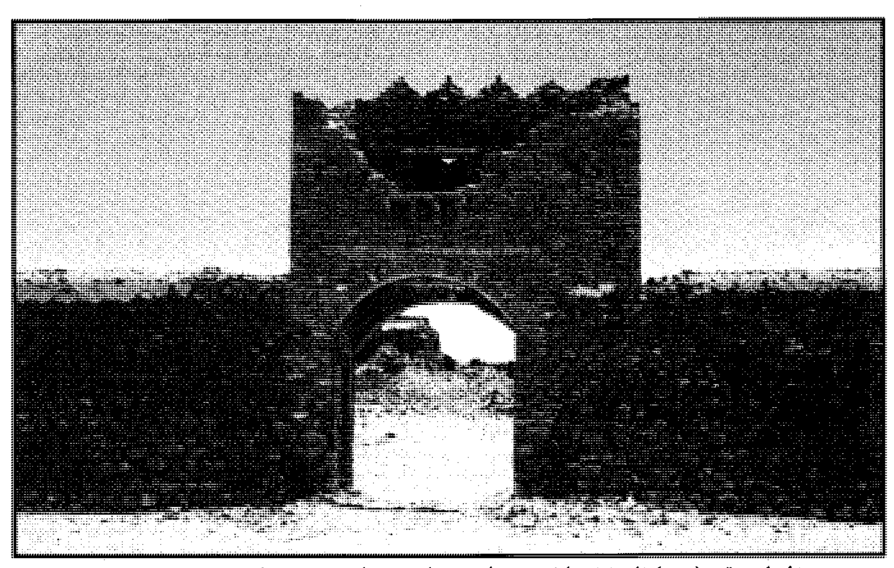
ـ وهو من عاش طفولته فيها ـ: هذه الغرفة التي كنت أنام فيها، ويعدد بيوت الجيران كان يحملق كالمشدوه لما آلت إليه مرابع صباه، وكنت أكثر منه دهشة وتألماً لما آل إليه هذا القصر بل القلعة الحصينة من إهمال وخراب مع ماكانت تحمله من ذكريات عندما كنا نمر بهذه المحطة من محطات الطريق القديم.

وقد تألمت أكثر عندما دخلت المجلس الفسيح الذي كان يجلس فيه الملك عبد العزيز تغمده الله بواسع رحمته عندما يمر بهذه المحطةوهو في طريقه إلى مكة المكرمة يستقبل فيه الوافدين للسلام عليه. كانت الكراسي الثابتة المبنية بالحجارة والمطلية بالجص مازالت عامرة وبحالة جيدة **انظر إلى صورتها رقم (٥١)**.

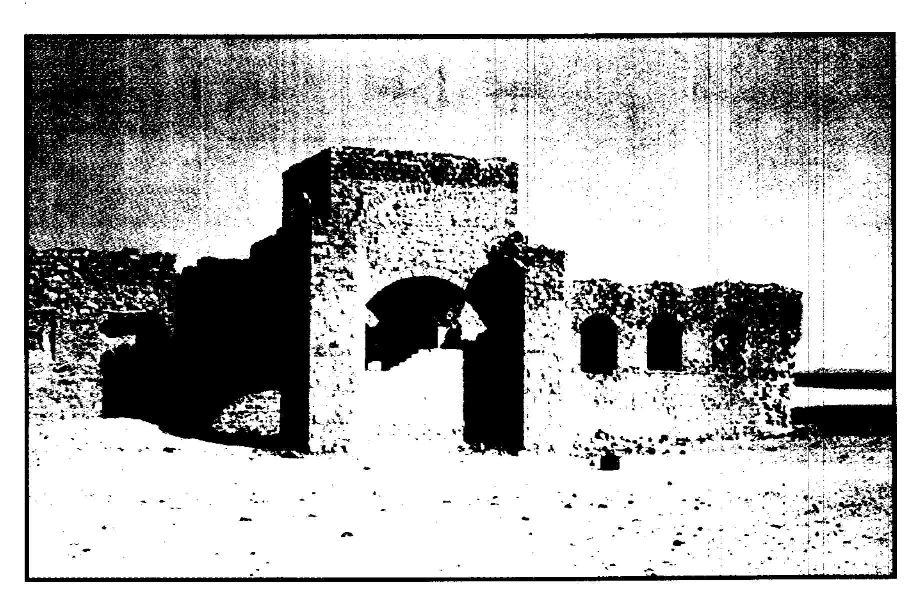
وانظر إلى صورتي القصر من الخارج المنظرين رقم (٥٢) ورقم (٥٣).



منظر رقم (٥١) جانب من المجلس الكبير في «قصر المويه» وترى الكراسي المطلية بالجص التي كان يجلس عليها الملك عبد العزيز «يرحمه الله» عند مروره في طريقه إلى مكة المكرمة



المنظر رقم (٥٢) البوابة الخارجية الغربية لقصر المويه ويبدو للناظر متانة البناء مع جماله وروعته.



صورة رقم (٥٣) البوابة الخارجية للقصر من جهة الشرق.

لقد أخذ التجـول في أرجاء هذا القصر منا وقتاً ليس بالقصير نظـراً لسعته وكثرة مرافقـه، وهو القصر الوحيد من بين القصـور الثلاثة التي شيدت على هـذا الطريق الذي بني بالحجارة على أحسن طراز. إذ أن قصري: الدوادمي، ومراة بنيا بالطين.

كـان بـودي أن هـذا القصر رمم لـلاستفـادة منـه، وليبقى صرحـاً من صروحنـا التاريخيـة التي شيـدت في بلادنـا مع مولـد نهضتنا الحديثـة على يد مـؤسسها رحمه الله تعالى.

منزل قبا

قُبَا: هـو المنزل الـواقع بعد منـزل «الدفينـة» للمتوجـه إلى مكة، وهـو غير قباء الـواقع قرب المدينة المنورة.

بعد تجولنـا في المويه القـديم وزيارة مـا حوله من الآثـار، توجهنـا إلى منزل «قبـا» وكان الأخ عبد العزيز قد وقف على آباره في العام الماضي.

ولكن عندمـا وصلناه لم نجـد للآبار أثـراً حيث طمرتها السَّبخة القـريبة منهـا من كثرة السيول وتسمى هـذه السبخة «سبخـة الحواء» واسمها القديم «قـاع الجنوب» بـدليل قول الأصفهاني وهو يصف الطريق من اليمامة إلى مكة المكرمة:

(... ثم تجوز ذلك فترد الـدثينة، وهي قـرية في طـريق البصرة إلى مكة. فترد قـاعاً يقـال له قاع الجَنُوب، وهو قاع وَحْلٌ إذا أصابه المطر.

وكـان محمد بن سليمان أمـر برصيف يـرصف فيه من الحجـارة فرصف حتى بقي نحـو من ثمانيـة أميـال ولم يتم. وهو القـاع الـذي كـان به الشَّتَّـان، وهما لصَّـان كـانا يقطعـان الطريق، ثم قُبَا[1]).

وقال الحربي عن هذا المنزل وهو يعدد منازل الطريق:

(ثم قُبَا. أخبرني ابن أبي سعد عن النوفلي عن أبيه قال: قبا في الحرة.

ومن الدثينة إلى قبا سبعة وعشرون ميلاً، وبقبا آبار قريبة الماء[2])

أقول: إن منـزل قبا ليس في الحرة، ولكنه واقع بجـانبها الشرقي، وعندمـا يصدر الحاج منها يصعدون إلى أعلا الحرة فيسلكونها.

---

(١) بلاد العرب: ص ٣٧١.

(٢) المناسك: ص ٦٠٠.

ومنزل قبا واقع على خط العرض ١٥ ٥٧ ٢٢ وخط الطول ٣٣ ٣٨ ٤١.

وهو يبعد عن مَرَّان خمسة وأربعين كيلاً على السَّمت.

وبما أن هـذا المنـزل واقع في الجهـة الغـربيـة من السَّبِخَـة الـواسعـة التي كـانت قـديماً تسمى «قـاع الجنوب» فإن الـواقف عند الآبـار يشـاهد الطـريق المرصوف في وسط القـاع كأنه مدرج للطـائرات، ولازال قسم منه يبلغ طوله أكثر من كيلين ظاهـراً للعيان رغم مرور هذه السنين الطويلة.

انظر إلى الطريق المرصوف بالحجارة الصورتين رقم (٥٤) ورقم (٥٥).



منظر رقم (٥٤) الطريق الذي رصفه «محمد بن سليمان» يرحمه الله في «قاع الجنوب» المسمى حالياً «سبخة الحواء» وقد غطت السبخة الحجارة المرصوفة التي كانت تمشي عليها الإبل عندما يمتلىء القاع بمياه الأمطار.



منظر رقم (٥٥) الطريق نفسه وهو ينحني عندما يقترب من منزل « قُبَا » في طرف الحَرّة (حرة كشب)

متعشى بلد

هذا المتعشى ذكره أبو إسحاق الحربي بقوله:

(وعلى ثمانية أميال من قبا متعشى يقال له بلد، فيه آبار عذبة[1]).

الـواقع أنني لم أتـوقع العثـور على هـذا المتعشى المسمى «بلـد» لأنني لم أقـرأ لمؤلفي عصرنـا الحاضر من ذكره. يضـاف إلى ذلك أن الطـريق من قبـا إلى منزل «مَـرَّان» يسير عبر حرة يصعب على السيارة السير فيها.

وبما أن المسـافـة من قبـا إليـه ثمانية أميـال كما ذكـر الحربي فقـد رسمت على الخارطـة خطـاً طـولـه ستة عشر كيـلاً فتبين لي أن نهايـة الخط تشير إلى مـاء اسمـه الحالي «الحُفَيِّرة» شمالاً من المويه القديم.

عندما أخبرت الأخ عبد العزيز الشايع عن رغبتي في الوقوف على هذا الماء قال:

الحُفَيِّرة تقع بالقرب من «الصُّوَّان» وأنا أعرف هذه الناحية.

لذا قررنـا الذهاب إليه عن طـريق يصعد إلى الحرة (حرة كشب) من ناحيـة بلدة المويه وكان يرافقنا في هذه الرحلة الأخ سعد الماضي.

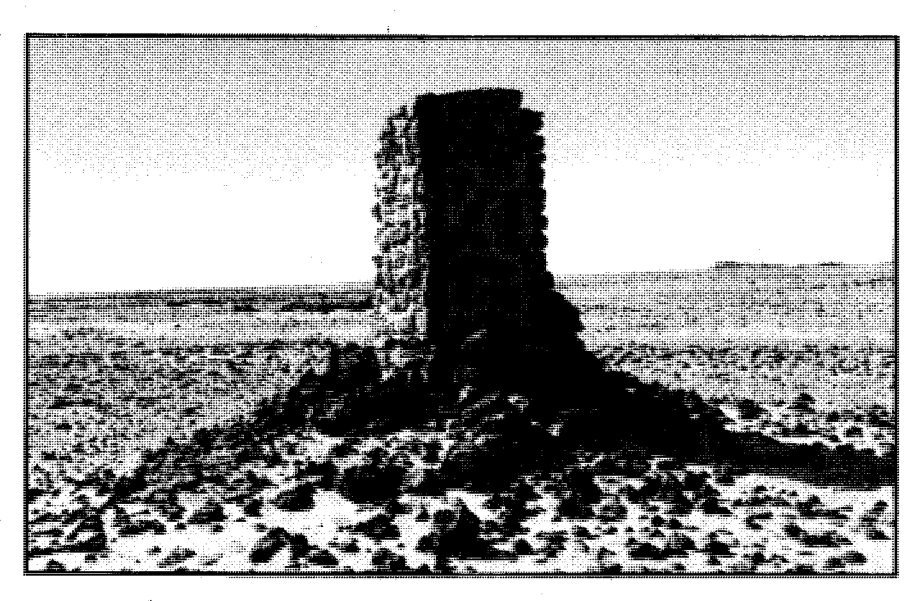
عنـدمـا وصلنـا إلى مـاء «الصُّـوَّان» الـواقع في قـاع وسط الحرة فيـه نخل قليل، وفيـه شـاهدنـا آثار عين قـديمة عثـر عليهـا صاحب المزرعـة فحفر عـدة مجسات لهذا المجـرى ومن هـذه المجسات يتضح أنها قـادمة مـن ناحيـة الشمال الغربي، وهـذا المجرى يشبـه في تصميمه مجرى عين «ضرية» في سعته وشكله المقوس.

ويقع الصوان على خط العرض ٥١ً ٤٧َ ٢٢ْ وخط الطول ٥٠ً ٣٤َ ٤١ْ.

---

(١) المناسك: ص ٦٠٠.

من الصـوان اتجهنا إلى«الحَفَيِّرة» المجـاورة له من الشمال، ويـوجد بها بعض المســاكن والمزارع الصغيرة وبجوارها شاهدنا أحد أعلام الطـريق القديم فاتجهنا إليه؛ فوجدناه سليماً لم يتهدم منه سوى الناحية الغربية من أعلاه، وهو العلم الوحيد الذي عثرت عليه وهو على حالته منذ بني رغـم تعاقب السنين التي مرت عليه، وشكله مربع ولـه قاعدة واسعة. **انظر إلى الصـورة رقم (٥٦)** وهـو واقع على خط العـرض ٠١ً ٤٩َ ٢٢ْ وخط الطـول ٣٠ً ٣٤َ ٤١ْ. **وانظر إلى موقعه على الخارطة رقم (٥).**



صورة رقم (٥٦) علم في متعشى «بَلَدَ» وسط حرة كشب عند بلدة «الحفَيِّرة».

وبإجراء القياسات اللازمة تبين أن هذا الميل أو العلم المجاور للحفيرة يبعد عن منزل قبا ستة عشر كيلاً أي: ثمانية أميال كما ورد في النص المتقدم وهذا التطابق بين النص والقياس على الواقع يؤكد لنا أن ماء الحفيرة هو منزل متعشى «بَلَد».

من الحفيرة أو بالأصح «بلد» حاولنا السير باتجاه منزل «مَرَّان» ولكن وعورة مسالك الحرة أجبرتنا على أن نتتبع القيعان ومجاري السيول الأمر الذي حال بيننا وبين مشاهدة بعض أعلام الطريق في الحرة.

وبعد قاع يسمى «قاع نَبْحَة» عثرنا على أحد الأعلام وهذا العلم واقع على خط العرض ٥٥ً ٤٥َ ٢٢ْ وخط الطول ٢٠ً ٣١َ ٤١ْ.

من هذا العلم واصلنا المسير باتجاه مَرَّان ولكن قيادة السيارة أصبحت على ماتشتهيه الحَرَّة وليس على مانشتهيه نحن حيث اتجه بنا الطريق إلى جهة الشمال إلى أن قاربنا نهاية الحرة من جهة الغرب فسلكنا طريقاً يتجه جنوباً فاعترض لنا طريق الحج القديم عندما نزل من الحرة وإن كانت الأرض وعرة، وفي هذا المكان شاهدنا بعض أجزاء من الطريق محددة بالحجارة، كما شاهدنا بعض علامات الطريق على المرتفعات.

وقد تعرج بنا هذا الطريق حتى وصلنا إلى المكان الذي انطلقنا منه وهو «المويه القديم».

وبهذا أنهينا هذه الرحلة المثيرة والمفيدة في الوقت نفسه.

منزل مران والشبيكة

مَرَّان: هـو المنزل بعـد «قبا» ومتعشى «بَلَدٍ» وقـد تحول المنـزل منه لضيق مكـانه إلى مـوضع قريب منـه اسمـه الشبيكة، ويقع مـران في طـرف حـرة كشب من جهة الجنـوب الغربي، وهـو الآن بلدة عامـرة، ولم يطرأ على اسمـه القديم أي تغيير. وهـذه بعض أقوال المؤرخين عن مران:

أولاً: قال أبو إسحاق الحربي:

(..ومَرَّان دون الشبيكـة بثلاثـة أميال، فيـه ماء كثيـر وآبار عـذبة، ونخل ومقـل، وكان المنزل الأول، فحول إلى الشبيكة[1]).

ثانياً: قال صاحب كتاب «بلاد العرب» وهو يصف الطريق من اليمامة إلى مكة:

(ثم مَرَّانُ ، وهـو ماء وقـرية غَنَّاءُ كبيـرة ونخيل. ثم تجوز مَـران فترد الشَّبكـة، وهي ماء عليه تجار[2]).

ثالثاً: قال ياقوت الحموي:

(مَرَّان: ... قـال السّكري هو على أربع مـراحل من مكة إلى البصـرة، وقيل: بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً وفيه قبـر تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقبر عمرو بن عبيد ... وقال الحازمي:

بين البصرة ومكـة لبني هلال من بني عامر، وقيل: بين مكـة والمدينة، وقال عـرام عند ذكره الحجاز: وقرية يقال لها مران: قـرية غنَّاء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع وهي على طريق البصرة لبني هلال وجزءٌ لبني ماعز وبها حصن ومنبر وناس كثير[3]).

---

(١) المناسك: ص ٦٠١.

(٢) بلاد العرب : ص ٣٧٢.

(٣) معجم البلدن: ص٥/ ٩٥.

تعليق على قول السُّكري:

جاء في كلام السكري: أن مَرَّان على أربع مراحل من مكة وهذا قول صحيح لأن هذه المراحل الأربع هي:

من مـران إلى وجـرة، ومن وجـرة إلى ذات عـرق، ومن ذات عـرق إلى البستـان، ومن البستان إلى مكة.

أما قـوله: بينه وبين مكـة ثمانية عشر ميـلاً فهذا غير صحيح. إذ كيف يقـال: إن مران على أربع مراحل من مكة ثم يقال: إن بينه وبينها ثمانية عشر ميلاً؟!

ويتضح لنا أكثَرَ خطأُ هـذا القول عنـدما نعـرف أن مرحلـة واحدة من هـذه المراحل الأربع وهي مابين مران ووجرة مسافتها ثلاثة وأربعون ميلاً.

ويبدو لي أن السُّكـري أو من أخذ عنـه التبس عليه أمـر مَرَّان فظنـه «مَرّ»، ومَـرٌّ، أو مَرّ الظهـران واقع في الطـريق بين مكة والمـدينـة وليس بين مكـة والبصرة وبعـده عن مكـة يقارب المسـافة المذكـورة فانتبـه لذلك فهذا أقـرب للصواب لن أطيل الكـلام عن مران لأنه معروف باسمه حتى الآن.

الشُّبَيْكَةُ:

تحـول منزل الحـاج من مَـرَّان إلى «الشبيكة» وهـذا المنـزل من المنازل التي تغيـرت أسماؤها ممـا جعلها غير معروفـة لنا. ولعلنا نلقي نظرة على النصـوص التي تحدثت عن الشبيكة لعلنا نهتدي إلى تحديد مكانها بدقة:

أولاً: قال الحربي:

(ثم الشبيكة: ومن قبـا إلى الشبيكة سبعـة وعشرون ميـلاً، وبالشبيكة آبـار طيبة قـريبة الماء. وعلى واحد وعشرين ميلاً من الشبيكة موضع يقال له بسيان ...[1])

---

(١) المناسك: ص ٦٠١.

ثانياً: قال ياقوت:

(الشُّبَيْكَةُ ... قال محمد بن موسى: الشبيكة، بالكاف. بين مكة والزاهر على طريق التنعيم، ومنزل من منازل حاج البصرة بينه وبين وجرة أميال..[1])

ثالثاً: قال صاحب كتاب بلاد العرب:

(.... ثم تجوز مَرَّان فترد الشبكة، وهي ماء عليه تجار [2])

رابعاً: قال الهمداني وهو يصف الطريق البصري للعائد من مكة:

(وأسفل من بُسْيان النثراوات[3] وهي هضاب ثلاث، ثم ترد الشبكة شبكة الكراع ثم قبا وعليه بهش[4] ونخل وخراب وهو لعامر بن ربيعة [5])

هذه أقوال علماء البلدان عن الشبيكة. ونلاحظ أن الأصفهاني، والهمداني، ذكرا اسمها بصيغة التكبير « الشَّبَكَة» ونسبها الهمداني إلى الكُرَاع فسماها «شبكة الكُراع» ورغم هذه الأوصاف لمنزل الشبيكة إلاَّ أننا لانزال نتساءل ونقول:

أين تقع الشبيكة بالتحديد وماهي؟! ولعلنا من خلال الرحلة الميدانية نعثر عليها إن شاء الله تعالى.

الرحلة الميدانية للبحث عن الشبيكة:

اعتدت في رحلاتي الميدانية أن أضع خارطة تقريبية أضع عليها المكان الذي أتوقع فيه الموضع المراد، وقد رسمت على الخارطة التي أعددتها عند القيام بهذه الرحلة خطاً من بلدة « مران» باتجاه القبلة طوله ستة أكيال تقريباً انتهى طرفه قرب واد هناك اسمه «وادي السُّلَيْم».

---

(١) معجم البلدان: ص٣/ ٣٢٤.

(٢) بلاد العرب : ص ٣٧٢.

(٣) تصحيف النَّفْرَاوات.

(٤) البهش : مص المقل مادام رطباً، والمَقْلُ : ثمر شجرة الدوم وهي شجرة تشبه النخلة.

(٥) صفة جزيرة العرب : ص ٢٨٧.

فقلت: قد تكون آبار منـزل الشبيكة في هذا الوادي. ولما كان الأخ عبـد العزيز الشائع المقيم في الطـائف يتردد سنـوياً على قـرى تلك النـاحية بحكم عملـه، فقد اتصلت بـه وطلبت منه إشعـاري عندما يقرر زيـارته إلى نـاحيـة «مران» لعلنا نهتدي إلى مكـان منزل الشبيكة كما اهتدينا إلى متعشى «بلد» من قبل.

وبعد فترة اتصل بي مشكوراً محدداً الوقت والمكان الذي نلتقي فيه على مفرق طريق «مران» من الطريق السريع بين الرياض والطائف.

وفي الموعد المحـدد التقينا بعد العصر، وكان يصحبه عدد من رجـال التعليم بمدينة الطائف جاءوا لزيارة مدارس بلدان هـذه الناحية كل في مجال تخصصه، وكنت الغريـب من بينهم في مجال اختصاصي.

لقد قضيت مع هذه النخبة الطيبة أمسية ممتعة في رملة أبرق ممتد هناك يسمى «إِنَا»، ويقابله من الشمال أخوه الصغير «إِني».

كان المبيت مقرراً في هذا المكان، ولكن حـدث مالم يعمل حسابه حيث لمع البرق وقصف الرعد وهطل المطـر مما اضطر أمير الجماعة أن يقـرر الرحيل للمبيت في إحدى مدارس القرى القريبة من المكان .

وفي إحـدى مـدارس بلدة «مَـرَّ ان» كـان المبيت، وفي مكتبـة المـدرسة التي تـزخـر بالكثيـر من الكتب القيمة قضيت بعض الوقت، ولكن لـدغات البعوض القارسـة حالت بيني وبين متعة المطالعة فقررت الذهـاب إلى الفراش ورغم الأغطية فإن البعوض كان له النصيب الأوفر من اللسع فارتفعت أصوات من تحت الأغطية : ماهو الحل ؟.

فقرر الجميع الـرحيل إلى البريـة بعيداً عن مـران ومياهـه وبعوضه، ولـم يطبقوا المثل القائل (ما يحِدّ على مَرَّان إلاَّ أمَرّ منه).

فابتعدنـا عن مران في رملة جنوبي الحـرة، وهناك في جو خال من البعـوض وقد كَفَّ المطر أكملنا بقية ليلتنا.

من المصادفات العجيبة أن يكون خمسة من أفراد هذه الرحلة من قبيلة «بني تميم» مع اختلاف بلدانهم وأحدهم محرر هذه الأسطر، وكان أحدهم عند غروب الشمس بالأمس يتحدث عن جَدِّه «تميم» وأن قبره في « مَرَّان» فقلت له في الصباح مداعباً:

إن جَدَّك لم ينفعنا بشيء ليلة البارحة حيث تركنا طُعْماً للبعوض الذي يشبه العصافير!!

كان من عادة هؤلاء الإخوان أن يتخذوا من شجرة سَرْحٍ كبيرة مشهورة في وادي «السُّلَيْم» مكاناً لتجمعهم بعد انتهاء أعمالهم في القرى المجاورة.

وهذا الوادي هو الذي حددت «الشبيكة» في أعلاه، وقد بقيت وحدي تحت السرحة فشاهدت صاحب غنم فاتجهت إليه فإذا هو رجل كبير السن يتوكأ على عصاه. فسألته عما إذا كان يعرف في أعلى هذا الوادي آباراً قديمة فأجاب بالنفي، وعندما قلت له إن الآبار التي أسأل عنها كان يردها الحاج عندما كانوا يحجون على الإبل فقال: أقدم آبار كان الحاج يردونها هي آبار «دُغَيْبِجَة» ثم أردف قائلاً: عندما كنت صغيراً كنا نجلس بالقرب منهم تحت الأشجار فيعطوننا مما معهم من «حَلاَوْ».

وقبل أن يبتلع الشيخ ريقه الذي جمجم عندما ذكر الحلاو الذي كان يهديه لهم الحاج كان الأخ عبد العزيز يقف ومعه رجل أحضره مشكوراً؛ حيث اتفقت معه بحكم معرفته لأهل البلد أن يسأل عن رجل متقدم في السن يوثق به للاستعانة به.

وكان مَنْ أحضره رجلاً مسناً سمح المظهر لطيف المعشر اسمه «فيحان بن شرار الذيابي»، وقد أبدى الرجل استعداده لمرافقتي إلى أي مكان أريده.

ومع أن العم فيحان أكد لي أنه لايوجد في أعالي وادي السُّليم موارد مياه إلا أنه من باب الحيطة تجولنا في أعلاه، وعندما لم أجد أثراً سلكنا طريقاً يتجه إلى مَرَّان يمر من فوق كراع ممتد من الحرة يفصل بين وادي السليم ووادي دغيبجة، وأعلام الطريق واضحة فيه وعندما هبطنا وادي دغيبجة قال لي: تيامن قليلاً. فأوقفني على عدد من الآبار المدفونة قد لايلحظها إلا من خبرها وهي تورد. قال: هذه آبار دغيبجة القديمة.

وبعد التجول حول المكان لاحظت آثار مبان جائمة قد تكون مساكن صغيرة أو أنها أماكن التجار الذين أشار اليهم صاحب كتاب بلاد العرب في قوله المتقدم: (فترد الشبكة، وهي ماء عليه تجار).

وقد تكون هذه الآبار هي التي مر عليها الرحالة الأوربي ــ لوريمر ـ حيث قال وهو يصف الطريق من الكويت إلى مكة المكرمة بعد أن دخلت القافلة التي كان موجوداً معها «حرة كشب»

قال: (بعد ساعة تمر على عشرين بئراً من الماء الحلو على عمق ١,٥ قامة تسمى «دغيبية»، وبعد ست ساعات تصل حليان حيث التلال على جانبي الطريق ثم يخرج الطريق من حرة كشب[1]).

من هذا النص يتبين لنا أن آبار دغيبجة «الشبيكة قديماً» يصل عددها عندما كانت تورد إلى عشرين بئراً، وذلك عندما مر بها لوريمر، وتعدد الآبار وقرب الماء يدل على سبب تسميتها بالشبيكة؛ حيث كان العرب قديماً يطلقون اسم الشبيكة أو الشبكة على مثل هذه الآبار المجتمعة.

ويلاحظ أن لوريمر أسماها «دغيبية» وهذا التصحيف ناتج إما من فهم لوريمر للفظ الاسم ممن أعلمه فكتب الجيم ياء، أو يكون التصحيف من الترجمة إلى العربية، وهذا ما أرجحه لأن كثيراً من أسماء المواضع ترجمت في هذا الكتاب خطأ؛ مثل «حرة كشب» ترجمت «حارة قشب» وهكذا.

أقول بعد إجراء القياسات اللازمة وتطبيق المسافات بالنسبة لبعد آبار «دغيبجة» عن مَرَّان، وعن متعشى «بَلَدْ» تأكد لي أنها هي آبار «الشبيكة قديماً».

وقد أطلق اسم «دغيبجة» على بلدة حديثة أُنشئت بالقرب من هذه الآبار.

كما أن الهمداني في النص المتقدم أسماها «شبكة الكراع»، وهذا قول صحيح حيث نسبت إلى الكراع الممتد من الحرة الواقع عن الآبار غرباً يفصل بينها وبين وادي «السُّليم».

---

(١) دليل الخليج: القسم الجغرافي: ص٥/ ١٦٤٩.

أقوال مؤلفي عصرنا الحاضر عن الشبيكة:

أولاً: قال الأستاذ سعد بن جنيدل في كتابه « معجم عالية نجد»:

(دُغَيْبِجَةُ ... تصغير دغبجة : ماء مر قديم، يقع في حرة كشب، في طرف هذه الحرة الجنوبي الشرقي - يقصد الجنوبي الغربي - بين ماء مَرَّان وماء الخوارة، وكان يمر به طريق حاج نجد القديم ... ويعرف هذا الماء قديماً باسم دَغْبَج.

وفي التكملة: دَغْبَجَ مثال جعفر موضع قريب مرَّان ، قال الصاغاني مؤلف هذا الكتاب: وقد وردته وأقمت به ...[1]) انتهى

أقول: قد يكون صاحب التكملة ورد هذا الماء القريب من «مران» المسمى «دَغْبَج» قبل أن يتحول المنزل من مران إلى هذا الموضع، وبعد تحول منزل الحاج إليه حفرت فيه آبار كثيرة سميت بالشبكة أو الشبيكة، وعندما خربت منازل الطريق نسي المسمى المستحدث وبقي المسمى القديم «دَغْبَج» ولكنه ينطق بلفظ التصغير مع التأنيث حتى وقتنا الحاضر.

ثانياً: يقول الأستاذ عبد الله بن خميس في كتابه «المجاز بين اليمامة والحجاز»:

(دُغيْبِجَةُ: ومن مياه (كشب) الجنوبية الواقعة قرب مران (دغيبجة) ولم أعثر لها على ذكر قديم فيما بين يدي من المراجع ولعلها التي كان يطلق عليها قديماً «الشبيكة» بينها وبين مران ثلاثة أميال قال في كتاب « المناسك»:

وبالشبيكة آبار طيبة الماء . . .[2])

أقول: صدق حدس أستاذنا عبد الله بن خميس فآبار «دغيبجة» هي آبار منزل «الشبيكة» لأن جميع الدلائل تؤكد هذا ولا مياه قديمة غيرها واقعة على الطريق في هذا المكان.

---

(١) معجم عالية نجد: ص٢/ ٥٢١.

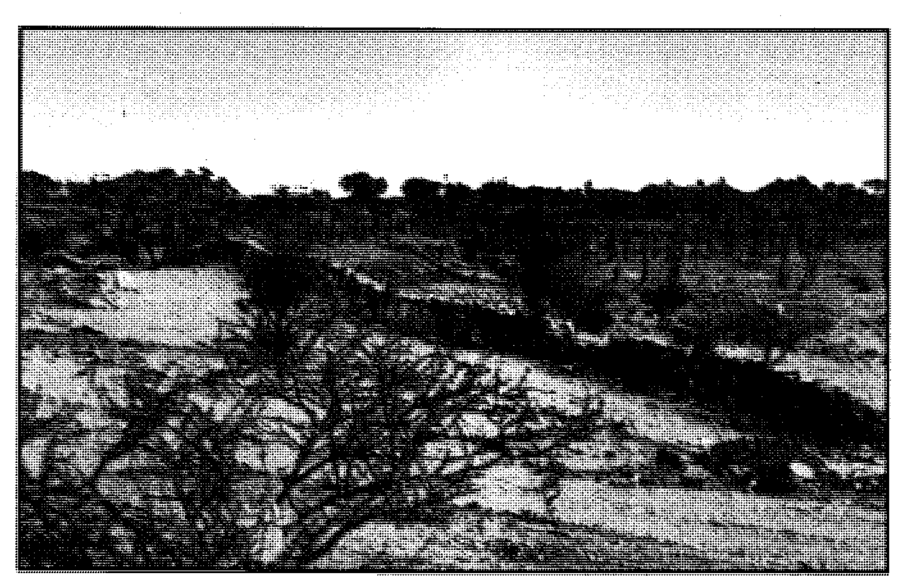
(٢) المجاز: ص ١٩٥.

وآبـار الشبيكـة واقعـة على خط العـرض ١٠ً ٣٥َ ٢٢ْ وخط الطـول ٠٩ً ٢١َ ٤١ْ وتبعد عن بئر «الخُضَيْراء» في مَران التي يقال: إنها أقـدم بئر فيه مسافة خمسة أكيال وستمـائة وأربعين متراً، وهـذا يـوحي أن مكان المنـزل القـديم في «مـران» يبعد عن بئـر الخضيراء إلى جهة الشمال الشرقي بمسافـة ثلاثمائة وخمسين متراً فقط ولاشك أن منزل مران تشمل مساحته هذا الفارق في القياس .

انظر إلى صورة بئر الخضيراء القديمة رقم (٥٧) ومنظـر ما يقع عنها شرقاً الصورة رقم (٥٨) وهو ما يبدو لي المكان الذي يوجد فيه منزل الحاج قبل تحويله إلى الشبيكة:



المنظر رقم (٥٧) بئر «الخُضَيْرَاء» في «مَرَان» ويقال إنها أقدم بئر فيه.



المنظر رقم (٥٨) منظر جنوبي بلدة« مَرّان» شرقاً من بئر « الخضيراء» ويبدو أن المنزل القديم كان في هذا المكان. ويُرى في الصورة كثرة أشجار «الدّوم» وهو : (المَقْلُ).

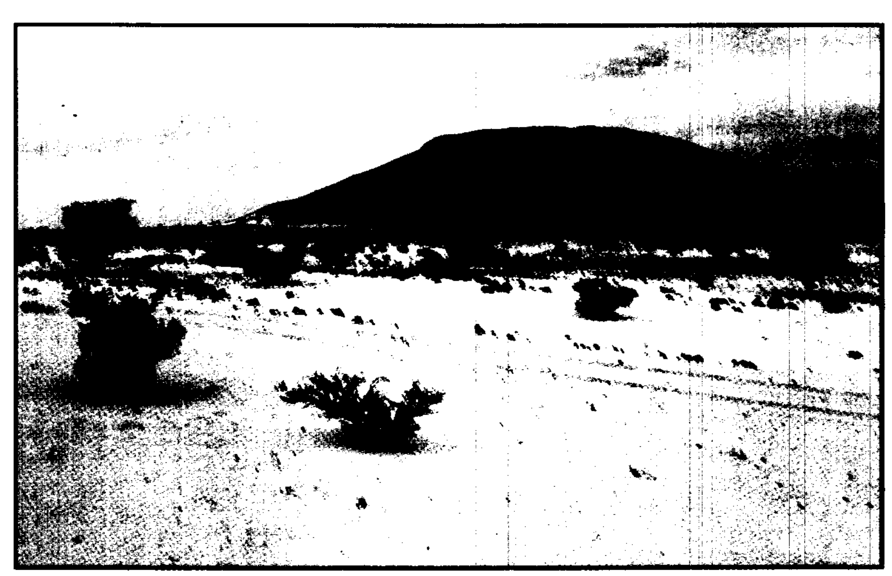
والآن وقد توصلنا إلى معرفة هذا المنزل من منازل طريق الحج البصري دعونا نسير باتجاه القبلة.

إن سلوك هذا الطريق فيه صعوبة لأننا لازلنا في طرف حرة كشب الجنوبي الغربي ولكن العم فيحان عارف بمسارب الحرة فسلك بنا أيسرها.

كنا نسير بمحاذاة طريق الحج القديم وبالقرب من «النَّفْراوات» شاهدت بعض أعلام الطريق لازالت واضحة وبالقرب من الهضبة المسماة «نفراء الطريق» وقفت على جزء من الطريق محدد بالحجارة ليسهل سير الابل معه ولتحديد الاتجاه الصحيح للمسافرين حيث أنهم سيدخلون أرض «السِّيِّ» وهي صحراء يتيه فيها الناس لخلوها من الجبال.

وهذه الهضبة سميت « نفراء الطريق» لأن طريق الحج القديم يمر من جهتها الجنوبية وهي أطرف النفراوات من جهة الشمال.

انظر إليها وإلى الطريق المحدد بالحجارة الصورة رقم (٥٩)



المنظر رقم (٥٩) هضبة «نفراء الطريق» ويبدو من دونها مُنَقَّى الطريق وقد حدد من جانبيه بالحجارة إلا أن الرمال دفنته مع مَرّ السنين.

وقفة عند النفراوات:

النَّفْراواتُ: من الأعلام ذات الشهرة التاريخية، ولم يطرأ على مسماها أي تغيير.

ومما أكسبها شهرة حدوث يوم من أيام العرب بالقرب منها حيث قتل في هذا اليوم الملك «زهير بن جذيمة العبسي». ومن قصته أنه كان يأخذ الإتاوة على قبيلة هوازان فأتته يوماً امرأة عجوز من بني نصر بن معاوية بنحي فيه سمن واعتذرت إليه فلما ذاقه لم يعجبه طعمه فوكزها بقوس كان بيده في صدرها فاستلقت على قفاها فتكشفت، فحلف «خالد بن جعفر» من بني عامر قائلاً:

والله لأجعلن ذراعي في عنقه حتى يقتل أو أقتل.

وقصة هذه الوقعة مبسوطة في المراجع التاريخية. أما علماء البلدان فمن أقوالهم عن النفراوات:

قول أبي عبيد البكري في رسم «رُكْبَة»:

(... قال أبو عُبَيْدَة: وكـان ينزلها زهير بن جذيمة العبسي، وهناك وافـاه بنو عامر على غرة فتدثر الْقَعْسَاءَ فرسه مُعْلَوِّطَهَا، فأدركـوه بالنفراوات، فقتله خالد بن جعفر، ضربه على دماغه، فاستنقذه ابناه ورقاءُ والحارث ..، ومات بعد ثالثة وفي ذلك يقول ورقاء:

رأيتُ زهيراً تحت كلكل خـالد — *فأقبلت أسعى كـالعَجُول أُبَـادرُ*

وقيل: إن الـذي ضربـه حُنْدُج بن البَكَّاء، وخـالد قـد قلبـه واعتقله، فكشف حنـدج المغفر عن رأسه، وينادي يالَ عامر، اقتلونا جميعاً.

وكان سير بني عامر إلى رُكْبَة من دَمْخ، وبينهما ليلتان.

وقـال أبو حيـة النميري: بل كـان بنوعـامـر بدمخ، وزهيـر نازل بـالنَّفْراوات، وأدركـوه بالرُّمَيْثَةِ. وشاهد هذا القول مذكور في رسم الرُّميثة إثر هذا.[1])

وفي رسم «الرميثة» قال:

(الرُّمَيْثَةُ: بضم أوله، على لفظ تصغير رمثة، ويقال له الرِّمث أيضاً.

وهو موضع كثير الـرمث .. وفيه أدرك خالد بن جعفر وأصحابه زهيـر بن جذيمة وولده فقتلوا زهيراً، فقال خالد:

هل كان سـر زهيراً يـوم وقعتنا — *بالـرِّمْث لو لم يكن شأسٌ لـه ولدا*

وقال ورقاء بن زهير، يرثي أباه:

أرْدَوْا فوارس منَّـا سادة حَشَـداً — *يـوم الرُّمَيْثَـة بين القُفِّ والقَـاع[2])*

ولنكتف بقـول البكري هـذا عن النفراوات، وعنـدمـا كنت عند النفـراوات دارت تلك الأَحداث فـي خيالي وتساءلـت: هذه هي هضـاب «النفراوات» ولكن أين المكـان الذي أدرك فيه بنو عامر زهيراً فقتلوه فيه؟

---

(١) معجم ماستجم: ص٢/ ٦٧٠.

(٢) معجم ماستعجم: ص٢/ ٦٧٦.

النصـوص قالت: إن اسمـه «الـرُّميثـة» أو «الرِّمث» وهـذا المـوضع واقع بين «القُفِّ» و«القَاعِ» كما قال ورقـاء بن زهير وهو يحدد لنا مكان مقتل أبيـه. الواقع أنني لـم أقرأ لأحد من مؤلفي عصرنا الحاضر من حدد لنا ثلاثة هذه المواضع الرميثة، والقف، والقاع.

ومن يقـرأ التـاريخ لا يتصور بعض المـواضع التي حـدثت فيهـا أيام العـرب وكأنهـا ليست في بـلادنا، وإزاء هذا أقـول: إن تحديـد المواضع التـاريخية في بـلادنا مسـؤولية مدرسي مادتي التاريخ والجغرافيا في مدارسنا وجامعاتنا.

فإلى متى نستمـر نركب مطيـة قال يـاقوت، وقـال البكري، وقـال الأصفهاني، وقـال الهمداني وقال وقال !! دون أن نخرج بتحديد واضح ودقيق للموضع المراد معرفته ؟!

أظن أننا تجـاوزنا هـذه المرحلة، وأن بـاستطاعـة أي طالب من أبنـائنا المتخصصين تحقيق مثل هذه المواضع، فإذا تظافرت الجهود تحقق المقصود.

وتحقيق المـواضع ليس من الصعوبـة بمكان، لاسيمـا إذا كانت النصـوص القديمـة واضحة. ولأضرب لذلك مثالاً في تحقيقي للرميثة:

فكرت وأنا واقف عند « نفراء الطريق» وهي الشمالية من« النُّفْر» «النّفْراوات».

هل فَرَّ زهير العبسي على فرسـه عندما شاهد بني عامر مقبلين عليه، وهـو موجود عند النفراوات إلى جهة الشمال أم إلى الجنوب؟

قلت: مادام أن بني عـامر قـادمين من «دَمْخ» جهة نجد فـلاشك أنهم قدمـوا إليه من الشرق والجهتين الجنـوبية والغـربية صحراء مستـوية على امتداد مسـافة شـاسعة، ومثل زهير لا يسلك هـذا الاتجاه، وإنمـا سيختار الجهـة التي تكون الجبـال قريبـة منها حتى يتمنع بها عن من يلاحقه، وليس من جهة يسلكها سوى الجهة الشمالية.

لذا توجهت بالسؤال التالي إلى العم «فيحان» قائلاً:

هذه الهضاب هـي النفراوات، ألا يوجد بالقـرب منها شمالاً مكان يسمـى «الرُّميثة»؟ أجـابني بكل عفويـة قائلاً: أنـا لا أعرف مكـانـاً بهذا الاسم، وإنمـا هناك مكـان يسمى

«الرُّمَيثي» فسألته: لماذا أطلق عليه هذا الاسم؟ فقال: لأنه كثير شجر الرمث.

فعرفت أن هذا الموضع المسمى حالياً الرميثي هو: مربط الفرس، أو بمعنى آخر: هو مكان مصرع الملك زهير.

فقلت: دلني عليه، وماكدنا نسير من نفـراء الطريق سوى بضعة أكيال حتى أوقفني في مكان منخفض يكثر فيـه «الرمث» يحده من الجنوب «نفراء الطـريق، ومن الشمال جبلا أبو ركب وأبو نبطة وهو إلى الأخيرين أقرب.

فقال لي: هذا هو «الرّمَيْثِي».

وحتى أضع الرجل معي في الصورة: أخبرته بقصة مقتل زهير بن جذيمة وأن بني عامر قتلوه في هذا المكان، وعندما سمع بيت الشعر الذي قاله ورقاء بن زهير.

قال: لقد صدق فهذا المكان واقع بين القُفِّ والقاع.

ثم وقف الـرجل ووجهـه إلى جهـة مطلع الشمس ومَـد يـده اليمنى وأشـار إلى جهـة الجنوب الغـربي وقال: ذاك هو « القف»، وأشار بيـده اليسرى إلى جهة الشمـال الشرقي وقال: وذاك هو القاع. ولازال كل منهما يسمى بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

والقاع عبارة عن مكان منخفض مجاور للرمـث تتجمع فيه مياه السيول ولا تخرج منه أما القف فهـو أرض مرتفعة تنتشر فيها الحجـارة وهي شبيهة بالْمجَصَّة. وقـد تجولت في كليهمـا. وأفادني أن القف كـان أوسع وأوضح في السنين المـاضيـة أما الآن فقـد غطت معظمه الرمال.

عند ذلك عرفت أن هذا الموضع هو الذي وصفه «ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي» حينما قال:

أردوا فوارس منـا سادة حشـداً — *يـوم الـرميثـة بين القفِّ والقـاع*

لقد انتهـزت مرافقة العم فيحـان معي في هذه الجـولة لأنه رجل ينـدر أن ألتقي بمثله سناً ودرايـة في خفايا هذه البـلاد؛ فقررت أن أواصل الجولة بـاتجاه الشمال وبالتحـديد

إلى « حفر كشب » وما حولـه؛ فلما أخبرته برغبتي قال: مادام يفيـدك الذهاب إلى هناك فليس لدي مانع فتوكلنا على الله واتجهنا إلى بلدة «حفر كشب».

لن أتحدث عن نتـائج جولتنا في الحفـر وماجـاوره هنا، فسأذكر ذلك عنـد الكلام عن «رُكْبَة» والحديث عـن رُكبة قد يطول وسأفرد لهـا بحثاً خاصاً في غيـر هذا الكتاب إن شاء الله.

لقد عـدنا إلى الإخوان من هذه الجـولة وهـم مجتمعون في ظل سرحتهم الـوارف عند الساعة الثانية والنصف ظهراً بعد رحلة مكللة ولله الحمد بالنتائج المرضية.

متعشى بسيان

بُسْيَانُ: موضع يستريح فيه الحاج عندما يصدرون من منزل « الشبيكة» إلى منزل «وجرة» وهذا المتعشى من المواضع التي لم تحدد بشكل واضح حيث يلحظ القارىء عدم الدقة في تحديده عند الباحثين في وقتنا الحاضر. ولكي نناقش ماقالوه حول بسيان على بينة من الأمر فلابد من الوقوف على هذا المتعشى أولاً:

الزيارة الميدانية لبسيان:

لقد انتهزت فرصة وجودي بالقرب منه عندما قمت بالرحلة الخاصة بتحقيق «منزل الشبيكة» فاستأذنت الإخوان عندما قرروا العودة إلى الطائف بأن أنفصل عنهم لأن طريقهم سيكون مع الطريق السريع المزفت، أما أنا فسأتجه باتجاه القبلة مع طريق الحج القديم لاسيما وقد سلكت أصعبه مع العم «فيحان» هذا الصباح، ولكن الأستاذ عبد العزيز الشايع أصر مشكوراً إلا أن يصحبني للبحث عن متعشى بسيان.

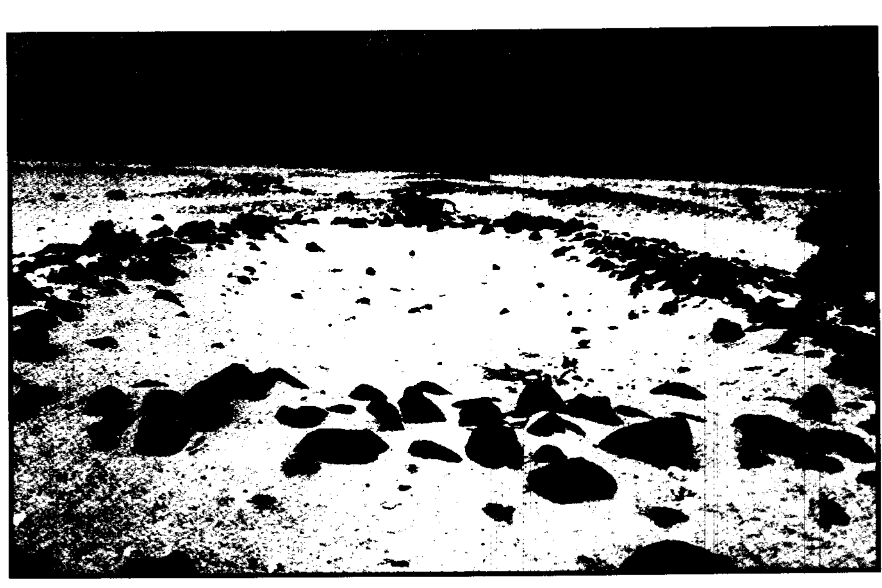
وبعد صلاة العصر سرنا على بركة الله، وعندما خلفنا «النفراوات» التي كنت عندها في الصباح انقطعت الحرة والجبال فصرنا نسير مع أرض مستوية كراحة اليد. إنها أرض «السِّيِّ» التي وصفها القدماء بأنها مأوى اللصوص، وأنها بلد مَضَلَّة يتيه فيها المسافرون لعدم وجود أعلام فيها، مثل التلال والجبال. ولكن علامات الطريق واضحة للعيان بحيث يشاهدها السائر متتابعة على خط مستقيم باتجاه بسيان. وهي عبارة عن أكوام من الحجارة جلبت من مكان آخر لخلو أرضها من الحجارة وقد لاحظت في هذا الجزء من الطريق أن هذه الأعلام متقاربة بحيث لايبعد كل علم عن الذي يليه إلا أقل من كيل واحد ونصف، ولم أجد لذلك تفسيراً إلا أن واضعيها أخذوا بعين الاعتبار طبيعة استواء الأرض، وكونها مخوفة من غارات اللصوص.

لذلك وبفضل من الله لم نضل فيها فقد شاهدنا مرتفع بسيان من بُعْدٍ فاتجهنا إليه، وقد بحثنا عن آثار المتعشى بالقرب منه إلا أننا لم نجد شيئاً فاتجهنا إلى خيام بدو قاطنين شمالاً منه فسألناهم عن بسيان فأشاروا إلى المرتفع الممتد وقالوا: هذا هو بسيان. فقلنا: الذي نسأل عنه هو آثار منزل من منازل طريق الحج القديم فقالوا: إنه ليس بعيداً من هنا. وقد تطوع أحدهم وركب سيارته وقال: اتبعوني. فأوقفنا على آثار متعشى « بسيان».

وما بقي مشاهداً منها على سطح الأرض في الوقت الحاضر هي: أساسات مساكن كبيرة مستطيلة الشكل، ودوائر قد تكون آباراً انطمرت مع مرور الزمن:

أما البركة فلم نشاهد لها أثراً، ونرجح أن البركة أو البرك كما جاء في النص واقعة بجوار المساكن من الناحية الجنوبية.

انظر إلى أساسات مباني المتعشى الصورة رقم (٦٠).



المنظر (٦٠) آثار مباني متعشى بُسَيَان وترى هضبة «نفراء الطريق» من بُعد.

والقاطنون حول هذه الآثار يسمونهـا «جَرَّة» ويبدو لي أن هذا الاسم مستحدث ليفرقوا بينه وبين منزل «وَجْرَة».

ومتعشى بسيان واقع على خط العرض ١٣ً ٢٤َ ٢٢ْ وخط الطول ١٣ً ٠٤َ ٤١ْ.

وكنا قبل الوقوف عليه نحسبه واقعاً بجوار مرتفع «بسيان» ولكن اتضح بعد المشاهدة على الواقع أنـه بعيد منه حيث يبعد عنـه جهة الشمال ثمـانية أكيالٍ تقريبـاً، ولكنه سمي باسمه لأنه أقرب علم بارز في هذه الأرض المستوية.

أقوال قدماء علماء البلدان عن بسيان:

أولاً: يقول أبو إسحاق الحربي:

(وعلى أحد وعشرين ميلاً من الشبيكة موضع يقال له بُسْيَان فيه بركة وآبار، وعن يساره جبال يقال لها النفراوات...[1])

ثانياً: يقول ياقوت الحموي:

(بُسْيَـانُ: بالضـم، قال الأصمعي: بُسٌّ وبُسيـانُ جبـلان في أرض بني جُشَم ونصـر بن معاوية بن بكر بن هوازن . . . وحكى أبو بكر محمد بن موسى ثم وجدته في كتاب نصر أن بُسيان موضع فيه برَك وأنهار على أحد وعشرين ميلاً من الشبيكة بينها وبين وجرة ...[2])

أقول:

قول ياقوت: إن بسيان موضع فيه برك وأنهار.

يدل على أن بسيـان فيه أكثر من بركـة، أماقوله «وأنهـار» فإنه لايوجد في هـذه الجهة أنهار فقد تكون الكلمة مصحفة من « آبار» كما ورد في النص المتقدم عن الحربي.

وقد أشـار إلى هذا التصحيف الشيـخ حمد الجاسـر في هامش صفحـة (٦٠١) من كتاب المناسك.

---

(١) المناسك: ص ٦٠١.

(٢) معجم البلدان: ص.

أقوال مؤلفي عصرنا عن بسيان:

أولاً: يقول الشيخ حمد الجاسر في تعليق له على كتاب المناسك:

(... اسم بسيان يطلق على تل مرتفع من الأرض ليس بالعالي، ولكنه في أرض مستوية كالراحة. في وسط ركبة، فيشاهد من بعد كأنه جبل مرتفع وبقربه بركة كبيرة لا تزال مجمعاً لماء المطر، نبت حولها السرح، تسمى بركة الخرابة تقع في الجنوب الغربي من النفراوات وغرب بسيان النفراوات ـ وتسمى النفر أيضاً ـ لاتزال معروفة، جبيلات أو آكام مرتفعة إذ ما يحيط بها أرض براح مستوية.[١])

التعليق:

إن الوصف المتقدم لا ينطبق على «بُسْيَان» وإنما ينطبق على منزل « وَجْرَة» فهي التي تسمى الآن «الخرابة»، وقد يكون الناسخ خلط بين قولين للشيخ حمد عرف في أحدهما بسيان وعرف في الآخر وجرة فتداخل الكلام.

والشيخ حمد الجاسر لا يخفى عليه «بسيان» فقد وصفه لنا في هامش صفحة (١٢) من كتاب «بلاد العرب» بقوله: بُسْيَانُ : آكام مرتفعة، في صحراء ركبة تشاهد من بُعْد، بعد الاتجاه من (عشيرة) إلى (المويه)، لوقوعها في صحراء مستوية) انتهى

ولي ملاحظة حول قوله: (وغرب بسيان النفراوات).

حيث أن النفراوات لا تقع غرب بسيان ولكن تقع عنه شرقاً مع ميل إلى الشمال.

ثانياً: يقول الأستاذ عبد الله بن خميس:

(وعلى مسافة خمسة وعشرين ميلاً من (مران) غرباً هنالك جبل (بُسْيَان) جبل ليس بالكبير متطامن، يبرزه للعيان من بعد انفراده في منبسط من الأرض، ليكون كبيراً في رأي

---

(١) كتاب المناسك : هامش : ص ٦٠١.

العين، فإذا دنوت منه وجدته برثا أقل مما كنت تظنه، يعنيه ذو الرمة حيث يقول:

سرت من مَنى جنح الظلام فأصبحت ... ببسيان أيـديها مع الصبح تلمع

ويعنيه أيضاً امرؤ القيس فيقول:

على قطن بـالشَّيم أيمن صـوبـه ... وأيسـره على السِّتـار فيـذبل

وألقى بِبُسْيَـان مع الليـل بَـرْكـه ... فأنزل منه العُصْمَ من كل منزل[1]

التعليق:

لقـد وصف لنا الأستـاذ عبد الله بن خميـس «بسيان» وصفـاً واضحاً من حيث شكلـه وموضعه. وإن كان لي من تعليق فهو حول استشهاده بقول امرىء القيس:

وألقى ببسيـان مع الليـل بـركـه ... فأنزل منـه العصم من كل منزل

فلست أدري؛ كيف فات على أستاذنـا عبد الله وهو الشاعر الذواقـة للشعر العربي أن يستشهد بهذه الرواية لبيت امرىء القيس في هذا الموضع ؟!

ويحق لنا أن نتساءل فنقول: أين «بُسْيَان» من جبل «قَطَنٍ» ؟

ويبدو لي أنه أخذ هذا البيت من رواية يـاقوت الحموي حيث استشهد بهذين البيتين في رسم «بسيان».

وعندي أن هـذه الرواية لهـذا البيت من الروايـات الشاذة التي تلاعب بهـا رواة معلقة امريء القيس حيث غيروا في بعض أبياتها.

والرواية الصحيحة لهذا البيت هي:

وألقى بصحـراء الغبيط بعـاعـه ... نزول اليمـاني ذي العياب المحمل

وامـرؤ القيس ذكر في معلقتـه أن السيل أنـزل العُصْم ـ وهي الـوعـول ـ من «القَنَـان» وليس من «بسيان» والرواية الصحيحة للبيت هكذا:

ومَـرَّ علـى القنـان من نفيـانـه ... فأنزل منـه العصم من كل منزل

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز : ص ١٩٦.

والعصم لا تلتجىء إلاَّ في الجبال الشامخة الواسعة مثل القنان، وعماية وثهلان، وغيرها أما بسيان فهو كما وصف لنا الأستاذ عبد الله بن خميس: برث متطامن.

وقد شاهدته على الطبيعة، ومثله لا يكون مأوى للوعول.

وقد تكلمت بإسهاب عن آخر معلقة امرىء القيس التي وصف فيها السحاب الذي أنزل مطره العصم من جبال « المُـوَشَّم » ـ القَنـان قديماً ـ وذلك في كتابي «الثاني» وحققت المواضع التي ذكرها تحقيقاً دقيقاً وجميعها موجودة في ناحية منطقة القصيم، فارجع إلى ماقلته هناك إن أردت.

فستجد أن هذا البيت ليس الوحيد الذي حرفه الرواة وبدلوا وغيروا فيه، الأمر الذي أوقع كثيراً من محققي الأماكن في اللبس والخطأ.

ثالثاً: يقول الأستاذ عاتق بن غيث البلادي:

(بُسْيَانُ ... أكمة سوداء شمال شرقي عشيرة عن قرب. عندها آثار آبار مندثرة وبرك مهدمة مما يدل على عمران المكان فيما سلف، وهو مجاور لحرة بس من مطلع الشمس على شفير الوادي وادي العقيق[1]).

تعليقي على هذا القول:

يختلف تحديد الأستاذ عاتق لموقع « بسيان» عن ماجاء في الأقوال الأخرى حيث أجمعت على أن بسيان واقع إلى الشمال الشرقي من عشيرة وجبل بُسٍّ على بعد ستين كيلاً تقريباً، بينما هو يحدده لنا بالقرب من حرة بس على شفير الوادي وادي العقيق.

ويستفاد من كلامه أن بسيان لا يفصل بينه وبين حرة بس إلا مجرى الوادي.

وأنا لا أعرف أكمة سوداء تقع إلى جهة مطلع الشمس من «بُسٍّ» اسمها «بُسْيَانُ» ومع

---

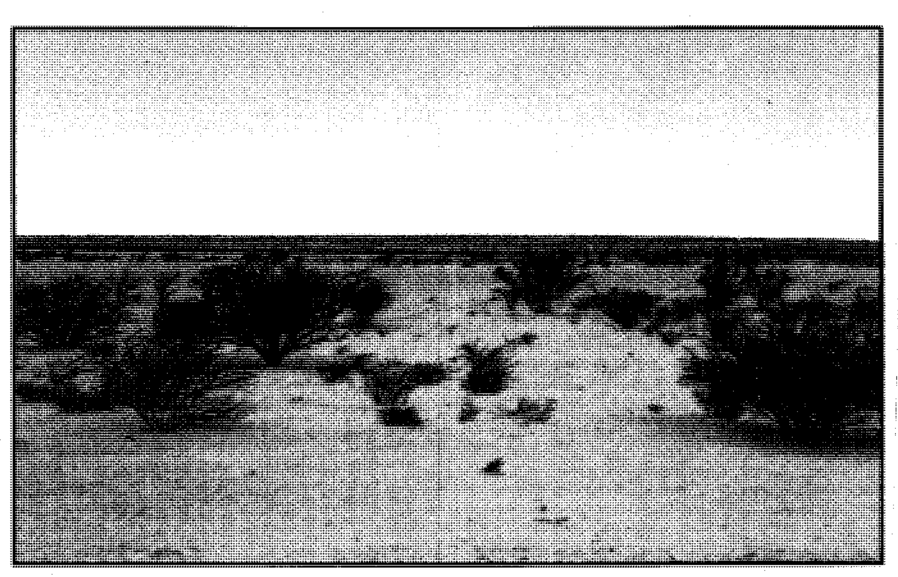
(١) معجم معالم الحجاز: ص ١/ ٢٢٢.

افتراض وجودها فإن طريق الحاج البصري لا يمـر من هذه الجهة، وإنما يمر شمالاً من جبل بُس. الأمر الذي يستبعد معه وجود متعشى بسيان في هذا الاتجاه.

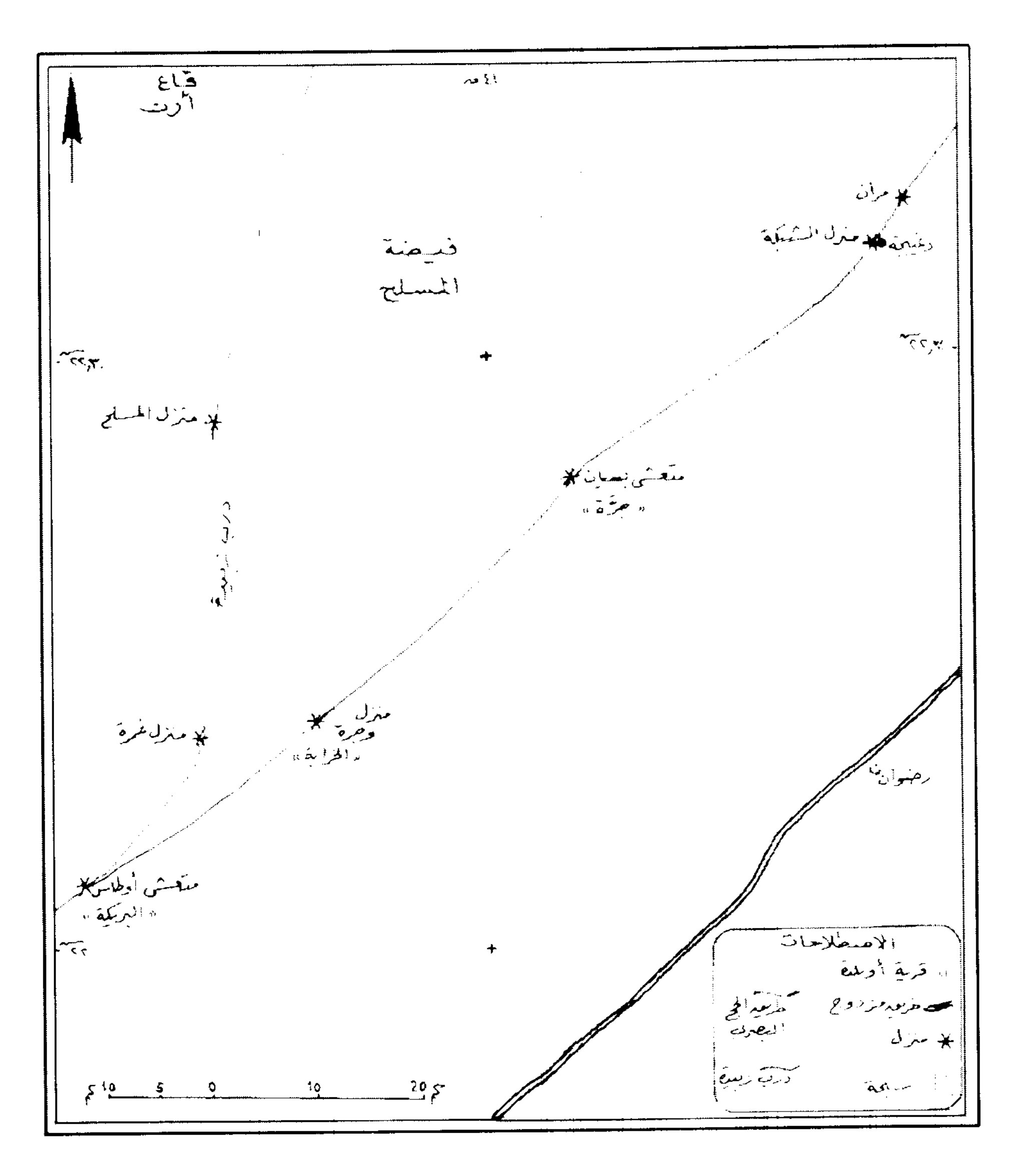
وموقعه الصحيح في وسط صحراء مستويـة بعيداً عن الجبال والحرار ولا يستدل عليه إلا بالمرتفع الواقع عنه على بعد ثمانية أكيال إلى جهة الجنوب، وهذا المرتفع عبارة عن برث مستطيل أشبه ما يكون بالأبرق حيث تعلوه الرمال المختلطة بالحجارة.

انظر إلى شكله الصورة رقم (٦١).

أما متعشى «بسيان» فقد حددته لك فيما سبق عند زيارة الموضع في الرحلة الميدانية ويسمى في زمننا هذا «جَرَّة» ويبعد «بسيان» عن منزل «وَجْرَة» ثلاثة وثلاثين كيلاً وستمائة متر، وعن بلدة «رضوان» الـواقعة على طريق (الرياض/ الطائف) أربعيـن كيلاً، كما يبعد عن منزل «الشبيكـة» خمسة وثـلاثين كيلاً وأربعمـائة متر. **انظر إلى مـوقع متعشى بسيان على الخارطة رقم (٦).**



المنظر (٦١) مرتفع «بُسْيَان» وآثار المتعشى تبعد عنه قرابة ثمانية أكيال جهة الشمال. ويصعب الاهتداء إلى الآثار إلا بدليل نظراً لاستواء الأرض وكثرة الشجيرات.


قاع
آرت
فيضة
المسلح
مران
منزل الشبكة
منزل المسلح
متعشى نصبان
« جرة »
منزل
وجرة
« الحرابة »
منزل غمرة
متعشى أوطاس
« البركة »
الاصطلاحات
قرية أو بلدة
منزل

خارطة رقم (٦)

وجرة

وَجْرَة: سهل واسع يقع شمالاً من سهل «رُكْبة»، وشرقاً من وادي العقيق ـ عقيق عُشيرَة ـ وكان لوجرة شهرة لكثرة ماخصها الشعراء بالذكر في قصائدهم حيث أكثروا من الوصف بظباء وجرة ووحشها لأنها كانت مَرَبًّا للوحش من ظباء وغيرها نظراً لوفرة أشجارها وطيب مراعيها. و إليك بعض ماقاله الشعراء في وجرة:

قال الأعشى:

كأنما الرحل منها فوق ذي جُدَدٍ ... ذَبَّ الرِّياد إلى الأشباح نَظَّار

مُطَرَّدٍ أفردت عنه حلائله ... من وحش وجرة أو من وحش ذي قار

وقال النابغة:

من وحش وجرة مَوْشي أكارعه ... طاوي المسير كسيف الصيقل الفرد

ويقول امرؤ القيس:

تَصُدُّ وتبدي عن أسيل وتتقي ... بناظرة من وحش وجرة مطفل

ويقول عباس بن مرداس السلمي:

خفافية بطن العقيق مصيفها ... وتحتل في البادين وجرة والعرفا

ويقول لبيد بن ربيعة العامري:

زجلاً كأن نعاج توضح فوقها ... وظباء وجرة عطفاً آرامها

ويقول أبو شجرة السلمي:

مراعيها العقيق إذا أظلت ... نجوم الصيف تحتدم احتداما

وترعى غَزَّ وجرة حين تضحي ... من الوسمي قد نقع الرِّهاما

وقال أعرابي:

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة ... غزال أَحَمُّ المقلتين ربيب

وقال أعرابي آخر:

أتبكي على نجد وريًّا ولن ترى *بعينيك ريًّا ما حييت ولا نجدا*

ولا مشرفاً ماعشت أنقاء وجرة *ولا واطئاً من تربهن ثرى جعدا*

هذه بعض أبيات الشعر التي ورد لوجرة وظبائها ذكر فيها، ورغم هذه الشهرة الواسعة لوجرة في السنين الخوالي؛ إلا أنها لا تكاد تعرف في زمننا هذا، وتكاد تختفي حدودها حتى على الباحثين المتخصصين. وأعزو خفاءها إلى فقدها عنصرين من أهم عناصر شهرتها:

أولهما: خلوها من الوحش بسبب الجفاف المتعاقب، والصيد الجائر له في السنين الأخيرة.

ثانيهما: هجر الطرق التي كانت تجتازها منذ مئات السنين منها: طريق الحج البصري وطريق الحج الكوفي بسبب خراب منازلهما الواقعة فيها، أو قريباً منها مثل: مَرَّان، والشُّبيكة، وبُسْيان، ووجرة، وغير ذلك من المنازل.

ولست هنا في سبيل الكلام عن سهل «وجرة» وظبائها فالحديث عن ذلك يطول وسأرجىء الكلام حول ماقيل عن تحديد لهذا السهل عند الكلام عن جارته «رُكْبَة» كما وعدت آنفاً، ولكن في غير هذا الكتاب لِئَلا تتشعب بنا الطرق في تلك الصحاري المستوية المترامية الأطراف فنضل منازل طريق الحج البصري الذي نحن بصدد تحقيقها.

منزل وجرة

وَجْرةُ : اسم لأحد منازل طريق الحج البصري واقع بين منزلي «الشُّبيكة» و «ذات عرق» يقع متعشى «بُسْيَان» بينه وبين الشبيكة، ومتعشى «أوطاس» بينه وبين ذات عرق وتسمى آثار منزل وجرة في عصرنا الحاضر «الخرابة» .

وفيما يلي بعض أقوال المؤرخين وعلماء البلدان عن «وجرة»:

أولاً: يقول أبو إسحاق الحربي:

(ثم وَجْرَة: أخبرني ابن أبي سعد عن النوفلي عن أبيه قال: وجرة بإزاء غمرة، في طريق الكوفة، يحرم ناس منها، والميقات الذي وقته رسول الله ﷺ لأهل العراق من وراء هذه، بينها وبين ذات عرق، وهو العقيق، يقطع الطريق لايخفى على أحد، ومن الشبيكة إلى وجرة أربعون ميلاً، وبوجرة ماء كثير.[1])

وقفة حول ماورد في هذا النص

علق محقق كتاب «المناسك» الشيخ حمد الجاسر حول كلمة «وجرة» بقوله:

((٢) في (يا): وقال محمد بن موسى: وجرة على جادة البصرة إلى مكة بإزاء غمرة التي على جادة الكوفة، منها يحرم أكثر الحجاج، وهي سرة نجد، ستون ميلاً، لا تخلو من شجر ومرعى ومياه والوحش فيها كثير ، قال أبو عبيد الله السكوني: وجرة منزل لأهل البصرة إلى مكة، بينه وبين مكة مرحلتان ومنه إلى بستان ابن عامر، ثم مكة وهو من تهامة (كذا) اهـ وصواب الغمر: غمرة، وليست وجرة من تهامة بل في نجد.) انتهى

أقول: أورد الشيخ قول محمد بن موسى الذي ضمنه ياقوت الحموي معجمه في رسم «وجرة» المتضمن كلمة «الْغَمْر» إلا أن الشيخ أبدلها بكلمة «غمرة» ونبه إلى أن صواب الغمر: غمرة.

---

(١) المناسك ص: ٦٠٢.

ولكني أرى أن كلمة «الغمر» هي الصواب فما سمي منزل «غمرة» الواقع على جادة الكوفة بذلك إلا لكونه واقعاً فيما يسمى بالغمر، أو الغمار. ومحمد بن موسى في قوله المتقدم وصف لنا وجرة بأنها واقعة على جادة البصرة إلى مكة موازية للغمر الذي على جادة الكوفة، وكأني به قد أدمج تعريفه للمنزل والسهل الممتد؛ فلذا قال عن وجرة التي بإزاء الغمر إنها تمتد ستين ميلاً لا تخلو من شجر ومرعى. لذا أرى أن نبقي على كلمة «الغمار» كما وردت في النص فهي عندي الأصوب.

كما أحب أن أقف عند قوله بعد ذلك: وليست وجرة من تهامة، بل من نجد، فهو يقصد بذلك ماجاء في قول السَّكوني:

(وهو من تهامة) فيبدو لي أن أبا عبيد السكوني أعاد الضمير إلى أقرب مذكور وهو: بستان ابن عامر وليس إلى وجرة.

وقد يتضح الأمر أكثر من قول الحربي التالي حول الغمر والغمار:

ثانياً: يقول أبو إسحاق الحربي:

(وأخبرني ابن أبي سعد عن النوفلي عن أبيه أن غمرة التي يقول فيها الشاعر:

أقول لصاحبي والعيس تهوي ... بنا بين المنيفة والغمار

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

... فالغمار هي غمرة وما والاها إلى طريق البصرة، ووجرة من الغمار وهي حيال غمرة.

فلما كانت منزلاً فُرِّق بين غمرة ووجرة بالاسم، وذات عرق من الغمار، إلى الغمير، فهو الغمر الثاني، وهي التي يقول فيها الراجز:

حتى إذا مرت على الغمير ... وذاك عند مطلع القمير

ومن وراء ذلك غمر ذي كِنْدَة الذي يقول فيه ابن أبي ربيعة:

إذا جـاوزتْ غمـر ذي كِنْـدَة　　　　مع الـركب، قصد لهـا الفرقـد.[1]

أقول هذا النص لـم يسلم من القدح والانتقاص فهذا الأستاذ عـاتق بن غيث البلادي يقول في كتابه «على ربى نجد» وهو يتكلم عن وجرة:

(وَجْرَةُ: الاسم غيـر معروف اليوم غير أنـه كان يطلق على الصحراء الـواسعة التي تقع على ضفة وادي عقيق عشيـرة من الشرق إذا تجاوز أوطـاساً ... وقد رأيتهـا اليوم فإذا هي ذات أشجار يضل فيهـا السائر، غـابات من السمـر والسرح وغيره وفيهـا تقع بركـة زبيدة المعروفة ببركة العقيق.

قال الحربي: وجرة بإزاء الغمرة التي في طريق مكة قال الأعشى:

ظبيـة من ظبـاء وجـرة أدمـا　　　　ءتسف الكبـاث تحـت الهـدال

وفي تحديد مراحل الطريق البصري يذكر:

مَران، ثم الشبيكة، ثم بسيان، ثم وجرة.

أي أن وجرة كانت من السعـة بحيث يلقاها القادم من البصرة والقـادم من الكوفة قبل اجتماع الطريقين في أوطاس.

على أن في مناسك الحربي كثيراً من الخلط بين هذه المواقع.

وهذا الكتاب دون بالمشاهدة، فما خالفه ليس صحيحاً ...[2]) انتهى

تعليقي على ماقاله الأستاذ عاتق:

١ ـ قوله عن اسم «وجرة»: (انه غير معـروف اليوم غير أنه يطلق على الصحراء الواسعة التي تقع على ضفة وادي عقيق عشيرة من الشرق).

أقول: كأني بـالأستاذ عاتق يحدد لنـا وجرة بأنها الصحراء التي تمتـد على ضفة وادي

---

(١) المناسك: ص ٦٠٤.

(٢)على ربى نجد: ص ٢٩٤.

العقيق. ويبدو لي أنه ضيق المساحة على ظباء وجرة حيث حصرها في هذا النطاق الضيق الممتد على شاطىء الوادي الشرقي؛ بينما وجرة مساحة واسعة من الأراضي التي تسرح وتمرح فيها الظباء تمتد إلى مسافات شاسعة جهة الشرق أو الشمال ويدل على أنه يعني بقوله هذا ضفة الوادي قوله:

(وقد رأيتها اليوم فإذا هي ذات أشجار يضل فيها السائر، غابات من السمر والسرح وغيره).

أقول كأني بالمؤلف سلمه الله يلمح بوصفه هذا إلى ما ورد في قول الهمداني وهو يصف الطريق البصري: (فتشرب بوجرة وهو بئر وبركة مقضضة ثم تهبط السِّيَّ وهي بلد مِضَلَّة ...)

وعندي أن وصفهم لوجرة أو السي بأنها مِضلَّة لا لكثرة الأشجار، ولكن لاستواء الأرض وامتدادها على مد البصر مع خلوها من الجبال والعلامات التي يستدل بها المسافرون.

٢ـ قول المؤلف عن وجرة: (وفيها تقع بركة زبيدة المعروفة ببركة العقيق).

أقول تعليقاً على هذا: إن بركة العقيق لا تقع في سهل وجرة كما ذكر المؤلف، وإنما تقع فيما يسمى بـ «الغمار» ولهذا سمي المنزل الواقع على طريق الكوفة ـ درب زبيدة ـ باسم «غمرة» نسبة إلى الغمار، وقد تسمى بركة «العقيق» ولا تكاد تعرف في وقتنا الحاضر إلا باسم «البركة».

٣ـ قال المؤلف في نهاية تحديده لوجرة في كتابه « على ربى نجد»:

(وهذا الكتاب دون بالمشاهدة، فما خالفه ليس صحيحاً !!)

كما أجده في كتابه «معجم معالم الحجاز» يقول في نهاية كلامه في رسم «وجرة»

(وغير هذا الوصف والتحديد لا ينظر إليه.!! [1])

لعلي أقف عند هاتين المقولتين للأستاذ عاتق ـ أعتقنا الله وإياه من النار ـ فأقول:

(١) معجم معالم الحجاز: ص ٩/ ١٢٨.

حبذا لو أن المؤلف سلمه الله بدل الجزم القاطع في تحديده لوجرة بعد وصفه لكتاب «المناسك» لأبي إسحاق الحربي : بأن فيه كثيراً من الخلط بين المواقع. أوضح هذا الخلط وحرره لنا لكان أحسن. وكل معرض للوقوع في الخطأ، وكان بودي بدل الجزم القاطع المخالف لما جاء في النصوص القديمة أن يترك الباب مفتوحاً أمام الباحثين فقد يأتي منهم من يطلع على نصوص لم نطلع عليها فيأتي بالتحديد الصائب الدقيق.

ولست هنا أدافع عن أقوال علماء البلدان القدماء وأُبرئُهم من الوقوع في الخطأ، ولكن يتحتم علينا إذا قدحنا بقول أن نبين وجه الخطأ فيه وندعم تصويبه بالمبررات المقنعة. ولست هنا في مجال الكلام عن تحديد صحراء «وجرة» حيث أن لي كلاماً عنها قد يطول عند الكلام عن السِّيِّ وركبة في غير هذا الكتاب، وإنما سيكون الكلام هنا مقتصراً على منزل حاج البصرة المسمى باسمها.

ولست أدري لماذا كان اسم «الغَمْرِ» أو «الغِمَارَ» مستغرباً فيما قاله الحربي، وماقاله محمد بن موسى في رسم «وجرة» في معجم البلدان !! ولعلي أسوق بعض الإيضاح عسى أن يسهم في الإبقاء على سلامة هذه النصوص فأقول:

لقد حدد لنا صاحب « المناسك» مايسمى بالغمار: أنه تلك الأرض الممتدة على ضفاف وادي العقيق ــ عقيق عشيرة ــ وأن «غمرة» من الغمار، كما أدخل منزل «وجرة» ضمن الغمار،لكنها سميت بهذا الاسم للتفريق بينها وبين منزل «غمرة».

إن أبا إسحاق الحربي لا يتكلم عن صحراء «وجرة» وإنما تحدث عن منزل من منازل الحاج البصري المسمى بهذا الاسم «وجرة» نسبة إلى هذه الصحراء، وهذا المنزل واقع في طرفها ممايلي الغمار.

وهذا يدلنا على أن المتقدمين يطلقون مسمى«الغمار» على مساحة قد تمتد شرقاً من شاطىء وادي العقيق إلى مسافة تقدر بحوالي تسعة أكيال إلى جهة الشرق لكونها منطقة

تغمرها المياه عند نزول الأمطار، وتمتد هذه المنطقة المسماة بالغمار لتشمل الجهة الواقعة غرباً من وادي العقيق حتى القرب من «ذات عرق».

كما بين لنا الحربي أن ذات عرق وما يقع عنها غرباً باتجاه القبلة إلى «الغُمَيْر» يسمى الغمر الثاني.

فمنزل «غمرة» واقع في الغمار الأول وليس في «وجرة» كما قال مؤلف «على ربى نجد» ومتعشى «الغُمَيْر» بالتصغير الواقع بين منزل «ذات عرق» ومنزل «البستان» سمي بهذا الاسم لوقوعه في الغمار الثاني.

ومن وراء الغمير «غمر ذي كندة» ولازال هذا الغمر محتفظاً باسمه القديم حتى الآن حيث يسمى «وادي كندة».

وقد عرف لنا أبو علي الهجري الغمار بقوله:

(والغِمارُ) بِرَكٌ تمتليء من ماء السماء مثل الحياض.[1])

وهذا الهمداني يقول في كتابه «صفة جزيرة العرب» وهو يعدد منازل إياد:

(وحُرض وعمير والغمر، وغمرة، وغمر ذي كندة.[2])

يبدو لي : أن كلمة «حُرَض» حُراضُ: وهو واد، وكلمة «عُمَيْر» غُمَير بالغين.

وعلى كل فاسم الغمار أو غمرة يطلق على أماكن عدة في الجزيرة العربية، وليس هذا مكان حصرها.

وكثيراً ما تختلط هذه المسميات على الباحثين؛ لذا نجد القدماء يسمون المنزل الواقع في طريق زبيدة بين المدينة وفيد «غَمْرَةَ مرزوق» نسبوها إلى مرزوق للتفريق بينها وبين منزل «غمرة» الذي نتحدث عنه.

---

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه: ص ٢٣٥.

(٢) صفة جزيرة العرب: ص ٣٣٠.

وغمرة مرزوق هذه واقعة فيما يسمى بالغمار أيضاً.

وإذا كان هناك من خلاف فهو حول: من قال الأبيات التي ساقها الحربي مستشهداً بها على «الغمار». فهل الشاعر قصد الغمار الذي نتحدث عنه أم قصد غماراً آخر؟

أم أن صحة الكلمة «الضِّمَار» بدلا من الغمار» ؟

فعلى كُلٍّ هذا ليس مكان البحث عن اسم الشاعر الذي تحسر على فراق نجد وشميم عراره.

هل هو: الصمة القشيري، أم الشاعر علي بن محمد، أم غيرهما ؟!

لكل ماتقدم فإني لست مع الأستاذ عاتق البلادي فيما قاله حول ماورد في كتاب المناسك.

ثالثًا: يقول الهمداني وهو يصف مناهل طريق درب زبيدة:

(... وأُفيْعِيَةُ، والمِسْلَح، وغَمْرَة، وعن يسارها وَجْرَة على طريق البصرة المارة بِفَلْج[1]).

رابعاً: يقول صاحب كتاب «بلاد العرب»:

(... أهل الكوفة يحرمون بِغَمْرَة، وأهل البصرة بِوَجْرَة، وهو منهل من مناهل طريق البصرة، وهما يتراءان، وبينهما نحو من ثلاثة فراسِخ. بينهما جبل يقال له الكُرَاع[2]).

أقول هذا تحديد واضح ودقيق لموقع منزل «وجرة» فهو بالفعل يبعد عن منزل «غمرة» (البركة حالياً) مسافة تسعة أكيال، وهي مايعادل ثلاثة فراسخ.

وقد يتبادر إلى ذهن القارىء من قوله (بينهما جبل يقال له الكراع) أنه يفصل بين المنزلين جبل عَالٍ، والصحيح أن الذي يفصل بينهما كراع من الحرة متطامن يقطعه

---

(١) صفة جزيرة العرب: ص ٢٨٦.

(٢) بلاد العرب: ص ٣٧٦.

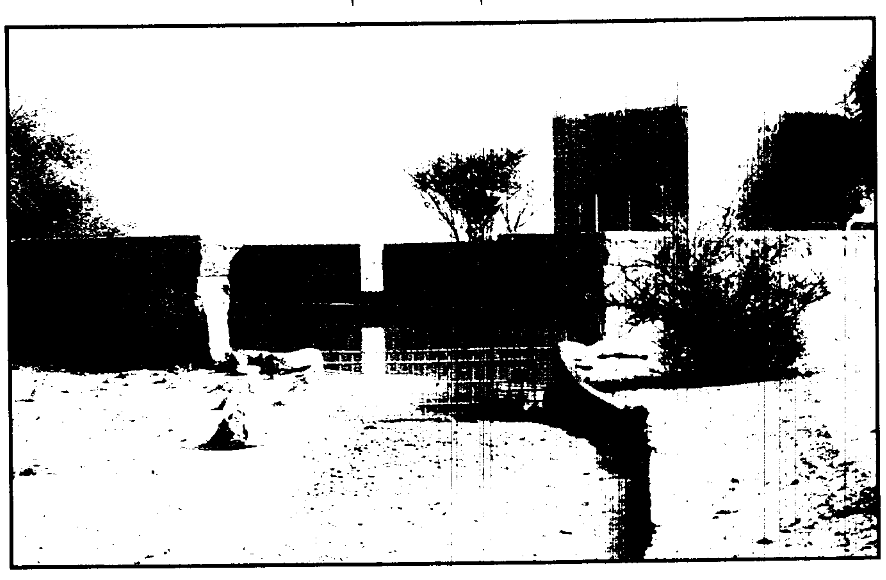
الطريق المزفت المتجه من الطائف وعُشَيْرة إلى بْلدة «المحاني» وماجاورها من القرى.

وهذا الطريق محـاذ لمجرى وادي العقيق يترك منزل غمرة على يساره بـالنسبة للمتجه شمالاً ترى بركة المنزل وأنت على الطريق.

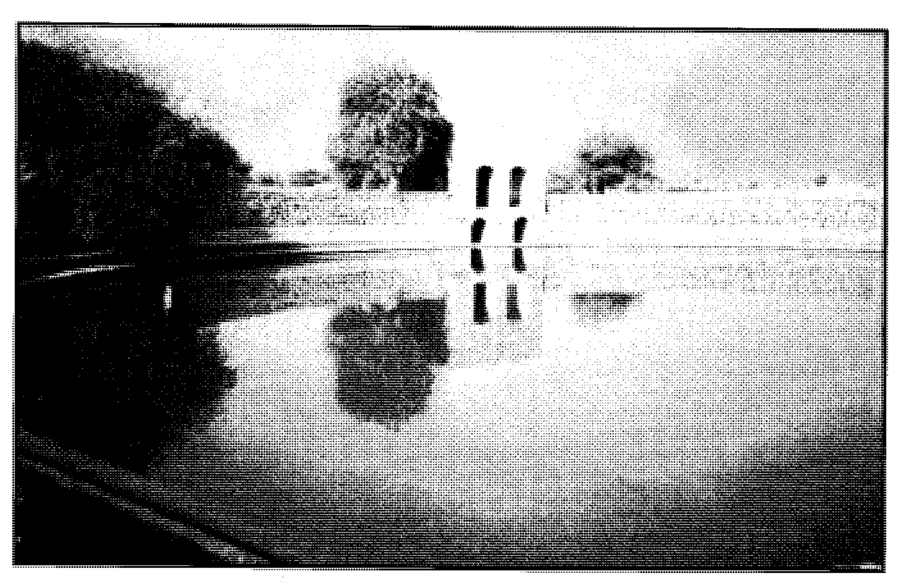
ومنزل وجرة هو المنزل الوحيد على الطـريق البصري الذي بقي واضح المعالم ببركتيه وقبته البديعة التي لازالت عامرة حتى الآن يستظل بها الناس.

والبركتـان متجاورتـان يربط بينهما مجـريان بحيث تغـذي الغربية مـن البركتين وهي الأصغر البـركة الشرقية الكبيـرة بالمياه ويبـدو لي أن الغربية عبـارة عن مصفى لأنها هي التي تستقبل ميـاه السيول وقـد أقيمت القبة فـوق المجرى بين البـركتين، وهي قبة كبيـرة ذات أبواب ونوافذ مقوسة الشكل على هيئة آزاج.

انظر إلى صورة البركتين والقبة ـ رقم (٦٢) ورقم (٦٣) .



المنظر (٦٢) البركة الغربية في منزل وجرة، وهي المصفى لأنها الأصغر ولأنها تستقبل مياه السيول وبعد امتلائها تصب في البركة الشرقية وهي الأكبر عبر المجريين الواقعين تحت القبة



منظر رقم (٦٣) البركة الكبيرة وهي الشرقية وقد امتلأت بمياه السيل.

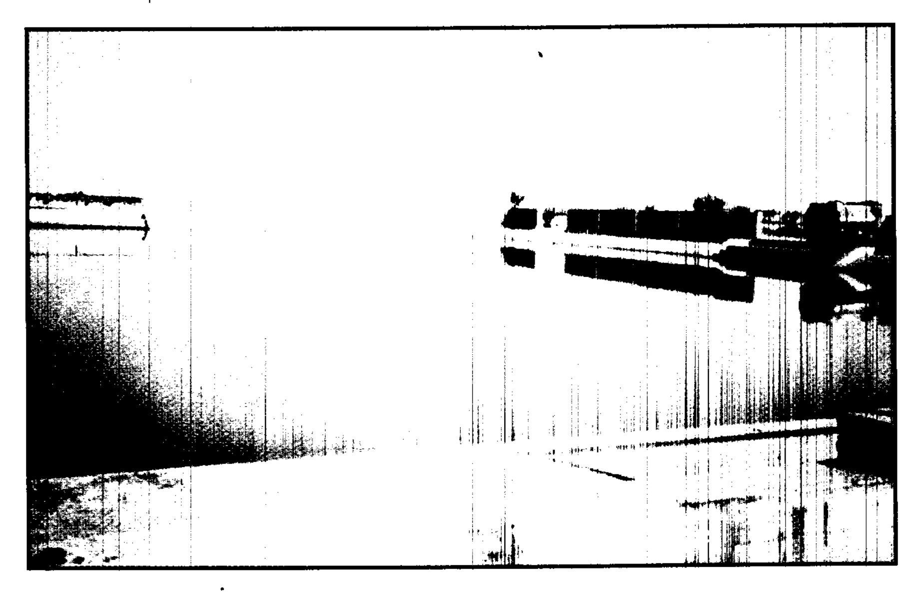
وعند إنشـاء البركتين قديماً عمل لهمـا مجرى مائي طـويل واسع مسقوف مطلي من الداخل بمادة تشبـه الجبس ويمتد هذا المجرى من البركتين بـاتجاه وادي العقيق بطول قدره ثلاثة عشر كيلاً تقريباً، ولمـا كان المجرى تحت الأرض فقد كشفت السيول الجارفة في عام ١٤١٣هـ جزءاً من هذا المجرى.

انظر إلى صورة ماكشفته السيول المنظر رقم (٦٤).

وفي وقتنا الحاضـر رممت البركتان كما أنشئت بركة بـالقرب من القديمتين فأصبحت تلك البرك تمتلىء بمياه السيول، ويستفيد القاطنون حـولها من المياه المختزنه فيها لعدة شهور. **انظر إلى صورة البركة الجديدة المنظر رقم (٦٥).**



منظر رقم (٦٤) جزء من المجرى القديم الذي كان يغذي بركة «وجرة» من مياه وادي العقيق إذا سال. وطول هذا المجرى ثلاثة عشر كيلاً تقريباً. وهذا الجزء كشفته السيول الجارفة عام ١٤١٣هـ



منظر رقم (٦٥) بركة جديدة واسعة أنشأتها الدولة في الأعوام الأخيرة بجوار البركة السابقة من جهة القبلة.

ومنزل وجرة واقع على خط العرض ٣٤ً ١١َ ٢٢ْ وخط الطول ٣٠ً ٥٠َ ٤٠ْ.
ببعد عن منزل «الشبيكة» ثمانية وستين كيلاً، وعن متعشى «بسيان» ثلاثة وثلاثين كيلاً، وعن متعشى «أوطاس» سبعة وعشرين كيلاً.

وعن ميقات «ذات عرق» اثنين وخمسين كيلاً.

وهنا يصل بنا الطريق البصري إلى مجرى وادي العقيق. ورغم زيارتي لهذه الناحية عدة مرات في مناسبات مختلفة إلا أنني لم أتجاوز مجرى الوادي ولذا فإن ما يقع عنه غرباً لا أعرف عنه شيئاً إلا ماقرأته من بطون الكتب. وهناك فرق شاسع بين سياحة الفكر بين طيات الكتب، وسياحة النظر على أرض الواقع.

وكلا السياحتين مكملة إحداهما للأخرى.

رحلة استطلاعية

بعد أن خلفت منازل طريق الحج البصري إلى جهة الشمال الشرقي، وآخرها متعشى «بسيان» ومنزل «وجرة» وصلت إلى شاطىء وادي العقيق ـ عقيق عشيرة ـ وعلى شاطئه الغربي يقع متعشى «أَوْطَاس» وهو مكان التقاء حاج البصرة مع حاج الكوفة الذين قدموا مع الطريق الكوفي المسمى (درب زبيدة) وآخر منزل لهم قبل أوطاس هو «غَمْرة».

وهذا القسم من الطريق لم يسبق أن طرقته من قبل، ولم أقف على آثار منازله، وقد سبق أن قلت ضمن ورقة عمل شاركت بها ضمن برنامج « اللقاء الثالث للجمعية السعودية للدراسات الأثرية» المنعقد بجامعة الملك سعود بالرياض يوم الخميس الموافق ٢٧/ ٨/ ١٤١٣هـ حيث تكلمت عن بعض منازل طريق البصرة وخاصة منزل «إِمَّرَة».

قلت في نهاية هذه الورقة:

ولعل أحد الباحثين وخاصة من يؤلفون عن طريق حاج البصرة، وحاج الكوفة أن يقف وِقْفَةً طويلة عند التقاء هذين الطريقين؛ لأن هناك بعض المواضع التاريخية التي تحتاج إلى تحقيق أدق وأعمق مما قيل حولها وهي: أوطاس، ومواضع غزوة حنين، وقبر أبي رغال، وغير ذلك من المواضع.

وكانت مصادفة طيبة أن يتصل بي فضيلة الشيخ «بكر بن عبد الله أبو زيد» عضو هيئة كبار العلماء وذلك أثناء إقامتي في مدينة الطائف صيف عام ١٤١٤هـ.

حيث أبدى رغبته القيام برحلة للوقوف على «ميقات ذات عرق» وسألني عما إذا كان لدي رغبة في مصاحبته؟ فشكرته على هذه المبادرة التي تتيح لي فرصة الوقوف على مكان كنت أتشوق إليه، وأنوي القيام بزيارته فجاءت هذه الفرصة الطيبة في الوقت المناسب.

وقـد قمنـا بهـذه الـرحلة صبيحـة اليـوم الـرابع والعشـرين من شهـر ربيع الأول عـام ١٤١٤هـ وقـد انضم إلينا كل من فضيلـة الشيخ محمد البدر عضـو هيئة كبـار العلماء، وفضيلة الشيخ يحيى الثمالي. وبهذا أصبح أعضاء الرحلة أربعة.

لقد فضلنـا الوقوف أولاً على منـزلي «غمرة» و «وجرة» وكـذا متعشى «أوطاس» حيث قيل إن بعض الحجاج يحرمون من هذه المنازل.

بعد الوقوف على منـزلي وجرة، وغمرة ومشاهدة آثارهما وبركهمـا التي امتدت إليها يد الإصلاح في وقتنا الحاضـر. وبما أنني لم أقف على متعشى «أوطاس» ولم أسلك الطريق إليـه من قبل فقد سألت عن الطـريق المؤدي إلى بـركة «أوطـاس» ويسميها سكـان تلك الناحيـة «البُرَيْكـة» كان الطريق إليهـا واضحاً لمن يعـرف اتجاه القبلـة لاسيما وأن جبل «مسوليا» ـ مَسُولى قديماً ـ يبـدو للعيان واضحاً من بُعد إذ هو أبرز الأعلام لمن يتجه إلى أوطاس، وذات عرق وطريق الحاج القديم يحفه من طرفهِ الجنوبي.

ولم نكد نقطع وادي «العقيق» حتى شاهدنا آثار بركة أوطاس جهة اليسار من الطريق.

كـان بودي أن أقف طـويلاً عنـد هذا المنـزل لأتحقق عن بعض الأمور التي مـازالت تـرتسم في ذهني عدة تسـاؤلات حـوله. ولكن نظـراً لضيق الـوقت ولأن القصد من هـذه الرحلة هو الوقوف على ميقات «ذات عرق» واصلنـا السير باتجاه ذات عرق وكان الطريق إليهـا سهلاً إلى أن حـاذينا جبل «مَسُـولى» حيث يصل الطريق إلى طـرف الحرة وعنـده تتحد الطرق لتسلك بين الجبال مع مايسمى «ريع الضَّرِيبة».

وعلى مشارف ذات عرق مررنا على نخيلات فـي مزرعة صغيرة تقع على ضفة الوادي اليمنى فعرجت لأسأل صاحب المزرعة ـ الواقف عند البئر-عن ذات عرق:

فقال: هـذا الجبل الذي يحفه الطـريق من جهته الشمـالية هو جبل «عـرق» أما ذات عرق الميقات فهي عند منحنى الوادي عندما يتجه غرباً قبل نهاية الجبل.

وقد سألته عن اسم الوادي الذي تقع مزرعته على جانبه فقال: اسمه «أنْخُل» بالخاء المعجمة. كان الطريق يسير بمحاذاة جبل عرق وامتداد هذا الجبل قرابة الكيلين، وقبل طرفه مما يلي القبلة ينحنى الوادي متجهاً غرباً، وأظن هذا المنحنى هو مايسمى في وقتنا الحاضر «الْحِنُو». تكثر في هذا المكان الأشجار الكبيرة ذات الظلال الوارفة.

إن هذا المكان هو مكان الإحرام، ولاتزال أساسات المباني والمنشآت الممتدة على ضفتي الوادي بادية للعيان.

إنني هنا لست أقرر مكان «ميقات ذات عرق» من الناحية الشرعية حيث أن مهمة تقرير ذلك يرجع أمره إلى كبار علمائنا الأجلاء، وسيكون لي حديث أطول من حيث الموقع الجغرافي في رحلة قادمة إن شاء الله.

لقد استفدت كثيراً من هذه الرحلة في مجال بحثي؛ لاسيما وأن من بين أعضائها علماء أفاضل يستفاد منهم في مثل هذه الرحلات العلمية فهم القوم لايشقى بهم جليسهم خاصة وأن منهم فضيلة الشيخ «بكر أبوزيد» الذي نجد من بين مؤلفاته العديدة ماله مساس بجغرافية الجزيرة العربية مثل كتابه «خصائص جزيرة العرب»، كما أن له صحبة قديمة مع «معجم البلدان» لياقوت الحموي.

بعد هذه الاستراحة الممتعة في ظلال أشجار ميقات ذات عرق، وبعد جولة على الأقدام بين آثاره، وجولة أخرى للفكر والخيال حول ماكان لهذا الميقات من ماض عريق في التاريخ الإسلامي عندما كان يعج بوفود الحجيج إلى بيت الله الحرام على مر السنين الخوالي حيث انطلقت منه هذه الوفود قاصدة مولاها بألسنة تلهج بالتهليل والتكبير، وعيون تذرف بالدمع الغزير؛ بحيث لا يُسمع إلا صوت لبيك اللهم لبيك مختلطاً برغاء الإبل الضوامر (وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق).

ويصحو الفكر على ما يكتنف الـوادي من الصمت المطبق الذي لا يعكره إلا صوت حفيف الأشجار.

ولعل المرء يتساءل فيقول:

هل من بعث لماضي هذا الميقات لتنطلق منه أصوات الحجيج بالتلبية لتبدد هذا الصمت؟

لعلي أجيب عن هذا التســاؤل فأقول: إنما أحسسته من اهتمام المسئـولين بشأن هذا الميقـات سيجعلنا إن شـاء الله نشهد عمـارته مـن جديـد كما هي عـادة المخلصين في بلادنا الحبيبـة الحرص على عمارة كل مالـه علاقة بأمور ديننـا الحنيف، وسنلبي بمشيئة الله تعالى في ميقات ذات عرق قريباً بعد تعبيد الطريق إليه وعمارته.

بعـد هذه الاستـراحة الممتعـة حبذ المشـايخ التجول بـالسيارة من وراء جبل«عـرق» جنوباً وشرقاً ليتحققوا من بعض الأمور التي لها أهميتها بالنسبة لهم.

وبعد انتهاء الجولة قفلنا عائدين إلى مدينة الطائف عن طريق «عُشَيرة» مروراً بالجبال والأودية الواقعة عنها شمالاً غربياً.

وكان لهـذه الرحلـة الاستطلاعية طـابعها الخـاص الذي جعلني أستفيـد منها الشيء الكثير.

متعشى أوطاس

بعد عودتي من الـرحلة الاستطلاعية إلى «أَوْطَاس» وميقات «ذَاتِ عِـرْقٍ» قررت القيام برحلة استقصائية إليهما. فحددت يوم الخميس الثلاثين من الشهر نفسه.

وقد حَبَّذ الأستاذ عبـد العزيز بن صالح الشايع مرافقتي في هذه الـرحلة، ومثله يستفاد منه لكونه من محبي الرحلات، يضاف إلى ذلك أن لـه جهداً يشكر عليه في متابعة إعمار بعض البرك الواقعة على «درب زبيدة»، وبركة «وجرة» الواقعة على طريق البصرة، ولكونه لم يقف على منـزل « ميقـات ذات عـرق» من قبل؛ فقـد حرص كثيـراً على القيـام بهـذه الرحلة. وهـذا شيء لا أستغربه منه فقـد عودني سلمه الله على تحمل رحلات سـابقة مع ماانطوت عليه من مشاق وصعوبات.

لقد ابتدأنا الرحلـة بالوقوف على بركة أوطاس، وتسمى في الوقـت الحاضر «البريكة» بالتصغير تمييزاً لها عن «غمرة» حيث يسمونها «البركة».

كانت بركـة أوطاس عندما زارهـا فريق إدارة الآثار مطمورة لم يتضح منهـا سوى ظهر حائطها؛ فلذا وصفوها بقولهم (.. . وقد بنيت البركة من الحجر وتلييسها بالجبس[1]).

ولكن بعد وقوفنا عليها وجدناها قد حفـرت فاتضح أن حيطانها مبنية بالطوب الأحمر، وهي غيـر مـدرجة مثل البـرك الأخـرى المبنيـة من الحجارة، ولكن الحجـارة بنيت فـوق حائطها فقط.

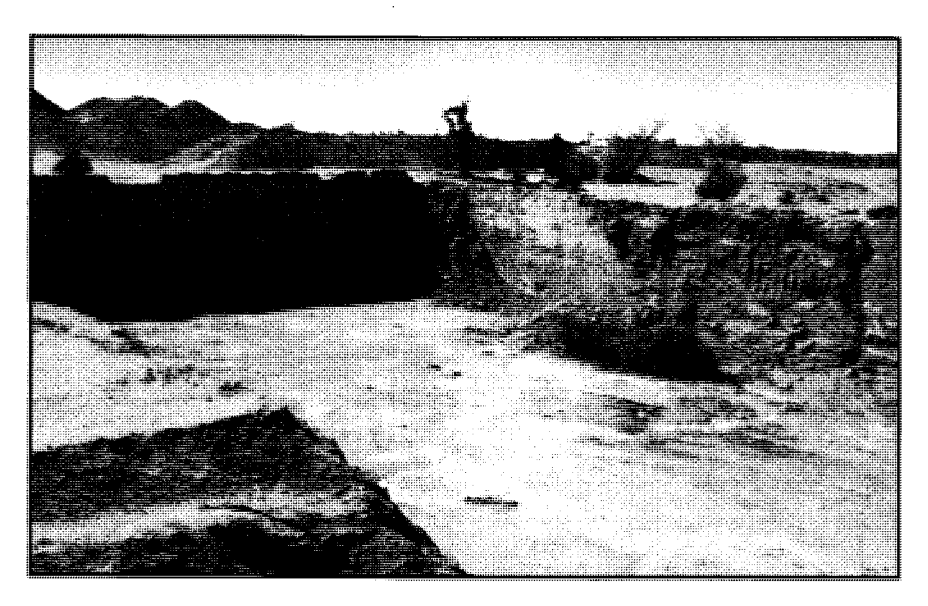
وشكلها مستطيل. **انظر إلى صورتها بعد حفرها المنظرين رقم (٦٦) ورقـم (٦٧)**

ويوجد بالقرب من زاويتها الجنوبية الشرقية بئر مطوية بالحجارة طياً محكماً.

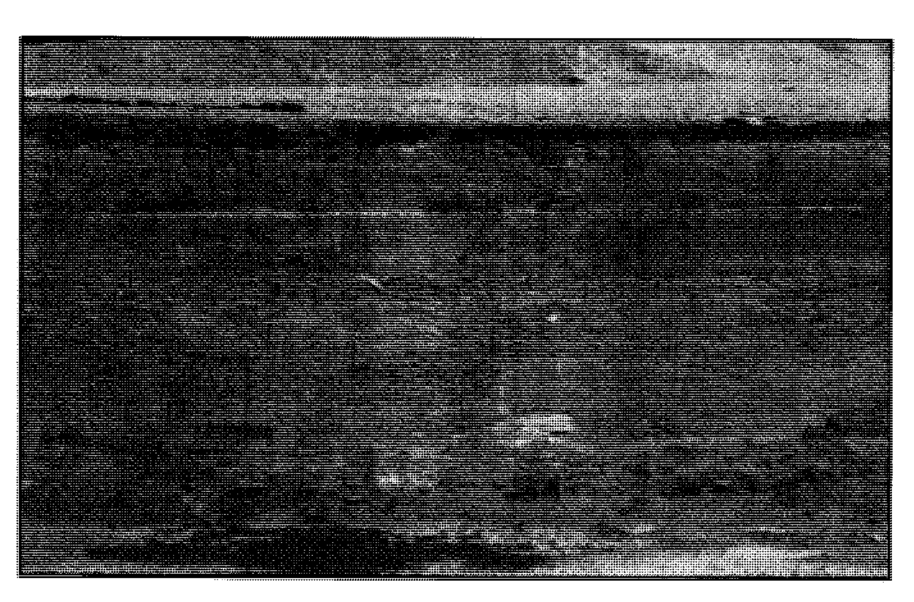
انظر إلى صورة البئر المنظر رقم (٦٨).

---

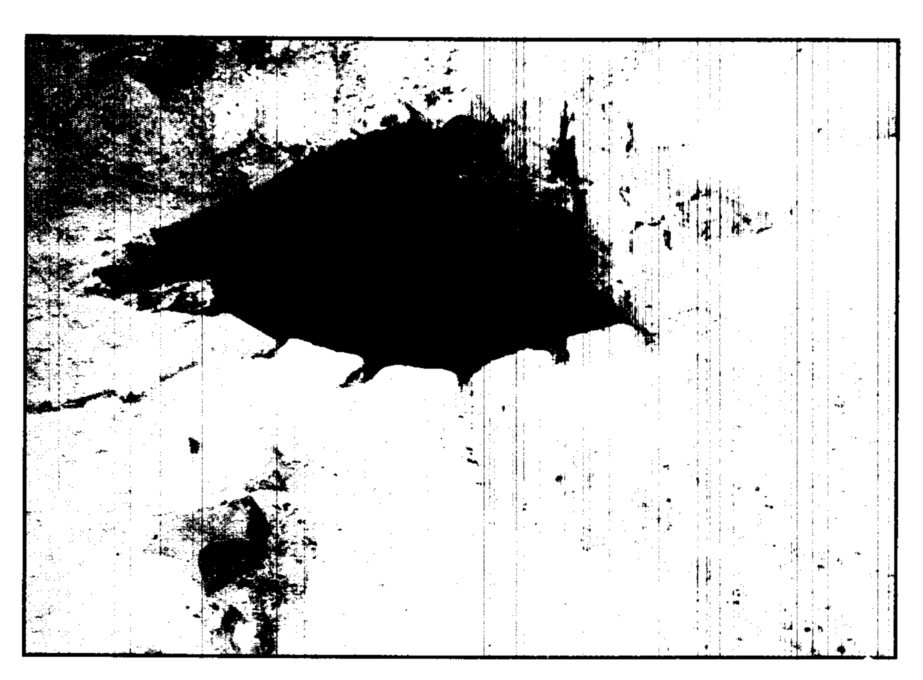
(١) دورية « أطلال» العدد الثاني: ص ٦٩.



منظر رقم (٦٦) بركة «أوطاس» بعد أن تم حفرها.



منظر رقم (٦٧) الحائط الجنوبي لبركة «أوطاس» وقد بنيت بالطوب بخلاف البرك
الأخرى المدرجة المبنية بالحجارة.



منظر رقم (٦٨) بئر مطوية بالحجارة واقعة بجوار بركة «أوطاس»
عند زاويتها الجنوبية الشرقية.

وتقع البركة في ملتقى وادي «سلحة» مع وادي «العقيق».

على خط العرض ٢٣ً ٠٣َ ٢٢ وخط الطول ٥٧ً ٣٦َ ٤٠ْ.

وحيث أن أوطاسَ من الأماكن التاريخية؛ فبالإضافة إلى وجود منزل من المنازل المهمة من طريق الحج العراقي فيه فقد وقعت فيه معركة من أهم المعارك في صدر الإسلام ونظراً لوجود بعض التداخلات في كلام المؤرخين وكذا علماء البلدان عند ذكرهم لأوطاس فقد استحسنت الوقوف هنا لاستعراض ماقالوه ومن ثم التعليق بما أراه صواباً فأقول:

أَوْطَاسُ:

أولاً: قال ياقوت الحموي بعد أن تكلم عن اشتقاق كلمة «الأوطاس» من الناحية اللغوية:

(وأوطاس: واد في ديار هَوَازِن فيه كانت وقعة حُنَيْن للنبي ﷺ ببني هوازن، ويومئذ قال النبي ﷺ: حَمِيَ الْوَطِيسُ وذلك حين استَعرتِ الحرب وهو ﷺ أول من قاله؛ وقال ابن شبيب:

الغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق، ونَجْدٌ من حد أوطاس إلى القريتين؛ ولما نزل المشركون بأوطاس قال دريد بن الصِّمَّة وكان مع هوازن شيخاً كبيراً: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس؛ قال:

نِعْمَ مَجَالُ الخَيل لا حَزْنٌ ضَرِسٌ ولا سهلٌ دَهِسٌ؛...

وقال أبو وجزة السَّعدي:

ياصَاحِبَيَّ انظرا هل تؤنسان لنا   بين العقيق وأوطاس بأحداج[1].

التعليق على هذا النص:

١ـ قول ياقوت عن أوطاس بأنه واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين.

قوله عن أوطاس بأنه واد: قد يكون الاسم يطلق على الوادي وعلى ماحوله من الأرض، وقد يكون الوادي المسمى «سلحة» هو وادي «أوطاس».

أما قوله عن هذا الوادي: فيه كانت وقعة حنين.

فالصحيح أن وقعة حنين لم تدر رحاها ويحمى وطيسها في «أوطاس»، وإنما وقعت بالقرب من «حُنَيْن» ولذا سميت هذه الوقعة «غزوة حنين» ، وحنين بعيد من أوطاس فهو بالقرب من مكة المكرمة.

٢ـ قد يؤخذ من مقولة الرسول ﷺ حينما استعرت الحرب: (حمي الوطيس) أن أوطاس سميت بهذا الاسم من قوله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) معجم البلدان: ص١/ ٢٨١.

ويـرد على ذلك أن أوطاسَ تسمى بـاسمها هـذا قبل أن تحصل مـوقعة حنين، ويـدل على ذلك مـاورد فيها من أشعـار قبل الإسـلام، وكذلك مقـولـة: «دريد بن الصِّمـة» قبل حصول المعركة عندما تجمعت قبيلة هوازن في أوطاس لملاقاة النبي ﷺ وأصحابه.

٣ـ مما يـدل على بعد أوطاس من حنين قول الشاعـر السعدي: (بين العقيق وأوطاس بأحداج) فأوطاس يقع غرباً من مجـرى وادي العقيق غير بعيد منه، وبينه وبين حنين أكثر من مائة كيل.

ثانيا: يقول أبو عبيد البكري:

(أوْطَاسُ ... واد في ديـار هَوَازِن، وهنـاك عسكروا هم وثقيف، إذ أجمعـوا على حرب رسـول الله ﷺ، فالتقـوا بحُنين، ورئيسهم مـالك بن عـوف النَّصْري، وقـال لهم دُرَيْـدُ بن الصِّمَّة وهو في شِجار يُقاد به بعيره:

بأيِّ واد أنتم؟ قالـوا: بأوْطَاس. قال: نِعْمَ مجال الخيل لاحَـزْنٌ ضرِس، ولا لينٌ دَهِس.

وإلى أوطاس تَحيَّز فَلُّهم بعـد أن انهزموا، ومنهم من تحيز إلى الطـائف وكان دريد فيمن أدركه الطلب بأوطاس، فقتل ، قتله ربيعـة بن رفيع السُّلَمي. وحنين: ماء لهم. قالت امرأة من المسلمين لما هزم الله هوازن، وأظهر عليهم رسوله:

إن حُنَيْنـــاً مـــاؤُنـــا فخلُّـــوهْ
إن تنهلـــوا مـــنه فلـن تَعُلُّـــوهْ
هـــذا رســـول الله لـن تَغُلُّـــوهْ ..[1])

أقول مـاذكره البكـري هنا هـو مايتمشى مع الصـواب، ومع أحداث غـزوة حنين، وما أعقبهـا من أحداث، ومنهـا السَّـريَّة التي بعثهـا رسـول الله ﷺ لتتعقب فلول هـوازن التي عسكرت في أوطـاس، ولكن البعض خلط بين غـزوة «حنين» ومعركة «أوطـاس» وسيأتي معنا خبرها.

---

(١) معجم ماااستعجم: ص١/ ٢١٢.

ثالثاً: يقول صاحب كتاب «بلاد العرب»:

(وغَمْرةُ منهل بواد يقال له العقيق. وفوق ذاك أوطاس، وهي أرض برية طيبة لبني سليم. ثم إذا جاوزت أوْطاسَ أشرفت على غور تهامة[1]).

أقول: وصف أوطاس بأنها أرض برية طيبة لبني سليم. يؤيد القول بأن أوطاسَ تطلق على الوادي وعلى الأرض التي حوله كما أسلفت.

وقوله: إنها لبني سليم. فهذا لا يتنافى مع القول بأنها لبني هوازن فقد تكون آلت لبني سليم بعد مجيء الإسلام.

رابعاً: قال أبو إسحاق الحربي في مناسكه:

(وأوطاس الذي قسم النبي ﷺ عندها غنائم حنين حين رجع من الجِعْرَانة.

وأوطاس بها قصور، وأبيات، وحوانيت، وبركة، يسرة.

ويقال إن النبي ﷺ كان يرضع في تلك الناحية.

وثم مسجد يقال له مسجد عائشة رضي الله عنها، بناه عبد الصمد بن على[2]).

التعليق:

١ـ قوله: (وأوطاس الذي قسم النبي ﷺ عندها غنائم حنين حين رجع من الجعرانة) يبدو لي أن هذا القول فيه نظر. فالرسول عليه الصلاة والسلام وزع الغنائم حين رجع من الطائف، ولم يذكر أحد من المؤرخين أنه سلك في منصرفه إلى المدينة طريقاً يمر بأوطاس.

٢ـ قوله: (ويقال: إن النبي ﷺ كان يرضع في تلك الناحية)

أقول: إن النبي ﷺ رضع في بني سعد. وبلاد بني سعد تقع غرباً من هذه الناحية أما أوطاس هذه فهي إبان رضاعته عليه السلام تعتبر من بلاد هوازن.

---

(١) بلاد العرب: ص ٤٠٥.

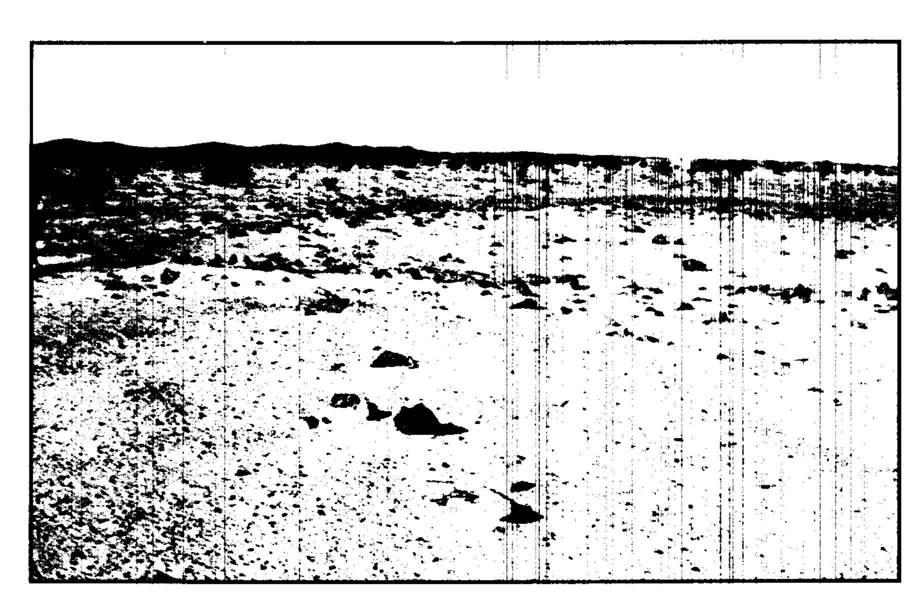
(٢) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج: ص ٣٤٦.

٣ـ قوله: (بها قصور، وأبيات، وحوانيت، وبركة يسرة)

أقول: بـالنسبة للبركـة فقد وصفتها لك مع البئر، أمـا القصور والبيوت فقـد يُرَى بعض أساسات فيما يظن أنها مساكن.

وقد وقفنا على أساس بناء فسيح لم يبق منه إلا أسـاسه المبني بالحجارة السوداء وهو واقع شمـالاً من مـوقع البـركـة يفصل بينهما الـوادي، وبجـواره من جهـة القبلـة علمين واضحين يخرج الحاج من بينهما، وحوله بعض أكـوام من الحجارة قد تكون بقايا لبيوت أوحوانيت حوله. قد يكون هذا المبنى مسجداً، أوقصراً كبيراً.

انظر إلى صورة أساس هذا المبنى المنظر رقم (٦٩)



منظر رقم (٦٩) أساسات مبنى كبير قد يكون قصراً أو مسجداً،

ويبدو جبل «مَسُولى» من بعد في أيمن الصورة.

٤ـ قولهم إن البركة يسرة عن الطريق فهذا صحيح إذ أنه يفصل بينهما وبين الطريق مجرى الوادي.

هذه بعض أقوال قدماء المؤرخين وعلماء البلدان عن أوطاس.

أما ماقاله عنه مؤلفو وقتنا الحاضر فسأكتفي بما قاله الأستاذ عاتق البلادي.

خامساً: يقول الأستاذ عاتق تعليقاً على قول صاحب المناسك:

(قلت: وقوله قسم عندها غنائم حنين وهم، والصحيح أنها قسمت بالجعرانة وكذلك رضاعه ﷺ، لأن هذه ليست ديار بني سعد وإنما ديارهم كانت رؤوس النخلتين، كما هي اليوم ديار بعضهم[١]).

أقول: هذا هو القول الصائب.

وفي كتابه «الرحلة النجدية» حدد لنا أوطاس بقوله:

(تقع عند التقاء واد يسمى وادي سِدْحة بوادي عقيق عشيرة، يأتي وادي سدحة من الغرب فيصب في عقيق عشيرة من الضفة اليسرى، تعرف اليوم باسم البريكة.[٢])

أقول: هذا تحديد صائب. وإن كان لي من تعليق هنا فهو حول تسميته للوادي باسم «سِدْحة» فالصحيح أنه يسمى «سِلْحَة» باللام، وقد تكون الدال جاءت تصحيفاً من الطابع.

أمُّ خُرْمان:

يسمى متعشى أوطاس باسم آخر وهو «أُمُّ خُرْمَان» نسبة إلى امرأة اشتهرت في هذا الموضع. وإليك ماورد من النصوص حول أم خرمان:

أولاً: يقول ياقوت الحموي:

(أُمُّ خُرْمان .... قال أبو مهدي: أم خرمان ملتقى حاج البصرة وحاج الكوفة وهي بركة إلى جنبها أكمة حمراء على رأسها موقد؛ وأنشد:

---

(١) معجم معالم الحجاز: ١/ ١٥٤.

(٢) الرحلة النجدية: ص ١١٩.

يـاأُمَّ خُـرْمـان ارفعي الـوقـودَا — تـري رجـالاً وقـلاصـاً قُـودَا
وقـد أطـالـت نـارُك الخُمُـودا — أنمْتِ أم لاتجـدين عُـودا

وأنشد الهذلي يقول:

يأم خرمان ارفعي ضَوْءَ اللَّهَبْ — إنَّ السويق والدقيق قد ذَهَبْ

وفي كتاب نصر:

أُمُّ خُرْمان جبل على ثمانية أميال من العُمْـرة التي يحرم منها أكثر حاج العراق ، وعليه علَمٌ ومَنْظرة، وكـان يوقد عليها لهـداية المسافرين، وعنـده بركة أوطاس، ومنـه يعدل أهل البصرة عن طريق أهل الكوفة[١]).

وقال أيضاً في رسم «خُرْمَان»:

(... وخُرْمان: جبـل على ثمانية أميال من العمـرة يحرم منها أكثر حـاج العراق وعليه علم ومنظرة كان يـوقد عليها لهدايـة المسافرين ومنها يعدل أهل البصـرة عن طريق أهل الكوفة[٢]).

أقول: يبدو لي أن تحديد المسافة (على ثمـانية أميال من الْعُمْرَةِ) القصد منه بعد «أم خرمان» عن منـزل «غمرة» حيث أن كلمة «العمرة» هنا لامعنى لهـا مادام أن بعض الحاج يحرمون من «غمرة» وبعضهم من «أم خرمان».

فإذا كان القصد من كلمة «الْعُمْرَةِ» الميقـات. فإن الميقات «ذات عرق» ولا عبرة بمن أحرم من هذين الموضعين.

والمسافة بين أم خـرمان وذات عرق - الميقات - خمسة وعشـرون كيلاً؛ أي أكثر من اثني عشر ميـلاً. بينما نجد أن المسافـة بين أم خرمان و «غمـرة» ثمانية عشر كيـلاً أي ما يعادل ثمانية أميال تقريباً.

---

(١) معجم البلدان: ص١/ ٢٥١.

(٢) معجم البلدان: ص٢/ ٣٦١.

من هذا يستدل أن الكلمة دخلها شيء من التصحيف فقيل العمرة بدلاً من «الغمرة» بالغين المعجمة وليس الأمر كما قال صاحب «معجم معالم الحجاز» وهو يعلق على قول ياقوت الحموي المتقدم عن أم خرمان حيث قال الأستاذ عاتق (وقوله العمرة : يقصد ذات عرق[1]).

ثانياً: يقول صاحب كتاب «بلاد العرب»:

(ويجتمع طريق البصرة والكوفة بأم خرمان وهي أوطاس. وفي أم خرمان يقول الشاعر:

ياأم خرمان ارفعي الوقودا فقد أطالت نارك الخمودا

أنمت أم لا تجدين عودا[2]).

ثالثاً: يقول أبو إسحاق الحربي:

(وعلى ثمانية أميال من غمرة عند الحادي عشر من البريد يسرة، قبل البريد أُمُّ خُرْمان، ومنه يعدل أهل البصرة، وهو الجبل الذي عليه علم ومنظرة وعنده بركة أوطاس وآبار ومنازل وأم خرمان امرأة كانت في هذا الموضع، يسمى ذلك الجبل باسمها[3]).

أقول: قول الحربي (على ثمانية أميال من غمرة يوضح لنا الأمر وأن صحة الكلمة التي تكلمنا عنها آنفاً «الغمرة» بالغين وليست « العمرة » بالعين المهملة.

(وأم خرمان على سبعة عشر ميلاً من وجرة وهي ملتقى طريق الجادة من الكوفة، وطريق الجادة من البصرة، وهو وادي العقيق[4]).

من النصوص المتقدمة تبين لي أن هذا المتعشى يسمى «أوطاس» نظراً لوقوع البركة في وادي أوطاس وكذا المنشآت التي حولها.

أما اسم «أم خرمان» فيطلق على الجبل الذي عليه العلم والمنظرة ويوقد عليه ليلاً لهداية الحاج.

---

(١) معجم معالم الحجاز: ٣/ ١١٧.

(٢) بلاد العرب: ص ٣٧٦.

(٣) المناسك: ص ٣٤٦.

(٤) المناسك: ص ٦٠٢.

ولكن هل هذا الجبل معروف الآن؟

يقول الأستاذ عاتق بن غيث البلادي وهو يتحدث عن الآثار في أوطاس:

(وحول الآثار أكيمات متفرقة أهمها أكمة تشرف على أوطاس من الشمال يعتقد أن الميقدة كانت فيها، وآكامها سهلة بحيث تعلوها السيارة بلامشقة، ومن الطبيعي أن الخيل كانت تعلوها أيضاً [1]).

تحديدي لمكان الميقدة:

كما قال الأستاذ عاتق فإن الآكام الواقعة شمالاً من البركة سهلة المرتقى، ولذا علوتها عندما زرت أوطاس ولم أجد أي أثر يدل على أنه كان يوجد فوقها منظرة.

ولما كان ياقوت الحموي ذكر في النص المتقدم: أن أبا مهدي أوضح لنا أنها أكمة حمراء على رأسها موقد.

لذا رشحت إحدى لأكمات القريبة من البركة من ناحية الجنوب ـ لا من ناحية الشمال كما قيل ـ حيث أن هذه الأكمة يميل لونها إلى الحمرة من بين الآكام الأخرى التي يغلب على لونها السواد.

وماكدت أعلو هذه الأكمة حتى تبين لي أنها هي «أم خرمان» ومازالت آثار المنظرة باقية حتى الآن.

انظر إلى صورتها رقم (٧٠).

وقد حاولت أن أبحث عن المكان الذي كان يوقد فيه حول المنظرة ولكن نظراً لاستواء سطح الأكمة فقد اتخذها من سكنوا بالقرب من المكان مقبرة لموتاهم حيث يوجد بالقرب من أثر العلم والمنظرة بعض القبور الدارسة. ومن المحتمل أن يكون «وِجارُ» أم خرمان استعمل ودفن فيه.

وقبل أن أترك بركة أوطاس، وأم خرمان وموقدها فسأقف وقفة طويلة عند «أوطاس» لأتكلم عنها من الناحية التاريخية فأقول:

---

(١) الرحلة النجدية: ص ٣١.



منظر رقم (٧٠) جبيل أم خرمان ويسمى حالياً «المنيبر» ويرى في الصورة العَلَم أو المنظرة وقد تناثرت حجارتها من حولها، وبجانبها مثلها قد تكون إحداهما المنظرة والأخرى العلم، والميقدة حولهما.

وقفة في حزم أوطاس

جمعني بأحد الإخوان مجلس وكان يحمل معه كتاب «مختصر السيرة» لابن هشام، وقد سررت عندما أخبرني أنه يحضر جلسة لأحد العلماء يتدارسون فيها سيرة المصطفى ﷺ. وبتصفحي للكتاب وجدته قد علق على عنوان «غزوة حنين» بما مفاده:

أن هذه الغزوة تسمى: غزوة حنين، وأوطاس، وهوازن.

والواقع أنه كثيراً ما يخلط البعض بين موضعي «حنين» و «أوطاس» حيث ظنوا أن أوطاس بجانب حنين ، وأن المعركة التي جرت بين النبي ﷺ ومعه المسلمون وبين قبيلة هوازن تنسب إلى أي واحد من هذين الموضعين فيسمونها غزوة حنين وأوطاس وهوازن.

والصحيح أن المكانين متباعدان، وأن المعركتين مختلفتان وإن كانت إحداهما مكملة للأخرى وإليك بعض من قالوا بذلك:

١ـ يقول الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في تحقيقه لسيرة ابن هشام عند ذكر «أوطاس»:

(أوطاس ... قال ياقوت: «واد في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين للنبي ﷺ ببني هوازن، يومئذ قال النبي: حمي الوطيس، وذلك حين استعرت الحرب، وهو ﷺ أول من قاله.» اهـ [1]).

٢ـ أما الشيخان: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري فقالا عند تحقيقهما للكتاب نفسه «السيرة النبوية» لابن هشام:

(أوطاس: واد في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين، وفيها قال ﷺ الآن حمي الوطيس، وذلك حين استعرت الحرب، وهي من الكلم التي لم يسبق النبي إليها. (راجع معجم البلدان ياقوت والسهيلي [2]).

(١) سيرة ابن هشام: هامش صفحة ٤/ ٦٥.

(٢) السيرة النبوية: هامش صفحة ٤/ ٦٣.

٣ـ أما مؤلفا كتاب «أيام العرب في الإسلام» الأستاذان علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم فقد عنونا هذا اليوم بمسمى «يوم حنين» وعلقا في الهامش بما نصه:

(... كانت في السنة الثامنة من الهجرة. وحنين: واد إلى جنب ذي المجاز، ويسمى غزوة أوطاس، وهوازن.[٢])

أقول:

لقد خفي أمر «أوطاس» على كثير من المؤرخين فحسبوه قريباً من «حنين» وحتى نتصور مجريات أحداث غزوة «حنين» وما أعقبها من أمور مثل «سرية أوطاس» و«حصار الطائف» فقد استحسنت أن أسوق بين يدي القاريء ملخصاً لمسببات وأحداث غزوة حنين. وخير مانستقي منه هذه المعلومات هو كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام فإليك بعضاً مما قاله عن هذه الغزوة، وما تلاها من أحداث:

(غزوة حنين في سنة ثمان، بعد الفتح ـ قال ابن إسحاق:

ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جَمَعها مالك بن عَوْف النَّصْرِيُّ، فاجتمع إليه من هوازن ثقيف كلها، واجتمعت نَصْرٌ وجُشَم كلها، وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل، ولم يشهدها من قيس عَيْلاَن إلا هؤلاء، وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ولم يشهدها منهم أحد له اسم، وفي بني جُشَم «دُرَيْدُ بن الصِّمَّة» شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مُجَرَّباً، وفي ثقيف سَيِّدان لهم: في الأحلاف «قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعَتِّب» وفي بني مالك « ذو الخِمار سبيع بن الحارث بن مالك» وأخوه أحمر بن الحارث، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري.

---

(٢) أيام العرب في الإسلام: هامش صفحة ١٤٠.

فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حَطَّ مع النـاس أموالهم ونساءهم وأبنـاءهم فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه النـاس وفيهم دريد بن الصمة في شِجارٍ [1] له يقاد بـه، فلما نزل قال: بأيِّ واد أنتم؟ قالوا:

بأوطاس، قال: نِعْمَ مَجَالُ الخيل، لاحَزْنٌ ضرِسٌ، ولاسَهْلٌ دَهِسٌ.

مالي أسمع رُغَاء البعير ونُهَاق الحمير وبُكاَء الصغير ويُعَار الشَّاء؟

قالوا: ساق مالكُ بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟

قيل: هذا مالك، ودعي له، فقال:

يامالك: إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يـوم كائن له مابعده من الأيام، مالي أسمع رُغَـاء البعير ونُهـاق الحمير وبكـاء الصغيـر ويُعَار الشـاء؟ قال: سُقْتُ مع النـاس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولِم ذاك؟

قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم، قال:

فَانْقَضَ به، ثم قال: راعي ضأن والله، وهل يَرُدُّ المنهزم شيء؟

إنهـا إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفـه ورمحه، وإن كـانت عليك فُضِحْت في أهلك ومالك، ثم قال:

مافعلت كعب وكـلاب؟ قالوا: لم يشهدهـا منهم أحد، قال: غاب الحَـدُّ والجِدُّ، ولو كان يـوم علاء ورفعة لم تغب عنـه كعب ولا كلاب، ولـوَدِدْت أنكم فعلتم مافعلت كعب وكلاب، فمن شهدها منهم؟

قـالوا: عمـرو بن عامـر وعوف بن عـامـر، قال: ذانك الجَـذَعَانِ من عـامر لا ينفعـان ولايضـران، يامـالك إنك لم تصنع بتقديم البيضـة بيضة هـوازن إلى نحور الخيل شيئـاً، ارفعهم إلى مُتَمنَّع بلادهم وعُلْيـاَ قومهم ثم الْقَ الصُّبَّاء على متـون الخيل، فإن كانت لك لحق بك مَنْ وراءك، وإن كانت عليك أَلْفَاكَ ذلك وقد أَحْرَزْتَ أهلك ومالك، قال:

لا والله لا أفعل ذلك، إنك قـد كبـرت وكبـر عقلك، والله لتُطِيعُنَّنِي يـامعشـر هـوازن

(١) الشِّجَارُ: شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى.

أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر، أو رأي، قالوا أطعناك...

قال ابن إسحاق: ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شُدُّوا شَدَّة رجل واحد.

قال: وحدثني أمية بن عبد الله بن عمر بن عثمان أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم، فقال ويلكم !! ماشأنكم؟

فقالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلْق، فو الله ما تماسكنا أن أصابنا ماترى، فو الله مارده ذلك عن وجهه أن مضى على مايريد.

قال ابن إسحاق: ولما سمع بهم النبي ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ماهم عليه ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.

... ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفاً.

... قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله قال:

لما استقبلنا وادي حُنَيْن انْحَدَرْنَا في واد من أودية تِهَامَة أَجْوَفَ حطوط إنما ننحدر فيه انحداراً، قال: وكان في عَمَاية الصبح وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا، فوالله ماراعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدُّوا علينا شَدَّة رجل واحد، وانْشَمَرَ الناس راجعين لايلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال:

«أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَيَّ أنا رسول الله ﷺ أنا محمد بن عبد الله» قال فلا شيء،

حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلا أنه بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وأبوسفيان بن الحارث وابنه والفضل ابن العباس وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن ابن أم أيمن بن عبيد قتل يومئذ.

... قال ابن إسحاق: فحدثني الزهري، عن كثير بن العباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب، قال: إني لمع رسول الله ﷺ آخِذٌ بحَكَمَة بَغلته البيضاء، قد شَجَرْتُها بها، قال: وكنت امرءاً جسيماً شديد الصوت، قال: رسول الله ﷺ يقول - حين رأى ما رأى من الناس - «أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ»؟ فلم أر الناس يَلْوُون على شيء، فقال: «يَاعَبَّاس اصْرُخْ يَامَعْشَر الأَنصَار يَامَعْشَرَ أَصْحاب السَّمُرةِ» قال:فأجابوا: لبيك لبيك، قال: فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وتُرْسَهُ، ويقتحم عن بعيره، ويخَلِّي سبيله فَيَؤُمُّ الصوت، حتى ينتهي إلى رسول ﷺ.

حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس، فاقتتلوا، وكانت الدعوى أول ما كانت: ياللأنصار، ثم خلصت أخيراً: ياللخزرج، وكانوا صُبَّراً عند الحرب، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه، فنظر إلى مُجتلَدِ القوم وهم يجتلدون،فقال: «الآنَ حَمِيَ الوَطيسُ».

... قال ابن إسحاق: فلما انهزمت هوازن اسْتَحَرَّ القتل من ثقيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم...

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف، ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأَوْطَاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة ـــ إلا بنو غِيَرَةَ من ثقيف، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا...

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في آثار من تَوَجَّه قِبَلَ أَوْطَاس «أبا عامر الأَشْعرِيّ» فأدرك من الناس بعض من انهزم، فناوشوه القتال فَرُمِيَ أبو عامر بسهم فقتل،

فأخذ الراية أبو موسى الأشعري وهو ابن عمه، فقاتلهم، ففتح الله على يديه وهزمهم.

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أَوْطَاس عشرة إخوة من المشركين، فحمل عليه أحدهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ...

ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً رجلاً ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر، فحمل على أبي عامر، وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فقال الرجل اللهم لا تشهد عليَّ، فكفَّ عنه أبو عامر، فأفلت، ثم أسلم بعدُ وحسن إسلامه، فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال:

«هذا شَريدُ أبي عَامِر» ورمى أباعامر أخوان: العلاء، ووافي، أبناء الحارث من بني جُشَمَ بن معاوية، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته، فقتلاه، وولي الناس أبو موسى الأشعري فحمل عليهما فقتلهما ...

ذكر غزوة الطائف بعد حنين في سنة ثمان.

ولما قدم فَلُّ ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال، ولم يشهد حنيناً ولاحصار الطائف عُرْوَة بن مسعود، ولا غَيْلاَن بن سلمة؛ كانا بِجُرَش يتعلمان صنعة الدَّبابات والمجانق والضُّبور.

ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف ـ حين فرغ من حنين ...

قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله ﷺ على نَخْلَة اليمانية، ثم قَرْن، ثم على المُلَيْح، ثم على بحرة الرُّغَاء من لِيَّة، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه ...

وأمر رسول الله ﷺ ـ وهو بلية بحصن « مالك بن عوف» فَهُدِم.

ثم سلك في طريق يقال لها الضَّيْقَة، فلما توجه فيها رسول الله ﷺ سأل عن اسمها فقال: «ما اسْمُ هذه الطَّريق» ؟ فقيل له : الضَّيْقة فقال: «بل هِيَ اليُسْرَى» ثم خرج منها على نَخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة ...

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف فضرب به عسكره ...

ـ سأل عُمَرُ رسول الله ﷺ ـ :

أوما أذن لك فيهم يارسول الله ؟ قال: «لا» قال: أفلا أُوَذِّن بالرحيل؟

قال: «بلى» قال: فأذَّن عمر بالرحيل ...

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دُحْناً حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سبي كثير.

ثم أتاه وفد هوازن بالجِعْرَانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاء ما لايدرى عِدَّتُه ...

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ من الْجِعْرَانة معتمراً، وأمر ببقايا الفيء فَحُبِسَ بِمِجنَّة بناحية مَرِّ الظَّهْران، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة ...[1]). انتهى ماأوردته من سيرة ابن هشام باختصار شديد.

مناقشة بعض الأقوال:

لعلنا بما أوردنا من كتاب السيرة لابن هشام نتمكن من مناقشة بعض الأقوال التي قيلت حول معركة حنين، والتداخل الحاصل بين موضعي حنين وأوطاس.

ومن هذه الأقوال:

١ـ مقولة: إن أوطاس واد في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين.

٢ـ قول أبي إسحاق الحربي في النص المتقدم: وأوطاس الذي قسم النبي رسول الله ﷺ عندها غنائم حنين حين رجع من الجعرانة.

٣ـ التشكيك بما أوردته كتب السيرة من قول دريد بن الصمة عند تجمع هوازن في أوطاس.

---

(١) سيرة ابن هشام: من صفحة ٤/ ٦٥ إلى صفحة ٤/ ١٤٨.

وتحليلاً لهذه الأقوال أقول:

أولاً: يبدو لي أن من قالوا: إن وقعة حنين حدثت في أوطاس، تأثروا بقول ياقوت الحموي في رسم «أوطاس» حيث قال:(وأوطاس: واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين).

وقد تبين لنا أن أوطاس يبعد كثيراً عن المكان الذي حدثت فيه معركة حنين، وقد علقت بما فيه الكفاية عند إيراد هذا النص آنفاً. فلسنا بصدد الكلام عنهما هنا.

ثانياً: قول أبي إسحاق الحربي:

أما حنين، وماء حنين (وأوطاس الذي قسم النبي ﷺ عندها غنائم حنين حين رجع من الجعرانة)

أقول:

إن غنائم حنين لم تقسم في أوطاس، وإنما قسمها رسول الله ﷺ وهو في الجعرانة قبل أن يهل بعمرته؛ يدل على ذلك قول ابن إسحاق في السيرة:

(ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً، وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنة بناحية مَرّ الظهران فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة)

فقوله: «أمر ببقايا الفيء» يدل على أنه قسم الفيء قبل خروجه من الجعرانة لأداء العمرة؛ لذا فإن القول بأن الغنائم قسمت في أوطاس لا أساس له.

والنصوص التاريخية تدلنا على ذلك.

وهذا «ابن عبد السلام الدَّرعي» المتوفى سنة ١٢٣٩هـ يقول في رحلته للحج:

(ثم سرنا تاركين الجعرانة محل الإحرام في القديم في جبال عن يسارنا لناحية الطائف وهي إلى مكة أدنى، وبها قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين ومنها أحرم بعمرته[1]).

ثالثاً: قال الأستاذ عاتق بن غيث البلادي:

(جاء في سيرة ابن هشام:

---

(١) أشهر رحلات الحج: ص ١٦٦.

قال دريد بن الصمة: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل! لاحزن ضرس، ولا سهل دهس.

قلت:ـ القول له ـ هذا الوصف ينطبق على أوطاس، ودريد كان ابن هذه الديار وأعرف الناس بها، غير أن لي تعليقاً على هذه الرواية، فقد أوردها ابن هشام على أنها عند اجتماع القوم لمحاربة رسول الله ﷺ، يوم حنين، وهذا أمر غريب، فالذين يريدون قتال رسول الله ﷺ في حنين، منهم ثقيف أهل الطائف ما الذي يذهب بهم إلى تلك الصحاري البعيدة شمالاً، وهم في أمس الحاجة إلى الوقت! وإن قائل: بل قالها دريد عندما انهزمت هوازن - بعد حنين - إلى أوطاس، قلنا:

إن دريداً لم يدرك أوطاسَ بعد الهزيمة، فقد قتل في نخلة اليمانية، في سُميرة، قتله ربيعة بن رفيع السلمي. فقالت ابنته عمرة:

لعمرك ماخشيت على دريد ببطن سميرة جيش العناق

فإذاً وصف دريد لأوطاس في مناسبة أخرى، وقد صدق في وصفه[1])

التعليق:

أقول: إن جميع المؤرخين أوردوا قصة تجمع هوازن في «أوطاس» عندما أرادت محاربة رسول الله ﷺ في حنين، ولم أقرأ لأي منهم أنه قال عن مقولة «دريد بن الصمة» إن هذا أمر غريب!! ماعدا الأستاذ «عاتق» حيث تساءل بقوله:

(الذين يريدون قتال رسول الله ﷺ في حنين، ومنهم ثقيف أهل الطائف ما الذي يذهب بهم إلى تلك الصحاري البعيدة شمالاً وهم في أمس الحاجة إلى الوقت؟!)

لعلي أجيب عن هذا التساؤل ليتضح أن الأمر ليس بغريب فأقول:

لقد تملك الخوف والذعر نفوس تلك القبائل المجاورة لمكة المكرمة حين بلغهم أن الرسول الله ﷺ قد تم له فتحها، فأوحى لهم العناد ومكابرة الحق أن الدائرة ستكون

---

(١) علو بى نجد: ص ١٢٠.

عليهم لذا اجتمع ذوو الحل والعقد في قبيلتي هوازن وثقيف فأزمعوا النية على المبادرة بحرب الرسول ﷺ ومن معه.

ولما كانت مواجهة المسلمين لايستهان بها فقد أعدوا أنفسهم إعداداً يليق بمكانة الجيش المقابل.

وكما هو معروف في تلك الأزمنة فإن القبائل ليس لديها جيش منظم توجه الأوامر الفورية لأفراده بالمسير إلى ساحة المعركة، وإنما الأمر بخلاف ذلك؛ فالمقاتلون متفرقون في منازل أحياء القبائل المتباعدة، والإبلاغ بالتجمع يحتاج إلى إيفاد الرسل لإبلاغ القبائل في تلك المنازل المتناثرة هنا وهناك على ماعُزم الأمر عليه.

وهذا بلاشك يتطلب أمرين، الأمر الأول: الوقت الكافي. الأمر الثاني: اختيار المكان المناسب للتجمع.

وكأني بمن أبرموا هذا الأمر اختاروا «أَوْطَاسَ» كأنسب مكان لهذا التجمع نظراً لتوسطه بين منازل أحياء القبيلتين هوازن وثقيف، يضاف إلى ذلك كونه محصوراً بين الجبال والحرار.

لاسيما وأن الخطة المبرمة تقضي بأن يقدم المقاتلون ومعهم الأهل والمال والولد؛ الأمر الذي جعل «دريد بن الصمة» عندما حَلَّ في «أوطاس» ـ وقد تجمع الناس لهذا الغرض ـ يتساءل ويقول ماقاله لقائد القوم « مالك بن عوف النصري».

فلا وجه للقول بأن دُرَيْداً قال ماقال في مناسبة أخرى.

وأكبر دليل على تجمع هوازن في أوطاس قبل المعركة أنهم بعد إلحاق الهزيمة فيهم من قبل المسلمين انحازوا إلى هذا الموضع لتضميد جراحهم، وإعادة صفوفهم ولكن من حنكة رسول الله ﷺ أنه لم يمهلهم حيث أرسل لهم جيشاً بقيادة أبي عامر الأشعري رضي الله عنه، حيث هزموا وتشتت جمعهم.

وحيث لازلنا في وقفتنا التي وقفناها في حزم «أوطاس» فقد وجدتها فرصة أن أزيد

الأمر إيضاحاً حول إزالة الالتباس الحاصل بين موضعي حنين وأوطاس لاسيما وأنهما موضعان من المواضع التي شهدت صراعاً بين الحق والباطل، بين الإسلام والشرك.

وجدير بنا إذا اختلطت هذه المواضع على من نأوا عنها من المؤرخين وعلماء البلدان ألاّ تختلط علينا ونحن سكانها.

ومن استعراضي لما ورد عن هاتين المعركتين في أمهات كتب التاريخ لم يظهر لي أن مؤلفيها خلطوا بين الموضعين والمعركتين، وإن يكن وحصل رأي فردي فقد تصدى للكلام عليه وتصحيحه جهابذة علماء الأمة مثل الإمام الحافظ «ابن حجر العسقلاني».

وهناك اصطلاح درج عليه الفقهاء وهو تسمية المعركة التي يحضرها الرسول ﷺ بمسمى «غزوة» والتي لم يحضرها و إنما بعث لها بعثاً باسم «سرية».

ويبدو لي أن هذا الاصطلاح جاء متأخراً حيث نجد بعض العلماء لم يتقيدوا بهذه التسمية كما صنع الإمام البخاري ـ يرحمه الله ـ .

واليك ما بَوَّبَهُ بعض المؤرخين لخبر غزوة حنين، وسرية أوطاس:

تفريق قدماء المؤرخين بين الوقعتين:

أولاً: قال ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ»:

أ ـ ذِكْرُ غزوة هوازن بحنين.

ب ـ لم يفرد لخبر أوطاس عنواناً مستقلاً، وإنما فرق بينهما في الأخير حينما قال:

(وكان بعض المشركين بأوطاس فأرسل إليهم رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري عم أبي موسى الأشعري ...).

ثانياً: وقال الطَّبَرِيُّ في تاريخه:

أـ ذِكْرُ الخبر عن غزوة رسول الله ﷺ هوازن بحنين.

ب ـ لم يفرد خبر أوطاس بعنوان مستقل، وإنما عمل كصنيع ابن الأثير حيث قال في الأخير: (وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قِبَلَ أوطاس ...)

ثالثاً: ابن خلدون قال في تاريخه:

أ ـ غزوة حنين.

ب ـ لم يفرد لأوطاس عنواناً مستقلاً، وإنما قال عنها:

(وانحازت طوائف هوازن إلى أوطاس ... وبعث رسول الله ﷺ إلى من اجتمع بأوطاس من هوازن أبا عامر الأشعري عم أبي موسى فقاتلهم ...)

رابعاً: أما الإمام البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه، فقد فرق بين المعركتين فأفرد لكل واحدة منهما باباً خاصاً حيث قال:

أ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ويوم حنين إذْ أعجبتكم كثرتكم ...﴾

ب ـ باب غزاة أوطاسٍ.

ثم يأتي الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله فيزيد الأمر إيضاحاً حيث قال في شرحه «فتح الباري» عند كلامه عن تسمية «يوم حنين»:

(ووقع في رواية النسفي: باب غزوة حنين ...) إلى أن قال: (وحنين بمهملة ونون مصغر واد إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات.)

أما عن أوطاس فقال عند شرحه للباب:

(قوله: «باب غزوة أوطاس» قال عياض: وادفي دار هوازن وهو موضع حرب حنين انتهى. وهذا الذي قاله ذهب إليه بعض أهل السير، والراجح أن وادي أوطاس غير وادي حنين، ويوضح ذلك ماذكر ابن إسحاق أن الوقعة كانت في وادي حنين، وأن هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف وطائفة إلى بجيلة وطائفة إلى أوطاس، فأرسل النبي ﷺ عسكراً مقدمهم أبو عامر الأشعري إلى من مضى إلى أوطاس كما يدل عليه حديث الباب، ثم توجه هو وعساكره إلى الطائف.

وقـال أبو عبيـد البكري: أوطـاس واد في ديار هـوازن، وهناك عسكـروا هم وثقيف ثم التقوا بحنين.) انتهى كلامه

وهكذا أبان لنا رحمه الله التفريق بين الموضعين بشكل لايدع مجالاً للشك.

ومـوضع حنين حدده الأستـاذ عاتق البـلادي في معجم معـالم الحجاز، فـارجع إلى ماقاله هناك.

أما أوطاس وواديه فرأيي حولهما كما يلي:

تحديدي لأوطاس:

وقفتنا هـذه في أرض متسعة يحدهـا من الشرق مجـرى « وادي العقيق» عقيق عشيرة، ومن الغرب مجـرى وادي «الشَّاجنة» ومن خلفه جبل «مَسُـولَى» (مِسْوَلِيًّا حاليـاً) والطرف الجنـوبي للحرة، ومن الجنـوب مجرى «وادي سلْحَـة»، ومن الشمال جبيـلات متطامنـة منها: جبل محسن وجبل السمنى، ومن ورائها وادي «خشخاش» وخبراء حرب.

ويبدو لي أن وادي أوطـاس هو الوادي المسمى حـالياً «وادي سِلْحة» لأن اسمـه هذا مستحدث ومنـزل «متعشى أوطاس» وكذلك البـركة واقعة عنـد التقاء هذا الـوادي بوادي العقيق.

هذا بالنسبـة للوادي أما بالنسبـة للمكان المسمى بأوطاس الذي عسكـرت فيه هوازن وثقيف عندمـا تجمعوا لمحاربة الـرسول ﷺ؛ فهو هـذا الحزم الذي وصفته وحـددته لك وهو حزم واسع ولا أفضل وأدق من وصف دريد بن الصمـة لهذا الحزم المسمى في وقتنا الحاضر «حزم الصريم» حيث قال:

(نعم مجـال الخيل؛ لاحَـزَن ضَـرِسْ، ولا سَهْل دَهِسْ). وصـدق في وصفـه فأرض أوطاس ليس فيها ضروس حجارة تعوق جري الخيل فيها، ولا رمل تغوص أقدامها فيه.

آمل أن أكون بما قلته خَلَّصت ماكان متشابكاً، وأوضحت ماكان خافيا.

عود إلى ميقات ذات عرق

لن أتحدث عن الطريق من متعشى أوطاس إلى ذات عرق كثيراً لأنني وصفته في الرحلة الاستطلاعية السابقة، ولكني هذه المرة حرصت على تتبع أعلام الطريق بينهما من الموضع الذي قلت إنه ربما يكون أساسات مسجد كبير أو قصر حيث كان منطلقا من هذا الأثر من بين علمين في قبلته، لقد شاهدنا آثار الأعلام على امتداد «حزم الصريم» متتابعة يفصل بين كل علم والآخر مايقارب الكيلين حتى وصلنا إلى وادي «الشَّاجِنَة».

ويبدو لي أن وادي الشاجنة هو المسمى قديماً «شَاجِن» وقد ذكره ياقوت بقوله:

(شَاجِنٌ: بالجيم، والنون: واد بالحجاز، وقيل نجديّ، ماء بين البصرة واليمامة.)[1]

فهذا هو الوادي الذي في الحجاز، وقد يصدق عليه القول إنه نجدي.

عند توقفنا في وسط وادي ذات عرق، وبالتحديد عندما ينحني باتجاه الغرب قال لي الأخ عبد العزيز الشايع: نحن الآن في جبال الحجاز وأنت حصرت نفسك في العنوان الذي وضعته لكتابك « تحقيق مواضع في نجد»؛ ألا ترى أنك تجاوزت الحدود النجدية؟

قلت له: نحن الآن في بداية الغور (غور تهامة) ومنتهى حاجتنا هنا، وأنا لازلت أحس بنسيم نجد، وأشم ثراه غب المطر وقلت متمثلاً:

أُحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وَبِالغَوْرِ حَاجَةٌ ... فَغَارَ الْهَوَى يا (عبد العزيز) وَأَنْجَدَا

مع الاعتذار للشعراء في كسر البيت.

---

(١) معجم البلدان: ص ٣/ ٣٠٤.

ونحن الآن في ذات عرق وهي الحد بين نجد وتهامة فقد قال أبو إسحاق الحربي: (حدثنا ابن عُيينة، عن أبيه قال: قلت لأهل ذات عرق منجدون أنتم أم متهمون؟ قالوا: لامنجدين ولا متهمين، نحن أهل الغور.)[1]

الميقات:

اْلِميقَـاتُ: هـو المكـان الـذي لا يجـوز للحـاج والمعتمـر أن يتجـاوزه إلا بإحـرام والمواقيت هي:

١ـ ميقات أهل المدينة: ذو الحليفة.

٢ـ وميقات أهل الشام الجحفة.

٣ـ وميقات أهل نجد قرن المنازل.

٤ـ وميقات أهل اليمن يلملم.

٥ـ وميقات أهل العراق والمشرق ذات عرق.

فهذه المواقيت لأهلها ولمن مَرَّ عليها من غيرهم. أما من كان دونها فيحرم من مكانه.

وقد حـدد الرسـول ﷺ هذه الأمـاكن للإحـرام؛ إلا أن لأهل العلم أقوالاً فيمـن حدد ميقـات «ذات عرق» حيث قيل: إن الـذي حدده هـو الرسـول ﷺ، وقيل إن الذي حـدده عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذا ليس محل بسط هذه الأقوال.

وقد كان ميقات ذات عرق له النصيب الأوفر من وفود الرحمن من بين هذه المواقيت؛ لكثـرة المحرمين منـه نظراً لمـرور سـالكي طريق الحج العـراقي، وكـذلك حاج شمـال وشمال شرق نجد.

ولازالت آثار الطـريقين: طريق الحج الكـوفي (درب زبيدة)، وطـريق الحج البصري واضحة للعيان حتى الآن.

---

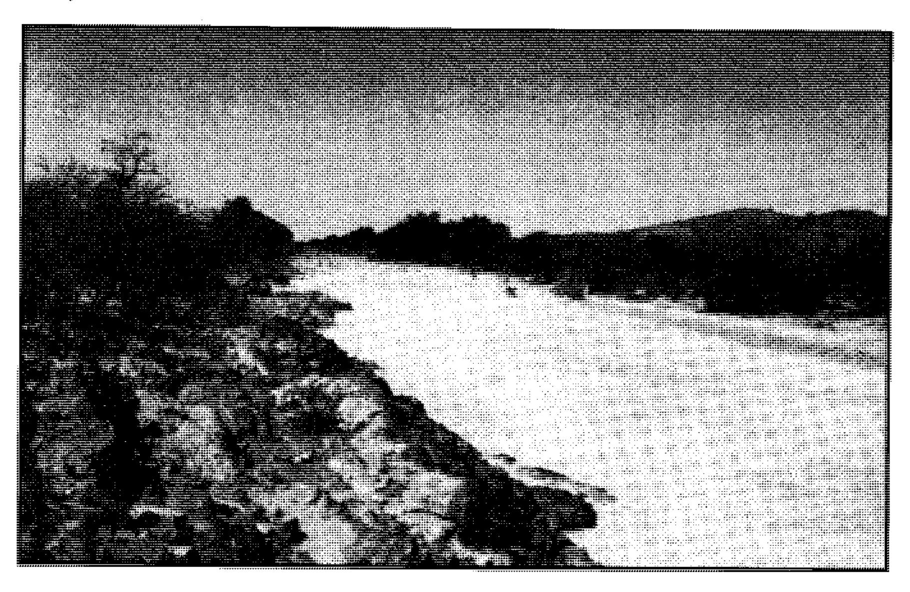
(١) المناسك : ص ٣٤٧.

وقد كان الناس يحرمـون من هذا الميقات إلى أن أصبحت السيارات هي وسيلة النقل فانعدل الطريق عن هذا الميقات إلى «قرن المنازل» (السيل الكبير).

ولست هنا في سبيل تحقيق مكان الإحرام فالأقوال حـوله متعددة وقد لا يصح أكثرها وكل ما أود قولـه هو: إن مكان الإحرام الـذي استقر عند القاطنين بجـواره هو عند منحنى الوادي المسمى حاليا « وادي الضريبة» وذلك عند ما يتجه غرباً باتجاه بلدة الضريبة.

يـدل على ذلك آثـار مبـاني ومنشـآت الميقـات على ضفتي الـوادي التي لا يـرى إلا أساساتها وهو واقع على خط العرض ٣٣ً ٥٥َ ٢١ْ وخط الطول ٠٩ً ٢٥َ ٤٠ْ.

انظر إلى صورتي الوادي الذي يقع فيه مكان الإحرام الصورتين رقم (٧١) ورقم (٧٢).



منظر رقم (٧١) وادي «ذات عرق» قادم من جهة الشمال الشرقي بمحاذاة جبل «عرق» ويرى في أيمن الصورة طرف جبل عرق



منظر رقم (٧٢) وادي ذات عرق وقد انحنى إلى جهة الغرب وأساسات مباني ومنشآت «ميقات ذات عرق» على جانبيه.

ولعلي أحيل القارىء إلى اللوحة رقم (٤٧) وكذا ماقيل عن «الضريبة» في العدد الثاني من «حولية الآثار العربية ا لسعودية» (أطلال) الصادر في عام (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

كما أحيل القارىء إلى كتاب «درب زبيدة» ـ طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة ـ للأستاذ الدكتور «سعد بن عبد العزيز الراشد» أستاذ الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في جامعة الملك سعود بالرياض؛ فقد أفاض الكلام عن «الضريبة» وميقات ذات عرق.

ومن مكرور القول أن أتكلم عن هذا الموقع هنا، وإن كان لي من شيء أقوله فهو عن الأماكن الجغرافية في ذات عرق وما حولها فأقول:

الموقع الجغرافي:

جاء في تقرير فريق إدارة الآثار:(تقع المحطة عند خطي ٢١ْ ٥٦َ/ شمالاً و ٤٠ْ ٢٥/ شرقاً، وعلى بعد ٥ , ١٤كم شمال وشمال شرقي « مكة الرقة» في اتجاه مسلك وادي ملحاة على مسافة ٤٥كم جنوب غربي « العقيق» وهي تمتد على اتساع ٢كم على الجانبين المرتفعين من وادي،الضريبة، وفي بطن الوادي نفسه. كما تبعد مسافة ٥ , ٥ كم إلى الغرب من قرية « الضريبة» الحديثة. ويسير الوادي في خط مستقيم عند هذه المحطة. فيما عدا منعطف بسيط وانحدار قليل ويضم الموقع بركتين مستطيلتي الشكل واربعة آبار وقنوات صغيرة متصلة بالبرك.)[1].

التعليق على هذا النص:

أقول: إن ما قام به فريق الآثار من بحث وتحقيق للمواضع الأثرية بهذا الشكل المتقن ليستحق منا الشكر لهم وللمسئولين عن الآثار في المملكة. وكان بودي أن مثل هذا العمل لم يتوقف لكي يغطي أكثر الأماكن التاريخية والأثرية في بلادنا.

وإن يكن لي من توضيح حول ماورد في النص المتقدم فهو:

١ـ عندما زرت ذات عرق لأول مرة لاحظت أن قرية «الضريبة» تقع غرباً من الميقات فتساءلت عما إذا كان يوجد موضع آخر يقع إلى الغرب من القرية على بعد خمسة أكيال ونصف الكيل، وبسؤال السكان هناك أفادوني: أنه لا يوجد مكان يمر به الحاج إلا الميقات الواقع عن القرية شرقاً على بعد خمسة أكيال ونصف الكيل؛ عند ذلك أدركت أن جملة «إلى الغرب من قرية الضريبة» صحتها:«إلى الشرق من قرية الضريبة» وأن كلمة «الغرب» جاءت سبقة قلم.

---

(١) حولية «أطلال» العدد الثاني : ص ٦٧.

٢ـ في عنوان «الضريبة» أحيل إلى اللوحات (٣٧ و ٥٨ و ٥٩ ...) وصحة رقم (٣٧) هو (٤٧) إذ هي اللوحة التي وضح عليها موقع الميقات «الضريبة» كما أسموه.

٣ـ قولهم عن الضريبة إنها تقع على بعد ١٤,٥ كم شمال وشمال شرقي «مكة الرقة».

أقول مادمنا هنا نتحدث عن درب الحاج: فإن قصدهم بمكة الرقة متعشى «الغُمَيْرْ قديمًا».

٤ـ قولهم على مسافة ٤٥ كم جنوب غربي «العقيق».

القصد منه ليس وادي العقيق وإنما منزل «غَمْرَةَ» حيث يسمى حالياً: بركة «العقيق» أو «البركة» مجردة من أي نسبة.

وحيث أن ميقات ذات عرق لا يكاد يعرف حالياً إلا بنسبته إلى «الضَّريبة» فإن من المفيد الكلام عن الضريبة وذلك باستعراض ماقاله مؤلفو وقتنا الحاضر فأقول:

أولاً: يقول صاحب كتاب صحيح الأخبار:

ظُرَيبة: قال ياقوت تصغير ظربة واحدة ضرب وقد فُسِّرَ أيضاً ...

قال المؤلف (ظريبة) هي التي يضاف اليها الطريق النافذ مع ريع الظريبة المعروف بهذا الاسم إلى هذا العهد وهو طريق السالك بطن نخلة الشامية المعروف عند جميع أهل الحجاز وأهل نجد ولم يتغير اسمها إلى هذا العهد، وقول ياقوت من ناحية الطائف اجتهاد منه، والمقيم في حماة أو في بغداد يظن أنها كما ذكر، وبينها وبين حدود الطائف مسافة يوم للراكب.[1]) انتهى قوله باختصار. وسأرجىء التعليق حتى ننظر ماذا قال صاحب «معجم معالم الحجاز».

ثانياً : يقول الأستاذ عاتق البلادي:

(الضَّرِيبة: واد فحل من أودية الحجاز، إذا اجتمع هو وحماة كونا وادي مَرّ: أحد روافد مَرّ الظهران الكبيرة الدائمة الجريان. يسيل وادي الضريبة من جبلي أرنامة

---

(١) صحيح الأخبار: ص ٣/ ٢١٢.

ومسولا وأعلاه الشرافة: قرارة أرض مرتفعة يسيل ماؤها الغربي في الضريبة والشرقي في سلحة فعقيق عُشَيرة ... ويقع ميقات أهل العراق والقصيم (ذات عرق) في الضريبة حيث يقطعها درب الْمُنَقَّى ... وفي الأصل كانت الضريبة قسم من ذات عرق، أما اليوم فهي المعروفة ولا تعرف ذات عرق ...[1]) انتهى. ثم أورد المؤلف قول ياقوت عن الضريبة. وفي كتابه «على ربى نجد» بعد أن أورد مثل هذا الكلام عن وادي الضريبة قال:

(وفي الضريبة اليوم محرم الحاج من هذه الناحية ومن مر بها وموقع المحرم في اجتماع الأودية والشعاب التي تكون الضريبة، تحت جبل ذات عرق، ومكان المحرم يسمى الحنو، به مياه قريبة، ويسمى أيضاً المحرم.

وجاء في معجم البلدان: وادٍ حجازي يصب سيله في ذات عرق.

قلت: ـ القول له ـ بل الصواب أن سيل ذات عرق يصب في الضريبة ...)[2].

وفي كتابه « معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» قال:

(الظُّرَيبة: تصغير ضربة، وبالظاء المعجمة: جاء في قول أبان بن العاص حين أسلم أخواه:

ألا ليت ميتاً بالظُّـرَيبة،شاهـد *لما يفتري في الديـن عمرو وخالد*

ثم يقول ابن إسحاق: الظريبة، من ناحية الطائف.

وأقول: ـ القول له ـ لاشك أن هذا تحريف « الضَّرِيبة» وهو تحريف سماعي وتصحيف إملائي.

والضريبة: ميقات أهل العراق إلى عهد قريب، وكان المكان يسمى ذات عرق، والضريبة شعبة هناك، فغلب اسم الضريبة واندثر اسم ذات عرق ...)[3] انتهى باختصار.

---

(١) معجم معالم الحجاز: ص٥/ ١٩٩.

(٢) على ربى نجد: ص ٢٢٤.

(٣) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ص ١٩٣.

مناقشة هذه الأقوال:

حصل لبس بين «الضَّـرِيبَـة» و «الظُّـرَيْبَـةِ» حيـث قـال الشيخ محمـد بن بليهـد عن الظُّرَيبة:

(هي التي يضاف إليهـا الطريق النافذ مع ريع الظـريبة المعروف ... وأن قول يـاقوت: إنهـا من ناحيـة الطائف اجتهـاد منه والمقيم في حمـاة أو في بغداد يظن أنهـا كما ذكـر، وبينها وبين الطائف مسافة يوم للراكب.

كما نجد الأستاذ عاتق البلادي يقول:

(ثم يقـول ابن إسحاق: الظُّـرَيْبَة، من نـاحية الطائف، وأقـول لاشك أن هذا تحـريف الضَّريبة ... وتصحيف إملائى).

وقبل أن أعلق على هذا دعـونا نلقي نظرة على ماقـاله علماء التاريخ وعلمـاء البلدان حول الظُّرَيْبَة:

١ ـ قـال ابن إسحاق في كتاب السيرة في معـرض كلامه عن مهاجـري الحبشة ومنهم خالد وعمرو ابنا سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس:

(ولعمرو وخـالد يقـول أخوهما أَبَـانُ بن سعيد بن العـاص حين أسلما، وكـان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّرَيْبَةِ من ناحية الطائف، هلك في مال له بها:

أَلاَ لَيْتَ مَيْتـاً بِالظُّـرَيْبَـةِ شَاهِـدٌ ... لِماَ يَفْتَرِي فِي الدِّيـنِ عَمروٌ وخالدُ

أَطَـاعَا بِنَـا أَمْـرَ النِّسَاءِ فَأَصْبَحَـا ... يُعِينَـانِ مِنْ أَعْـدَائِنا مَنْ نُكـابِـدُ

فأجابه خالد بن سعد فقال:

أَخِي مَـا أَخِي لاَ شَـاتِمٌ أَنَا عِـرضَـهُ ... وَلاَ هُوَ مِنْ سُوءِ ٱلمقَـالَةِ مُقْصِرُ

يَقُـولُ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْـهِ أُمُـورُهُ ... أَلاَ لَيتَ مَيْتـا بـالظُّـرَيْبَـةِ يُنْشَـر

فَدَعْ عَنْكَ مَيْتاً قـدْ مَضَى لِسَبِيلِه ... وأَقْبِلْ عَلَى ٱلأَدْنىَ ٱلَّذي هُـوَأَفْقَرُ) (١)

---

(١) سيرة ابن هشام: ص٣/ ٤١٥.

٢ـ قال ياقوت الحموي:

(ظُرَيْبَةُ: تصغير ظربة واحدة ظرب، وقد فُسر أيضاً ؛ ... وكان أبوهم سعيد بن العاص قد هلك بالظريبة من ناحية الطائف في مال له ...)[1]

ثم أورد ياقوت الأبيات المتقدمة. ويبدو لي أنه أخذ روايته هذه عن ابن إسحاق.

٣ـ وقال البكري:

(الظُرَيْبَةُ : بضم أوله، وفتح ثانيه، على لفظ التصغير، كأنه تصغير ظَرِبَة:

موضع بالشام، فيه مات سعيد بن العاص بن أمية. وقال ابن إسحاق: هو موضع بناحية الطائف كان لسعيد بن العاص فيه مال، فهلك فيه، وقال أبان ابنه لما أسلم عمرو وخالد أخواه وتأخر إسلامه ...)[2] ثم أورد أربعة من الأبيات السابقة.

٤ـ أما صاحب مراصد الاطلاع فقال:

(ظُرَيْبَةُ: تصغير ظربة: موضع بالطائف.)[3]

التعليق:

من الأقوال المتقدمة يتضح لنا أن «الظُّرَيْبَة» موضع بناحية الطائف وليست هي «الضَّرِيبة» ذلك الوادي الذي يدفع في « ذات عرق» وأول من قال بذلك ليس مقيما في حماة أوبغداد كما قيل؛ وإنما قاله مؤلف السيرة النبوية «محمد بن إسحاق بن يسار» وهو مَنْ ولد في المدينة المنورة. مؤلف ثبت حافظ متقن. قال عنه الزهري:(لايزال بالمدينة علم جم ما كان فيهم ابن إسحاق) وقال عنه الإمام الشافعي: (من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق) ثم بعد ذلك يأتي هذا القول في مصدرين من

---

(١) معجم البلدان: ص٤/ ٥٩.

(٢) معجم ما استعجم: ص٣/ ٩٠٣.

(٣) مراصد الاطلاع: ص٢/ ٩٠٤.

معاجم البلدان البارزة هما معجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكري، ثم يورده أصحاب معاجم اللغة مثل صاحب اللسان، وتاج العروس ولهذا كله أقول بأن كلمة «الظُّرَيْبة» ليست محرفة أو مصحفة من كلمة «الضَّريبة» ففرق بين الكلمتين من جهة المعنى والرسم. والآن دعونا نلقي الضوء على مسمى «الضَّريبة» :

الضَّريبَةُ:

اشتهرت الضريبة في زمننا هذا فلا يكاد يعرف ميقات ذات عرق إلا باسم « محرم الضَّريبة» والطريق الموصل إليه من جهة نجد المحصور بين الجبال سمي «ريع الضريبة».

فما هي ياترى الضريبة التي استحوذت على الميقات وعلى الدرب الموصل إليه؟!

أقول:

إن المعول عليه هو أقوال علماء البلدان قديماً وقد تمكنا من الفصل بينها وبين الظُّرَيْبَةِ فلعلنا نتمكن من الفصل بينها وبين ذات عرق.

يقول ياقوت الحموي؛ (ضَرِيبَةُ: بالفتح ثم الكسر، وياء مثناة من تحت، وباء موحدة، وهي في الأصل الغَلَّة تضرب على العبد وغيره يؤدّي شيئاً معلوماً عن شيء معلوم، والضَّرِيبة: الصوف الذي يضرب بالمِطْرَق، والضريبة: الطبيعة، ويقال إنه لكريم الضرائب؛ وضريبة: واد حجازيّ يدفع سيله في ذات عرق.)[1]

أقول: لقد ضبط لنا ياقوت الضريبة ضبطاً محكماً بحيث لا يحتمل مع هذا الضبط القول بأنها محرفة أو مصحفة، فهل سلم لنا هذا النص الواضح؟ لنرى:

يقول الأستاذ عاتق البلادي في كتابه «على ربى نجد» بعد أن وصف لنا أعالي وادي الضريبة ومجراه:

(١) معجم البلدان :ص٣/ ٤٥٦.

(وجاء في معجم البلدان: واد حجازي يصب سيله في ذات عرق. **قلت ـ القول له:**
بل الصواب أن سيل ذات عرق يصب في الضريبة.)[1]

أقول:

هذا أيضاً نقض لقول ياقوت الحموي. فهل كان الصواب معه في أن وادي الضريبة يصب في وادي ذات عرق، أم أن العكس هو الصواب كما قال الأستاذ عاتق البلادي وهو ابن هذه الديار؟

والقول الصائب لا يتسنى لنا إلا بعد معرفة مجاري هذه الأودية وماحولها ومن ثم استعراض أقوال علماء البلدان القدماء، لأن العبرة فيما قالوه، وليست العبرة بما غيره المتأخرون ونسوه.

ولعلنا نتعرف أولاً على ماقاله الأستاذ عاتق عن وادي ذات عرق:

يقول عن ذات عرق:

(ذات عِرْق: ظل الباحثون والمفتون يخطئون فيقولون: ذات عرق (الضريبة).

وفي هذه الرحلة اكتشفت أن ذات عرق غير الضريبة، غير أنهما متجاورتان، فذات عرق جبل يقع على قرابة (١٠٠) كيل من مكة شمالاً شرقياً، والضريبة وادٍ تسيل بعض مياهه من ذات عرق، وتكتنف الشعاب التي يصب ماؤها في الضريبة جنبا ذات عرق ثم تجتمع بسفح الجبل من الغرب في مكان يسمى (الحنو) وفيه يحرم الحاج فسمي محرم (الضريبة).

وجبل ذات عرق يظلل المحرم صباحاً. وهذا هو الميقات الذي وقته عمر لأهل نجد ومن مر به من غيرهم، وكان ميقات طريقي الكوفة وبغداد، والبصرة ...

جاء في معجم البلدان:

---

(١) على ربى نجد: ص٢٢٤.

وذات عِـرْق: مهل أهل العراق، وهـو الحد بيـن نجد (الجلس)، وتهـامة، وقيل عِـرْق جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق.

فهـذا نص صـريـح للمتقـدمين أن ذات عـرق جبل وليس واديـاً ليحـول اسمـه إلى الضريبة الوادي.)[1] انتهى قوله باختصار.

التعليق:

مما تقدم يتضح لنا أن مؤلف «على ربـى نجد» يرى أن «ذات عرق» جبل وليس واديا، ولما كنت أخالفه في رأيه هذا فسأناقش ماقاله عسى أن نتوصل إلى الصواب.

١ ـ يقول: ظل الباحثون والمفتون يخطئون فيقـولون: ذات عرق (الضريبة) وأنه تكشف له من خلال رحلته أن ذات عرق غير الضريبة.

فلنلق نظرة على تحديده للضريبة، يقول عنها:

(الضَّرِيبـة: على لفظ ما يضرب على البضـائع والتجار من مبـالغ: واد ... يأخذ أعلى مسـاقطه من جبـال: ذات عرق، وإرنـامة، ومسـوليـا وغيرهـا، ثم يسيل في قرأ من الحـرة مستوٍ، فيصب ماءه في وادٍ يـدعى مَرًّا، ويصب مر هذا في وادي مَـرّ الظهران من الشمال ... وفي الضـريبة اليـوم محـرم الحاج من هـذه النـاحية ومن مَـرَّ بهـا وموقع المحـرم في اجتمـاع الأودية والشعـاب التي تكون الضـريبة، تحت جبل ذات عـرق، ومكان المحـرم يسمى الحنو، به مياه قريبة، ويسمى أيضاً المحرم)[2]

التعليق:

هذا وصف واضح لمجرى وادي «الضريبة» كما يسميه الناس اليوم فقط، أما مايسميه قدماء العرب وعلمـاء البلدان فشيء غير هذا، ومن وصفه لمجرى هـذا الوادي يدل على

---

(١) على ربى نجد : ص١٧١.

(٢) على ربى نجد : ص ٢٢٣.

أن أعاليه تأتي من «إرنـامة» وجبل «مسوليا» (مَسُولَىٰ قديمـاً)، ومن جبل «عِرْقٍ» ويستمر في جريانه باسم «الضريبة» حتى يدفع في وادي «مَرّ الظَّهْران».

من هذا ظهر بنتيجـة هي أن ذات عرق: جبل فقط وليست وادياً. وقـد يتبين لنا خلاف هذا القول عندما نتعرف لاحقاً على مجاري الأودية التي تكتنف جبل « عِرْق».

٢ـ يقـول المؤلف إن ذات عـرق جبل ... والضريبـة واد تسيل بعض مياهـه من ذات عـرق ثم تجتمع بسفح الجبل من الغـرب في مكـان يسمى (الحنـو) وفيه يحـرم الحـاج فسمى محرم (الضريبة) وجبل ذات عرق يظلل المحرم صباحاً.

أقول:

إن تحـديد المـؤلف لمكـان الميقات صـائب ودقيق ويؤيـد ذلك وجـود آثار منـازل «ميقات ذات عـرق» على جنبتي منحنى الوادي «الحنـو» كما أوضحنا ذلك سـابقاً ولكن الإشكال يـدور حول مقـولة إن ذات عرق جبل وليست واديـاً، وأن الوادي الـذي يقع فيه المحـرم هو «وادي الضـريبـة» وليس وادي ذات عرق، وهـذا القـول يستـوجب منا إلقـاء الأضواء على جبل «عرق» ووادي «ذات عرق» وما يدفع فيه من شعاب وأودية فأقول:

وادي ذَاتِ عِرْقٍ:

جبل «عـرق» هو ذاك الجبـل الممتد على مسـافـة كيلين اثنين يجـري بمحاذاتـه واد ينحرف مجراه إلى جهة الغرب عند طـرف الجبل وهذا المكان هو مايسمى الآن «الحنو» وهو محل الإحرام وهـذا الوادي هو وادي « ذات عرق» نسبـة إلى جبل «عرق» كما سمي «الميقـات» ذات عرق؛ لأنـه واقع في هـذا الوادي، وبتتبـع مجاري الأوديـة التي تكتنف جبل عرق سيتضح لنا في أي واد تدفع.

هل هي تـدفع في وادي ذات عرق؟ أم تـدفع في وادي «الضـريبة» كمـا قال الأستـاذ عاتق؟

ولابد أن يكون لدينا واد اسمه ذات عرق أطلقه عليه قدماء البلدانيين حتى نستطيع أن نقول: إن هذه الأودية تدفع فيه.

يقول أبو علي الهجري رحمه الله، أو من كتب حاشية ليعرف لنا كلمة «الضرائب»:

(هضب بأعلى وادي ذات عرق[1])

ويبدو لي أن هضب الضرائب هذا هو الذي يسيل منه وادي «الضريبة»، ووادي الضريبة قال عنه ياقوت الحموي: (ضَرِيبة: واد حجازيّ يدفع سيله في ذات عرق.[2]) وقد صدق.

وعندما يقول علماء البلدان عن وادٍ أو شعب إنه يدفع، أويصب، أويسيل: فإنهم يقصدون بذلك أنه يفضي إلى واد أكبر منه. ووادي ذات عرق هو أكبر الأودية القريبة منه وجميعها تصب فيه وتأييداً لقولي هذا إليك فيما يلي بعض الأودية التي تصب في وادي ذات عرق وهي:

وادي أَنخُل:

هذا الوادي تكلم عنه ياقوت الحموي بقوله:

(أَنْخُلُ: بضم الخاء المعجمة، ذات أَنْخُل: واد ينحدر على ذات عِرق أعلاه من نجد وأسفله من تهامة.[3])

أقول: وادي ذات أنخل هو الوادي الذي سبق أن قلت إننا مررنا بمحاذاته في الرحلة الاستطلاعية عندما أقبلنا على ذات عرق.

وهذا الوادي لازال يسمى بهذا الاسم لم يتغير منه حرف واحد وأهله ينطقونه حسب نطقه القديم «أَنخُلُ» بالخاء المعجمة.

---

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه: ص ٣٣٣.

(٢) معجم البلدان: ٣/ ٤٥٦.

(٣) معجم البلدان: ص١/ ٢٥٩.

وأعالي هذا الـوادي تأتي من جهات جبل «مَسُولى» وما جـاوره ثم ينحدر بين الجبال مع الـريع المتجه إلى الميقـات يساير الطـريق بحيث يتـركه المتجه إلـى الميقات ذات اليمين ويضيق مجراه عنـدما تحصره الجبال ممـا جعل مجراه عميقاً، وعندمـا يقرب من طرف جبـل « عرق» الشمالي الشـرقي يلتقي مع واد أوسع منـه مجرى قادم مـن الجنوب الشرقي وهذا الـوادي هو وادي «الضريبة»، وهـذان الواديان يدفعـان سوياً في وادي ذات عرق، وهما من أكبر روافده الشمالية والشرقية.

ثم يستمر المجرى على امتداد جبل «عرق» حتى يقترب من طرفه الجنوبي الغربي ثم ينحرف باتجاه الغرب وهذا المكان هـو المسمى « الحنو» وفيه «الميقات» المسمى حالياً « محرم الضريبة» (ميقات ذات عرق قديماً).

ولنعد إلى وادي « أَنْخُل» أو ذات أنخـل؛ لأن النص الوارد بشأنه لم يسلـم من القدح أيضـاً حيث قـال الأستـاذ عـاتق البـلادي في رسـم «أَنْخُل» في كتـاب « معجم معـالم الحجاز»:

(أنْخُلُ: بضـم الخـاء المعجمة، ذات أنخل: واد ينحـدر على ذات عـرق أعلاه نجـد وأسفله من تهامة. عن معجم البلدان.

قلت ـ القول له ـ : لعله تصحيف من أنجل بالجيم، وقد ذكر.

وقـوله: أعـلاه من نجـد، قول غيـر صحيح، لأن ميـاه نجـد لاتعود على الحجـاز، بل تذهب شرقاً ولذا قالوا لمغرب الشمس عندهم: العالية.[1])

التعليق:

كأني باستـاذنا عاتق البلادي سلمه الله اعتمـد على مشاهداته في رحلتـه وعلى أقوال سكان تلك الناحية فاتخذ هذا أساسـاً لإثبات المواضع والأودية التي نتحدث عنها، وما

---

(١) معجم معالم الحجاز: ص ١/ ١٤٦.

خـــالف تصوره على هذا الأساس كان محل شك عنده وإن كان قائله من قدماء علماء البلدان مثل ياقوت الحموي. وإليك تعليقي على قوله هذا:

١ـ يقول: لعل كلمة «أَنْخلُ» تصحيف من أَنْجلُ بالجيم، وقد ذكر.

أقول: الكلمة لم يدخل عليها تصحيف وقول ياقوت هو الأصح ويؤيده أن الناس مازالوا يسمون هذا الوادي باسم «أَنْخل» بالخاء لابالجيم.

أماقوله في رسم «أنجل» في المصدر نفسه:

(أَنْجَل: بفتح الهمزة وسكون النون وجيم مفتوحة ولام:

شعب يصب في الضريبة من الشمال الشرقي يطؤه درب المنقى. وانظر أنخل بالخاء[1]) هذا القول تأييد للقول السابق وأنه يرى أن «أنخل» هو « أنجل» بجيم مفتوحة.

ولاتقارب بين اللفظين وأهل الوادي نطقوه لي كما رسمه ياقوت.

ولم أقرأ نصاً قديماً ذكر أن في هذه الناحية وادياً أو شعباً اسمه «أنجل» وما ذكر بهذا اللفظ بعيد عن الضريبة وذات عرق.

٢ـ أما تعليقه على قول ياقوت (أعلاه من نجد) بأنه قول غير صحيح لأن مياه نجد لا تعود على الحجاز بل تذهب شرقاً.

فهذا قول مردود لأن أعالي هذا الوادي واقعة بالفعل في نجد، أما أسفله فغير واقع فيه، والمؤلف نفسه عرفنا في رحلته حيث وصف لنا أعالي هذا الوادي وماحوله بأنها تسمى «مكافىء المياه» فما سال غرباً اتجه إلى الغور وتهامة، وما سال شرقاً اتجه إلى نجد.

وقد أسلفت أن أهل ذات عرق عندما قيل لهم: هل أنتم متهمون أو منجدون؟

قالوا: لا منجدين ولا متهمين، نحن أهل الغور.

لهذا فإن قول ياقوت صحيح لا لبس فيه ولا غموض، ومثله مدرك لما يقول.

---

(١) معجم معالم الحجاز: ١/ ١٤٥.

العَضلاَوان:

في الرحلة الاستطلاعية إلى «ميقات ذات عرق» صادفنا رجلاً مسناً فسألناه عن بئر «الخَضْراء» فتطوع مشكوراً فدلنا عليها ثم صحبنا ليرينا قرية «الضريبة» وكذا أسهل طريق نسلكه في طريق العودة.

وماكدنا نخلف جبل عرق حتى علونا مرتفعاً من الأرض فبانت لنا منارة مسجد القرية فقال هذه هي الضريبة انظروا إلى «المِنْبَر» فقال الشيخ بكر أبو زيد: خذها فائدة يعني أنهم يسمون المنارة منبراً. فأخذتها فائدة كما أوصى الشيخ، ويبدو لي أن الأكمة التي كان موجوداً عليها علم ومنظرة، ويوقد عليها ليلاً لهداية المسافرين بالقرب من بركة «أوطاس» سميت في الوقت الحاضر « المنيبر» تصغير منبر من هذا القبيل والله أعلم. وبيت القصيد هنا أنه عندما أرانا القرية والطريق الذي نسلكه سألته عن اسم واد قطعناه. مجراه من الجنوب إلى الشمال باتجاه ما يسمي حالياً « وادي الضريبة» فقال الرجل:

هذا الوادي اسمه « العَضْلاء الغربية» يعني أن هناك عصلاء شرقية.

بعد العودة بحثت عن مسمى العصلاء فعثرت على قول ياقوت الحموي الآتي:

(العَضْلاَوَانِ: شعبتان تصبّان على ذات عِرْقٍ .[1])

وقد لاحظت أن هاتين الشعبتين تصبان بالفعل في وادي ذات عرق عندمايتجاوز المنحنى ويتجه غرباً، وهو المسمى حالياً «وادي الضريبة».

وهذا من الأدلة القوية بأن مايسمى حالياً «الضريبة» ماهو إلا وادي ذات عرق قديماً.

لكل ماتقدم أقول: إن مايسمى في وقتنا الحاضر وادي الضريبة ماهو إلا وادي «ذات عرق قديماً» الذي نسب له الميقات نظراً لوقوعه فيه، ولأن جميع الأودية التي مرت معنا آنفاً تدفع فيه ومن ضمنها وادي الضريبة الذي وصفت لك أنه يصب في وادي ذات عرق

---

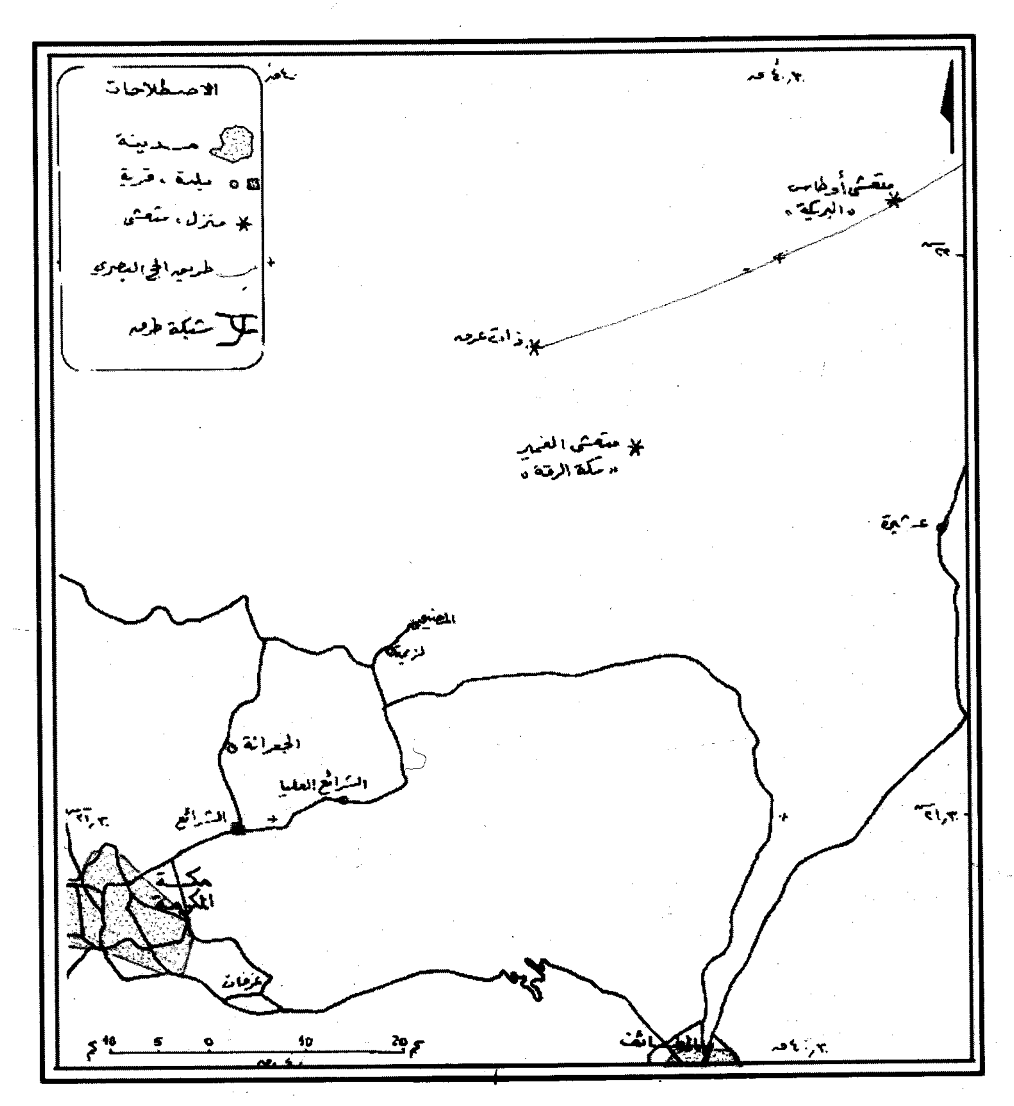
(١) معجم البلدان :٤/ ١٢٨.

عنـد الطرف الشمـالي الشـرقي من جبل «عرق» وهـو المكـان الذي يلتقي فيـه مع وادي «أَنْخُل» وحتى تتصور مجاري هذه الأودية انظر إلى الخارطة رقم (٧).

وبهذا الإيضـاح أظن أننا أشبعنا وادي الضـريبة ضربـاً فطوعناه لكي يعـود إلى مجراه الصحيح ولعل الناس يسمون هذا الميقات «محرم ذات عرق» كما كان يسمى قديماً.

وقبل أن أضع عصا التـرحال في بطحـاء وادي ذات عرق وجـدت أن من المفيد جمع شتـات ماقلتـه حـول تحقيق منازل طـريق الحج البصـري بـوضع جدولين الأول منهمـا للمقـارنـة بين مـاورد في المـراجع القـديمـة عـن تـرتيب منـازل طـريق الحج البصـري والمسافات فيما بينها، والجدول الثاني يتضمن مقـارنة بين مسافات المنازل الرئيسة عند الإمام الحربي، وبين ماقمت به من قياسـات لهذه المسافات على الطبيعة، وكذا إيضاح أماكن المنـازل حسب موقعها مـن خطوط العرض وخطـوط الطول ليمكن الوصـول إليها بسهولة.

كما استحسنت وضع خـلاصة بما حققتـه من منازل طريق الحج البصـري من النباج إلى ميقات ذات عرق عسـى أن يكون في ذلك تسهيلا للقارىء والباحـث على حد سواء وفيما يلي هذين الجدولين والخلاصة:



الاصطلاحات
مدينة
بلدة ، قرية
منزل ، متعشى
طريق الحج البصري
شبكة طرق
متعشى أوطاس
ذات عرق
متعشى الغمير
عشيرة
المضيق
الزيمة
الجعرانة
الشرائع العليا
الشرائع
مكة المكرمة
عرفات
الطائف

خارطة رقم (٧)

جدول رقم (١) مقارنة بين ما ورد في المراجع القديمة عن منازل طريق الحج البصري

اسم المرجع ومؤلفه	منازل الطريق من «النباج» إلى «ميقات ذات عرق» والمسافة بينها بالأميال														هامش
المناسك لأبي إسحاق الحربي	النباج ١٩	العوسجة ٢٢	القريتان ٢٤	رامة ٢٧	إمَّرَة ٢٦	طخفة ١٨	ضرية ٣٢	الجديلة ٣٥	فلجة ٢٦	الدثينة ٢٧	قُبا ٢٧	الشبيكة ٤٠	وجرة ٢٧	ذات عرق	
الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري	النباج ٢٧	العوسجة ٢٢	القريتان ٢٤	رامة ٢٧	إمَّرَة ٢٦	طخفة ١٨	ضرية ٣٢	الجديلة ٣٥	فلجة	×	×	الشبيكة ٤٠	وجرة ٢٧	ذات عرق	(١)
الأعلاق النفيسة لابن رستة	النباج ١٩	العوسجة ٢٢	القريتان ×	رامة ٢٧	إمَّرَة ٢٦	طخفة ٢٨	ضرية ٣٢	الجديلة ٣٥	فلجة ٢٦	الدثينة ٢٧	قُبا ٢٧	الشبيكة ٤٠	وجرة ٢٧	ذات عرق	(٢)
المسالك والممالك لابن خرداذبة	النباج	العوسجة	القريتان	رامة	إمَّرَة	طخفة	ضرية	الجديلة	فلجة	الدثينة	قُبا	مران	وجرة	ذات عرق	(٣)
كتاب الخراج لقدامة البغدادي	النباج	العوسجة	القريتان	رامة	إمَّرَة	×	ضرية	الجديلة	فلجة	الدثينة	قُبا	مران	وجرة	ذات عرق	
صفة جزيرة العرب للهمداني	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	قُبا	الشبكة «شبكة الكراع»	وجرة	ذات عرق	(٤)
أبو علي الهجري وأبحاثه تحقيق حمد الجاسر	النباج	العوسجة	الفريش	رامة	إمَّرَة	طخفة	ضرية	الجديلة	فلجة	الدثينة	قُبا	مران	وجرة	ذات عرق	(٥)

(١) البكري خالف الحربي وابن رستة في المسافة بين النباج والعوسجة حيث قال: إنها (٢٧م) بينما الصحة(١٩) ميلًا. كما حصل عنده اضطراب في ترتيب المنازل بعد «فلجة».

(٢) لم يذكر ابن رستة المسافة بين القريتين ورامة. كما جعل المسافة بين طخفة وضرية (٢٨م) بينما الصحيح (١٨) ميلًا. حسبما ذكر الحربي والبكري.

(٣) ابن خرداذبة لم يذكر المسافات بين المنازل في الطريق البصري، وقد ذكر مَرّان بدلاً من الشبيكة.

(٤) أورد الهمداني هذه المنازل في معرض كلامه عن مناهل الطريق، ويلاحظ أنه سمى الشبيكة بالتكبير ونسبها للكراع، وهذا صحيح.

(٥) الهجري. سمى القريتين «الفريش» وهذا بلا شك تصحيف من النساخ، كما أنه ذكر مران بدلاً من الشبيكة، ومران كان المنزل الأول.

جدول رقم (٢)

مقارنة المسافات بين المنازل الرئيسة بالأميال عند الحربي بما تم من القياس على واقع الأرض بالأكيال.

المنزل		المسافة بالأميال	المسافة بالأكيال	موقع المنزل حسب خطوط العرض والطول	
المسمى	المسمى القديم			خط العرض	خط الطول
الأسياح	النباج		م،ك	٢٦° ٤٧′ ٢٠″	٤٤° ١٣′ ٢٠″
البريكة	العوسجة	١٩	٣٨,٥٠٠	٢٦° ٢٦′ ٣٠″	٤٤° ١٢′ ١٦″
الملقى[1]	القريتان	٢٢	٤٤,٠٠	٢٦° ٠٦′ ٤٩″	٤٣° ٥٦′ ٥٠″
رامة	رامة	٢٤	٤٣,٨٠	٢٥° ٤٥′ ٢٤″	٤٣° ٤٥′ ٣٠″
آبار الرّكا	إمَّرة	٢٧	٥٥,٦٠٠	٢٥° ٢٠′ ٥٧″	٤٣° ٢٦′ ١٢″
البراك[2]	طخفة	٢٦	٥٠,٣٠٠	٢٤° ٥٨′ ٠٥″	٤٣° ٠٩′ ٥٥″
ضروى	ضرية	١٨	٣٦,٠٠	٢٤° ٤٣′ ٠٦″	٤٢° ٥٦′ ٠٦″
الصّقرة	الجديلة	٣٢	٥٩,٣٠٠	٢٤° ١٣′ ٣٥″	٤٢° ٤٢′ ١٤″
البريكة	فلجة	٣٥	٧٤,٥٠٠	٢٣° ٤٠′ ١٩″	٤٢° ١٧′ ٢٢″
الدفينة	الدثينة	٢٦	٥٠,٨٠٠	٢٣° ١٨′ ٠٣″	٤١° ٥٩′ ٤٦″
قُبَا	قُبَا	٢٧	٥٣,٠٤٠	٢٢° ٥٧′ ١٥″	٤١° ٣٨′ ٣٣″
دغيبجة	الشبيكة	٢٧	٥٠,٤٠٠	٢٢° ٣٥′ ١٠″	٤١° ٢١′ ٠٩″
الخرابة	وجرة	٤٠	٦٩,٠٠	٢٢° ١١′ ٣٤″	٤٠° ٥٠′ ٠٣″
الضّريبة	ذات عرق	٢٧	٥٢,٠٠	٢١° ٥٥′ ٣٣″	٤٠° ٢٥′ ٠٩″

(١) بجوار القريتين قرب مدينة عنيزة.

(٢) بجانب هضبة طخفة من جهة الشمال الشرقي.

الخلاصة

في تحديد أماكن منازل طريق الحج البصري

من النباج إلى ذات عرق

حظيت طرق الحج إلى بيت الله الحرام باهتمام الخلفاء والولاة في زمن الدولة الأموية، والدولة العباسية ومابعدهما. ومن بين هذه الطرق «طريق الحج البصري».

وقد تبين لي أن بعض منازل هذا الطريق لم تحدد التحديد الصائب من قبل من تكلموا بشأنها من مؤلفي عصرنا الحاضر حيث كان الخلاف واضحاً بينهم في هذا التحديد.

لذا ألزمت النفس على تحقيق منازل هذا الطريق من منزل « النباج» إلى منزل «ذات عرق». ونظراً إلى أن تحقيقي لهذه المنازل والمتعشيات شمل تحقيق بعض المواضع المشهورة التي مَرَّ عليها الطريق وخاصة تلك التي ورد لها ذكر ضمن النصوص القديمة التي اعتمدت عليها في تحقيقي للمنازل وهذا الأمر تطلب مني أن أقف بين المنازل وقفات قد تطول أحياناً مما قد يسبب للقارىء غير المتخصص صعوبة في جمع شتات هذه المنازل وترتيبها.

لذا وجدت أن من المفيد إيجاز القول عن منازل الطريق ومتعشياته فيما يلي:

منزل النباج:

يسمى النباج في وقتنا الحاضر «الأسياح» وتقع آثار هذا المنزل في وسط نخيل «البرقا» حيث مازالت معالم البركة بادية للعيان هناك، وبالتحديد على خط العرض ٢٠ً ٤٧َ ٢٦ْ وخط الطول ٢٠ً ١٣َ ٤٤ْ.

متعشى الصّريف:

الصريف هو أول استراحة للحجاج بعد النباج ومازال يسمى بهذا الاسم حتى الآن. إلا أن آباره مهجورة في الوقت الحاضر. يبعد الصريف عن النباج خمسة وعشرين كيلاً.

يقع على خط العرض ٤٩ً ٣٣َ ٢٦ْ وخط الطول ٢٦ً ١٢َ ٤٤ْ.

منزل العوسجة:

العَوْسَجَةُ: من المنازل المختلف في تحديد مكانها. قال عنها الشيخ حمد الجاسر: إنها تعرف الآن باسم «العوشزية». يقصد بذلك قرية العوشزية الواقعة شرقي مدينة «عنيزة» على بعد أربعة عشر كيلاً. وخالفه في ذلك الأستاذ محمد بن ناصر العبودي مؤلف «معجم بلاد القصيم» قائلاً:

إن منزل «العوسجة» هو مايسمى في الوقت الحاضر «خَبّ العَوْشز».

وخب العوشز هذا واقع بجوار مدينة «بريدة» من الناحية الجنوبية، وقد امتد إليه العمران في السنوات الأخيرة فكاد يصير حياً من أحياء المدينة.

وبعد البحث والتحقيق اتضح لي أن منزل «العوسجة» لا هذه ولا ذاك.

فمنزل « العوسجة» أو عويسجة بالتصغير: هو مايسمى حالياً «البُرَيكة» الواقعة بالقرب من «الرّكيّة» شمال «الرُّبَيْعيّة».

ولازالت آثار قصور هذا المنزل وما يبدو أنه بركة كبيرة ظاهرة للعيان، وتبعد عن متعشى الصريف ثلاثة عشر كيلاً ونصف الكيل، وعن منزل النباج ثمانية وثلاثين كيلاً ونصف، وعن القريتين أربعة وأربعين كيلاً.

وآثار «العوسجة» واقعة على خط العرض ٣٠ً ٢٦َ ٢٦ْ وخط الطول ١٦ً ١٢َ ٤٤ْ.

متعشى بولان:

لم أقف له على أثر لتعذر الوصف الكافي من واقع النصوص التي بين يدي.

منزل القريتين:

هـذا المنزل من المنـازل التي لم تحـدد بـدقة، وقـد استقـر عند بعـض الباحثين أنـه مايسمى حالياً « القُرَيَّـة» الواقعة شرقاً من مدينة «عنيزة» فيمـا بينها وبين مزارع « الزغيبية» ولكنني أخالف هذا التحديد حيث ظهر لي من واقع الـزيارات المتعددة لهذه الجهة وكذا تطبيق المسـافات أن منـزل القريتين يقع بـاتجـاه الجنوب الغـربي من «القُرَيَّـة» وجميع المؤشرات تدل على أن منـزل الحاج واقع بجوار قريتي ابن عامر. وبـالتحديد في الطرف الجنوبي الشرقي لما يسمى «جُوَيّ عُنَيْزة» وأرجح أنه المكان المسمى «الْمَلْقَى».

وهو واقع على خط العرض ٤٩ً ٠٦َ ٢٦ْ وخط الطول ٥٠ً ٥٦َ ٤٣ْ.

يبعد عن «العوسجة» أربعة وأربعين كيلاً، وعن منزل رامة ثلاثة وأربعين كيلاً وثمانمائة متر على السَّمت.

متعشى عجلز:

عَجْلَزُ: متعشى حـدد في غير مكانـه الصحيح. قال عنه مـؤلف «معجم بلاد القصيم» إنه مايسمى حالياً « الزّريب» الواقع غرب جنوب بريدة شمال مجرى وادي «الرُّمة».

وقـد اتضح لي من واقع الرحـلات الميدانيـة أن متعشى عجلز واقع إلى الجنـوب من مجرى الـوادي لا شماله. وهو مـايسمى الآن «البُرَيْكَة» يقع في وسط مـزارع تسمى بهذا الاسم وموقعها في نهاية رمال الغميس «غميس عنيزة» من جهة الغرب.

كما اتضح لي أن الرمـال المسماة في وقتنا الحاضر «رمـال الغميس» ماهي إلا «رمال عجلز قديماً».

يبعد متعشى عجلز عن القريتين ثمانية عشر كيلاً وثمانين متراً، وعن منزل «رامة» ستة وعشرين كيلاً.

وهو واقع على خط العرض ٥٢ً ٥٨َ ٢٥ْ وخط الطول ٤٤ً ٤٩َ ٤٣ْ.

منزل رامة:

آثار هذا المنزل وآباره واقعة بجوار «نفود رامة» من الجهة الجنوبية وهذه الآثار مازالت واضحة وإن كانت الرمال تغطي المنطقة.

يبعد منزل رامة عن المنزل الذي يليه من جهة القبلة وهو «إمَّرَة» خمسة وخمسين كيلاً وستمائة متر.

يقع على خط العرض ٢٤ً ٤٥َ ٢٥ْ وخط الطول ٣٠ً ٤٥َ ٤٣ْ.

متعشى بطن عاقل:

لم أتمكن من العثور عليه نظراً لما حصل للأرض هناك من تغير، وقد يحتاج الأمر إلى بحث أدق.

منزل إمَّرَة:

إمَّرَةُ: من المنازل التي لم يحدد مكانها بدقة، ومسمى إمرة يطلق في وقتنا الحاضر على جبال تجاورها من الشمال على بعد ستة أكيال فضاع المسمى القديم لهذه الجبال وبالتالي ضاع منزل «إمرة» ولكن بعد البحث الدقيق تمكنت من العثور على منزل «إمرة» وهو مايسمى حالياً «آبار الرّكا» بينما الجبال المسماة باسم المنزل هي مايسمى قديماً «هضب متالع». ومنزل «إمرة» واقع بين بلدتي «دخنة» و «الشُّبيكية».

يبعد عن طخفة خمسين كيلاً وثلاثمائة متر. على خط العرض ٥٧ً ٢٠َ ٢٥ْ وخط الطول ١٢ً ٢٦َ ٤٣ْ.

متعشى الرَّائغة:

الرَّائِغَةُ: متعشى بين إمَّرة وطخفة، وتقع آبار هذا المتعشى عند الطرف الجنوبي لجبل «سُواج» فيما بينه وبين هضبة «قلة الشَّيْماَء قديماً» الدُّودِيَّة حالياً.

تبعد الرائغة عن إمرة ستة وعشرين كيلا، وعن منزل «طخفة» أربعة وعشرين كيلاً.

وتقع على خط العرض ٥٤ً ٠٨َ ٢٥ْ وخط الطول ٥٠ً ١٧َ ٤٣ْ.

منزل طِخْفَة:

يقع هذا المنزل بجانب هضبة «طخفة» المشهورة من الناحية الشمالية الشرقية يفصل بينه وبينها حشة سوداء تسمى عبْد طخفة. يشاهد في الموقع بركة كبيرة مدورة الشكل مطمورة لم يبدُ منها سوى درجتين وبجوار البركة عدد من الآبار المطوية بالحجارة طياً محكماً. يبعد هذا المنزل عن «ضرية» ستة وثلاثين كيلاً.

وهو يقع على خط العرض ٠٥ً ٥٨َ ٢٤ْ وخط الطول ٥٥ً ٠٩َ ٤٣ْ.

المتعشى بين طخفة وضرية:

لم أقرأ لأحد من المؤرخين أنه ذكر بينهما متعشىً، وقد يكون هذا عائداً لقصر المسافة بين المنزلين. وإن كان هناك متعشى لم يذكر فيغلب على الظن أنه واقع عند قرية «ليم».

منزل ضرية:

من واقع الزيارة الميدانية لبلدة ضرية، والتجول في آثارها القديمة تبين لي من اتجاه الطريق الذي كان يسلكه الحاج قديماً وكذا تطابق المسافات بين المنازل أن منزل ضرية هو مايسمى حالياً «ضَرْوَى» الواقع بجوار مايسمى «عين ضرية» من ناحية الشمال فيما بين العين والسناف ففي هذا المكان تكثر كسر الزجاج القديم والأواني الفخارية الملونة، ويوجد في الموقع عدد من الآبار المطمورة أما البركة فلا وجود لها فقد تكون اندفنت مع مرور الزمن إلاَّ أن في وسط الموقع مرتفعاً قد يكون ناتجاً من مخلفات حفرها في السابق.

يبعد منزل ضرية عن منزل «الجديلة» تسعة وخمسين كيلاً وثمانمائة متر، ويقع على خط العرض ٠٦ً ٤٣َ ٢٤ْ وخط الطول ٠٦ً ٥٦َ ٤٢ْ.

متعشى رميلة اللوى:

قد يسمى متعشى الرميلة أو «أَكُفّ» نظراً لوجود هذا المتعشى محصوراً بين الطرف الشمالي الغربي لجبل «أَكُفّ البُزَى» المسمى حالياً «كُفّ» وبين نفود «عريق الدسم» رميلة اللوى قديماً.

في زيارتي الأولى لهذا الموقع بإرشاد من رجل متقدم في السن شاهدت إحدى آبار المنزل لم يتضح منها سوى جزء من دائرتها المطلية بمادة بيضاء، وعند زيارة المكان بعد عدة أشهر لم أجد لها أي أثر حيث طمرتها الرمال.

هذا المتعشى واقع على خط العرض ٢٨ً ٣١َ ٢٤ْ وخط الطول ٤٢ً ٥٠َ ٤٢ْ.

يبعد عن منزل ضرية أربعة وعشرين كيلاً تقريباً.

ومن مراجعة النصوص يبدو أن بين ضرية وبين الجديلة متعشى غير هذا وهو متعشى «أسود العين» قد يكون أحدهما بديلاً عن الآخر، أو أن صعوبة قطع هذه المرحلة حَتَّمت وجود استراحتين الأولى في «الرميلة» عند طرف جبل «أَكُفّ» لأن المسافرين وإبلهم نالها مانالها من مشقة قطع رمال النفود. وبما أنهم بعد رحيلهم من المكان يركبون رمال النفود مرة ثانية وهي أشق من الأولى فيأخذ منهم التعب مأخذه قبل وصولهم منزل «الجديلة» فيستريحون في «أسود العين» وهو يبعد عن الجديلة عشرة أكيال أي خمسة أميال كما جاء في النصوص.

وأسود العين فيه عدد من الآبار الواسعة المدفونة، وآبار مطوية بالحجارة قد يكون بعضها مستحدثاً. وهو واقع على خط العرض ١٥ً ٢٨َ ٢٤ْ وخط الطول ٢٥ً ٤٤َ ٤٢ْ.

ويسمى أسود العين في الوقت الحاضر «آبار ظَفْرَة».

منزل الجديلة:

هـذا المنزل قـام عليه في الـوقت الحاضـر قريـة اسمها «الصقـرة» ويدل عليـه بركتـه المربعة التي لازالت واضحة المعالم في الجهة الجنـوبية من القرية التي تبعد عن مدينة عفيف أربعين كيلاً تقريباً شمالاً.

وتبعد الجـديلة عن منـزل ضريـة ستين كيلاً تقـريباً، وعن منـزل فلجة أربعـة وسبعين كيلاً ونصف الكيل. وهي تقع على خط العرض ٣٥ً ١٣َ ٢٤ْ وخط الطول ١٤ً ٤٢َ ٤٢ْ.

متعشى أبرقي حُجْر:

هذان الأبرقان لم تحـددهما لنا النصوص القديمة تحديـداً دقيقاً؛ بل كادت تتضارب. الأمر الذي جعل العثـور عليهما من الصعوبة بمكان حيث احتاج الأمـر إلى قيامي بعدة رحلات القصـد منها العثـور على هذين الأبـرقين لأن تحـديدهما سيـدلنا على مـواضع أخرى لها شهرتهـا في معاجم البلدان والشعر العربي. وعند هـذين الأبرقين قتل بنو أسد حجراً والد امرىء القيس الشاعر.

وقد حـددت هذين الأبرقين بجوار هضبتـي «مثلثة» و «غَدِدَة» الواقعتين شمـال غربي عفيف على بعد ثلاثيـن كيلاً. والأبرقان واقعان جنـوباً منهما ويبعدان عن منـزل الجديلة بمسافة اثنين وثلاثين كيلاً على خط العرض ٥٨َ ٢٣ْ وخط الطول ٣٨َ ٤٢ْ.

منزل فلجة:

فَلْجَةُ : من المواضع التي خفي تحديدها بدقة على الباحثين في وقتنا الحاضر.

قال عنها الشيخان: حمـد الجاسر، وسعد الجنيدل: إنها «مـاء الخضارة» الذي أصبح في الوقت الحاضر بلدة عامرة.

وقال الشيخ عبد الله بن خميس: إنهـا «الدَّرَيْعُوَّات» وهذا أقرب للصـواب، ولكنه أبعد النَّجعة عندما سماها «الجديلة». فما أبعد ما بين الجديلة وفلجة!!

وقد اتضح لي من واقع ترتيب المنازل وقياس المسـافات بينها على الطبيعة، وكذا تتبع أعلام الطريق وأميالـه أن منزل «فَلْجة» هو المسمى حالياً «البُرَيْكـة» الواقع قرب هضاب «الـدّرَيْعُـوَّات»، وأكبـر دليل على ذلك وجــود آثـار المنـزل وأوضحهـا البــرك التي تم استصلاحها في الوقت الحاضر.

ومنزل فلجة واقع على خط العرض ١٩ً ٤٠َ ٢٣ْ وخط الطول ٢٢ً ١٧َ ٤٢ْ.

يبعد عن منزل الدفينـة واحداً وخمسين كيلاً تقريباً، وعن منزل الجـديلة أربعة وسبعين كيلاً ونصف الكيل.

متعشى الزجيج:

هـذا المتعشى من المواضع التي خفي تحـديـدها وبتتبعي لأعـلام الطريق من منـزل فلجة باتجـاه منزل الدفينة عثرت على كثيـر من الأعلام المتتابعة. ولمـا كان النص الذي أورده الحـربي فأزال بـه مـاحصل في النصـوص الواردة حـول «الـزجيج» من اضطـراب وتداخل؛ حدد المسافة بين الزجيج وبين «فلجة» سبعة أميال أي أربعة عشر كيلاً.

فيبدو لي أن متعشى الـزجيج عند الأعلام الواقعـة على بعد أربعة عشر كيـلاً من فلجة وهـذه الأعـلام واقعة على خط العـرض ٢٨ً ٣٤َ ٢٣ْ وخط الطـول ٣٠ً ١١َ ٤٢ْ أمـا مورد الـزجيج قـديماً فهـو تلك الآبـار المطمورة في وادي «صـدعـان» بالقـرب من المتعشى.

منزل الدفينة:

الدَّفِينَـةُ، وقد تسمى «الدَّثينـة» بالثاء: هذا المنـزل غني عن التعريف لكون الـدفينة لم يطرأ على مسماها أي تغيير، وقد أصبح قرية عامرة لا تخفى على أحد.

متعشى .....؟:

هذا المتعشى واقع في المنتصف تماماً بين منزل الدفينـة وقُباَ، ويسميه القاطنون حوله «البُرَيْكة». ولم أقرأ في المراجع المتوفرة لدي أي ذكر لهذا المتعشى.

ولكن دلني عليه تسميته ووجود آثار مبانيه المهدمة التي يطؤها الطريق.

وهذا المتعشى واقع على خط العرض ٢٥ً ٠٨َ ٢٣ْ وخط الطول ١٩ً ٤٨َ ٤١.

منزل قُبَا:

قُبَا: هـو المنزل بعد الدفينـة وقبل «الشُّبيكة». ولازال يحتفظ بمسماه القـديم يقع عند حافة «حرة كشب» من الناحية الشرقية.

وكان الحـاج عندمـا يقبلون على هـذا المنزل تعتـرض طريقهم سبخـة يصعب السير عليها إذا امتلأت بمياه الأمطار. وقد تم رصف جـزء منها بالحجارة، ولا زال هذا الرصيف يشاهد فيها كأنه مدرج للطائرات.

وتسمى هذه السبخة «سبخة الحواء» واسمها القديم «قاع الجنوب».

كانت آبـار المنزل معروفة وأفـواهها باديـة للعيان قبل مدة قصيرة، ولكن عنـد زيارتي للموقع لم أشاهد لها أي أثر حيث طمرتها السَّبِخَة.

ومنزل قبا يبعد عن منزل الشبيكة خمسين كيلاً وأربعمائة متر على السمت.

علماً بأن الطريق بينهما من خلال حرة كشب.

وهو واقع على خط العرض ١٥ً ٥٧َ ٢٢ وخط الطول ٣٣ً ٣٨َ ٤١ْ.

متعشى بلد:

بلَدَ: هـو المتعشى بين منزلي قُبَا والشُّبيكـة، وهو واقع في وسط الحرة، وهـو من المواضع التي ضَنَّت علينا النصوص بإيضاح كاف حولها، ولكن بتوفيق من الله وقفت عليه.

وموضع «بَلَد» يسمى حالياً «الحُفَيِّرَة» واقع على خط العرض ٠١ً ٤٩َ ٢٢ْ وخط الطول ٣٠ً ٣٤َ ٤١ْ. يبعد عن منزل «قبا» ستة عشر كيلاً أي ثمانية أميال كما ورد في النص.

منزل الشُّبيكة:

المنزل القديم كان «مَرَّان» وقد نقل إلى «الشبيكة» نظراً لسعة موقعها وطيب مائها والمسافة بينهما ثلاثة أميال.

وقد تبين لي بعد البحث وإجراء القياسات اللازمة أن «الشُّبيْكَةَ» هي مايسمى حاليا «آبار دُغَيْبِجَة». وهي واقعة على خط العرض ١٠ً ٣٥َ ٢٢ْ وخط الطول ٠٩ً ٢١َ ٤١ْ.

متعشى بُسْيَان:

بُسْيَانُ: ضَوْرٌ مرتفع يشاهد من بعد في سهل ممتد لايشاهد غيره وعندما وضع متعشى بسيان سمي باسمه لأنه العلم الوحيد القريب منه ومنزل بسيان يبعد عن هذا الضَّور مسافة ثمانية أكيال إلى جهة الشمال.

لم يبق من آثار هذا المتعشى سوى أساسات قصوره، أما البركة فليس لها أثر واضح ويبدو لي أنها في الجهة الجنوبية من المباني. ويسمى منزل بسيان حالياً «جَرَّة» ويقع على خط العرض ١٣ً ٢٤َ ٢٢ْ وخط الطول ١٣ً ٠٤َ ٤١ْ.

يبعد عن الشبيكة خمسة وثلاثين كيلاً وأربعمائة متر، وعن منزل «وَجْرَة» ستة وأربعين كيلاً وثمانمائة متر، وهذه القياسات على السَّمت.

منزل وجرة:

وَجْرَةُ: هي المنزل الوحيد في هذا الطريق الذي بقيت آثاره باقية على حالها وخاصة قبته الجميلة المقامة بين البركتين اللتين تم تنظيفهما وترميمهما مع القبة قبل سنوات.

ولاتكاد تعرف « وجرة» عند الناس في الوقت الحاضر إلا باسم «الْخَرابَة».

تقع على خط العرض ٣٤ً ١١َ ٢٢ْ وخط الطول ٠٣ً ٥٠َ ٤٠ْ.

متعشى أوطاس، أو أم خرمان:

سمي هذا المنزل «أوطاس» لوقوعه في المكان المسمى قديماً أوطاس، وقد يسميها

البعض «أُمّ خُزْمان» نسبة إلى أكمة واقعة بالقرب من «البـركة» كان يوقد عليها ليلاً لهداية المسافرين. ويسمى الموقع حالياً «البُرَيكة»

تقع آثـار المنزل عنـد ملتقى وادي «سلحة» مع وادي «العقيق» على خط العـرض ٢٣ً ٢٢َ ٠٣ْ وخط الطول ٥٧ً ٣٦َ ٤٠ْ.

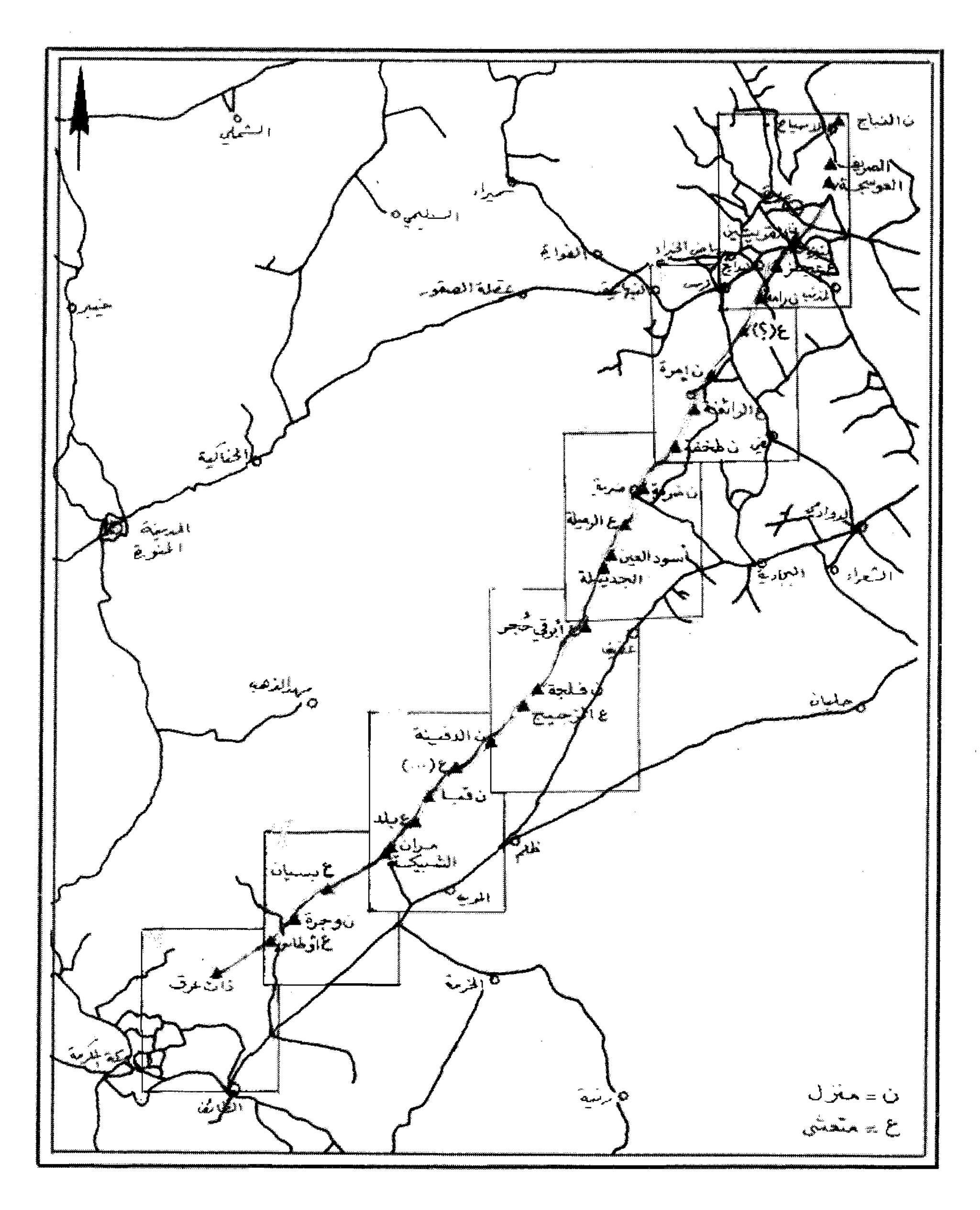
وفي هذا المتعشى يلتقي طريق الحج البصري مع طريق الحج الكوفي ـ درب زبيدة ـ فيصدر منه حاج الطريقين سوياً إلى ميقات ذات عرق.

ميقات ذات عرق:

ذَاتُ عِرْقٍ: هي آخر محطة ننزلها ونتحـدث عنها في الطريق الذي سلكناه من النباج. نسب هذا المنزل إلى الجبل المسمى عـرقاً، وكذلك الوادي الذي يحرم منـه الحاج وهو وادي ذات عرق. ومنشآت هذا المنـزل مازالت أساساتها تشاهـد على جنبتي الوادي عند انحنائه باتجاه الغرب إلى بلدة الضريبة، ويسمى الموقع حالياً «الضريبة» واقع على خط العرض ٣٣ً ٥٥َ ٢١ْ وخط الطول ٠٩ً ٢٥َ ٤٠ْ.

أرجو أن أكون بما قـدمته عن هذا الطريق وماحققته مما كان خـافياً من منازله يتمشى مع الصـواب، وأن أكـون أسهمت بما يحقق فـائدة للبـاحثين والمتخصصين في تـاريخ الجزيرة العربية وآثارها.

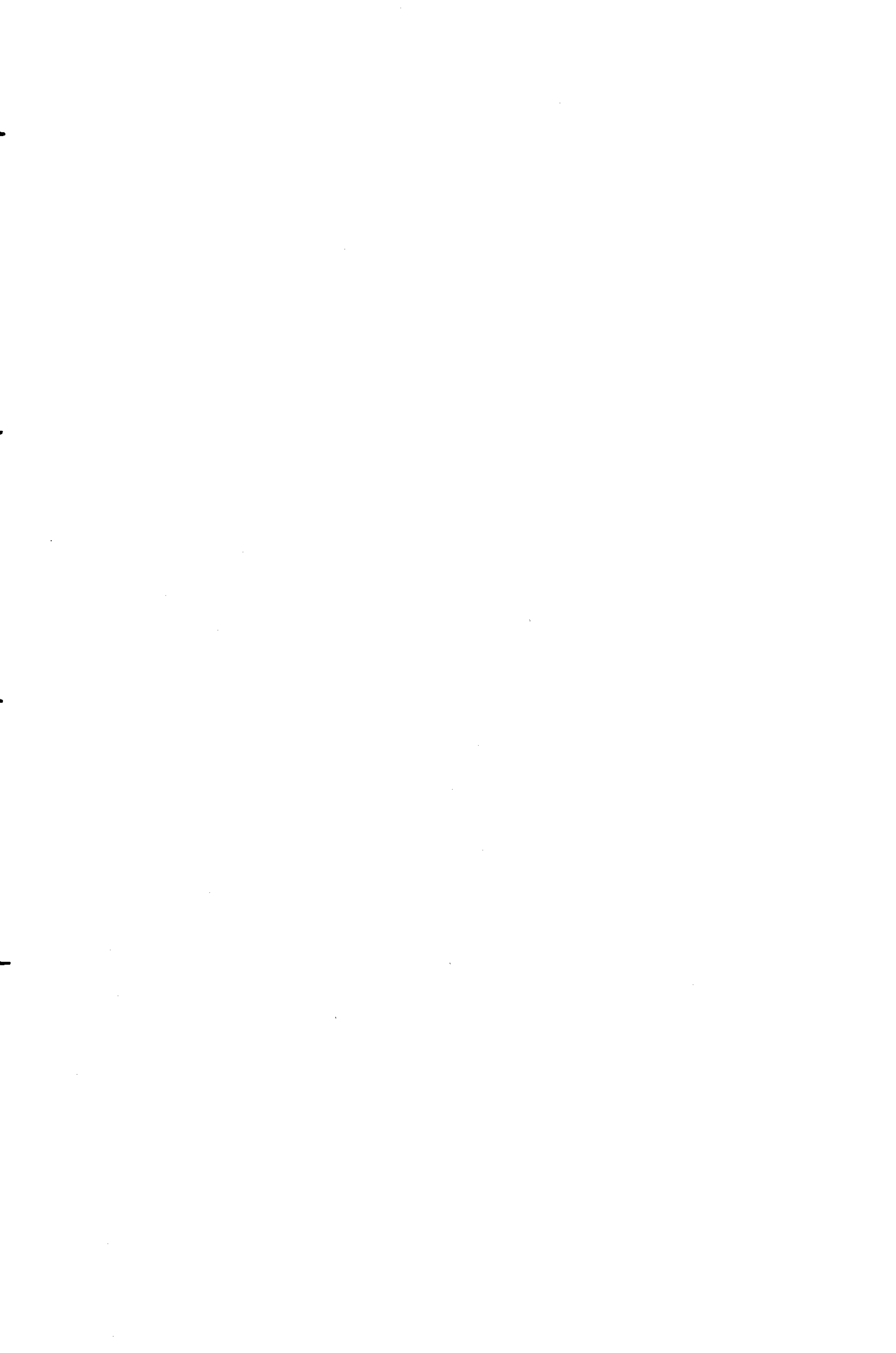
ومـا توفيقي إلا بـالله هو حسبي ونعم المستعـان، وصلى الله على الهادي إلى طـريق الحق والصراط المستقيم نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



خارطة رقم (٨) تشمل جميع منازل ومتعشيات طريق الحج البصري من النباج إلى ذات عرق.

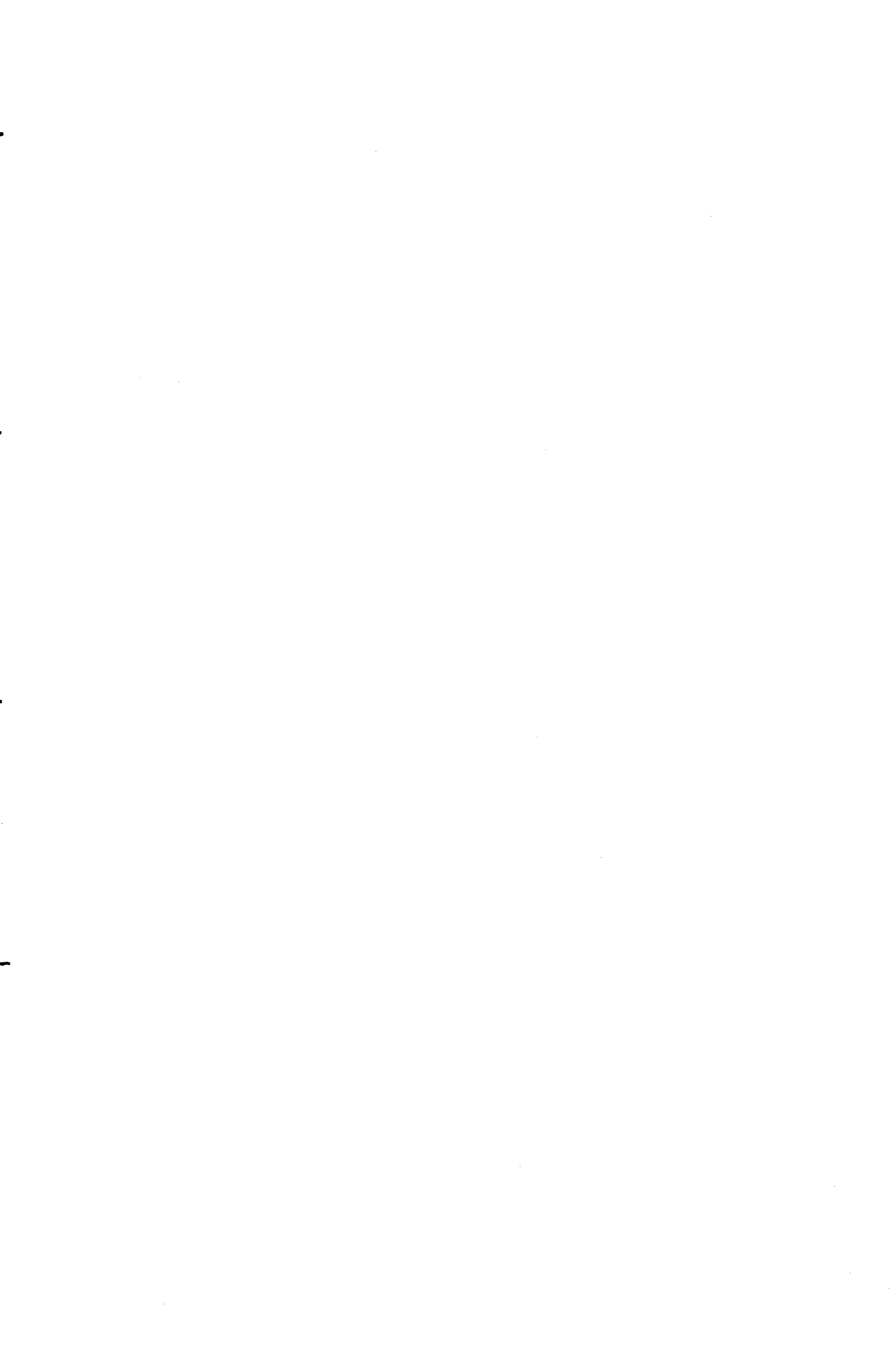
الفهارس

١ـ فهرس : محتويات الكتاب
٢ـ فهرس : المصادر والمراجع
٣ـ فهرس : الأماكن
٤ـ فهرس : الخرائط وصور المعالم وأطلال المنازل



فهرس محتويات الكتاب

هضب الرّده ١٢٩



المصادر والمراجع

١ـ أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع :بقلم حمد الجاسر . منشورات دار اليمامة الرياض .الطبعة الأولى.

٢- الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم : صالح ابن سليمان الوشمي . رسالة ماجستير لم تطبع في كتاب ــ جامعة الملك سعود بالرياض ـ.

٣ــ أشهر رحلات الحج (ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي) : حمد الجاسر . منشورات الرفاعي الطبعة الأولى عام ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤ـ الأعلاق النفيسة : أحمد بن عمر بن رستة . منشورات دار صادر بيروت . طبع في مدينة ليدن.

٥ـ كتاب الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني . دار الثقافة / بيروت.

٦ــ الأمكنة والمياه والجبال : محمود بن عمر الزمخشري . تحقيق الدكتور إبراهيم السلعراني . مطبعة السعدون / بغداد.

٧ــ أيام العرب في الإسلام : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية . الطبعة الأولى عام ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م.

٨- بلاد العرب : الحسن بن عبدالله الأصفهاني . تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي. نشر دار اليمامة / الرياض . الطبعة الأولى عام ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م.

٩ـ تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي . مراجعة لجنة فنية / الكويت دار إحياء التراث العربي / بيروت.

١٠ــ جزيرة العرب / من كتاب الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري : الدكتور عبدالله يوسف الغنيم.

الناشر / ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى عام ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

١١ـ جمهرة النسب : للكلبي . عالم الكتب / مكتبة النهضة العربية / بيروت الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

١٢ـ حولية الآثار العربية السعودية «أطلال» العدد الثاني ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م .تصدر عن إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية.

١٣ـ نبذة من كتاب «الخراج وصنعة الكتابة» : قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي.
دار إحياء التراث العربي . الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

١٤ـ درب زبيدة / طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة : أد / سعد بن عبدالعزيز الراشد.
الناشر : دارالوطن الرياض . الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

١٥ـ دليل الخليج (القسم الجغرافي) :ج، ج لوريمر : ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر .
دار العربية للثقافة والنشر والتوزيع / بيروت . عام ١٣٨٦ هـ ١٩٦٩م.

١٦ـ سيرة ابن هشام: عبدالملك بن هشام / مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبدالحميد مطبعة حجازي القاهرة.

١٧ـ صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار : محمد بن عبدالله بن بليهد . الطبعة الثانية عام ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

١٨ـ على ربى نجد : عاتق بن غيث البلادي . دار مكة للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٩ـ لسان العرب المحيط : ابن منظور . أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط. الناشر: دارالجيل ، ودار لسان العرب / بيروت عام ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢٠ـ المجاز بين اليمامة والحجاز : عبدالله بن محمد بن خميس . منشورات دار اليمامة / الرياض. عام ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م

مراصد الاطلاع : البغدادي . تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي. الناشر: دار المعرفة/ بيروت الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.

٢١ـ المسالك والممالك : ابن خرداذبة . دار صادر / بيروت . طبع مدينة ليدن.

٢٢ـ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً : ياقوت الحموي . عالم الكتب . الطبعة الثانية عام١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٢٣ ـ «المناسك» وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة: لأبي إسحاق الحربي. تحقيق حمد الجاسر نشر دار اليمامة / الرياض . الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٢٤ـ معجم البلدان : ياقوت الحموي. نشر دار بيروت للطباعة والنشر .طبع سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢٥ـ معجم بلاد القصيم : محمد بن ناصر العبودي . مطابع الفرزدق . الطبعة الثانية عام ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٢٦ـ معجم شمال المملكة : حمد الجاسر . منشورات داراليمامة / الرياض. الطبعة الأولى عام ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

٢٧ـ معجم عالية نجد : سعد بن عبدالله بن جنيدل . منشورات دار اليمامة/ الرياض. طبع عام ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٢٨ـ معجم لغة الفقهاء : وضع محمد رواس قلعة جي وحامد صادق قنيبي . دار النفائس/ بيروت .الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢٩ـ معجم معالم الحجاز : عاتق بن غيث البلادي. طبع الجزء الأول نادي الطائف الأدبي عام ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٣٠ـ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: عاتق بن غيث البلادي . دار مكة للنشر والتوزيع.الطبعة الأولى عام ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٣١ـ معجم مااستعجم : لأبي عبيد البكري . تحقيق مصطفى السقا .نشر عالم الكتب/ بيروت .الطبعة الثالثة عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣٢ـ موسوعة المورد ـ: قاموس تراجم : خير الدين الزركلي . دار العلم للملايين / بيروت. الطبعة العاشرة عام ١٩٩٢م./
٣٣ـ نظرات في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس: بقلم حمد الجاسر. الطبعة الأولى ام١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

فهرس الأماكن

(أ)

(ب)

(ح)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(ط)

(ظ)

(ع)

(هـ)

(و)

فهرس الخرائط
وصور المعالم وأطلال المنازل

مرامر
للطباعة الإلكترونية
هاتف 4783582 فاكس 4779883